
العقائد الحقة
دراسة علمية جامعة في أصول الدين الإسلامي
على ضوء الكتاب والسنة والعقل
السيد علي الحسيني الصدر


شبكة الفكر
alfeker.net


العقائد الحقة



دراسة علمية جامعة في أصول الدين الإسلامي على ضوء الكتاب والسنة والعقل

السيد علي الحسيني الصدر

الطبعة الأولى

١٤١٩ هق، ١٩٩٩م

العقائد الحقة

تاليف: السيد علي الحسيني الصدر

نشر: مجمع الذخائر الإسلامية ـ قم

ليتوغراف: تيزهوش

تاريخ الطبع: ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م

طبع: ستاره ـ قم

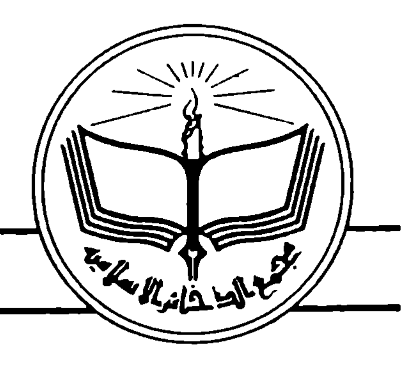
العدد: ٢٠٠٠ نسخة

شابك X ـ ٠١ ـ ٦٧٦٧ ـ ٩٦٤

ISBN 964 - 6767 - 01 - X

مجمع الذخائر الإسلامية

Majmá AL-Dhakā'ir AL-Islāmiyyah



لسنا الوحيدين ولكن نسعى لنكون الأفضل

Qom, Iran

Tel : (0098) 0251 - 835161 Fax : 0251 - 824991 P.O Box : 37185 / 159

ص ب: ٣٧١٨٥/١٥٩ هاتف: ٨٣٥١٦١ فاكس: ٨٢٤٩٩١

الإهداء

- إليك يا وارث الأنبياء وخاتم الأوصياء .
- إليك يا ربيع الأنام ونضرة الأيام .
- إليك يا ولي العصر وصاحب الأمر .
- أهدي حصيلة جهدي وصحيفة عقيدتي .
- فتفضل عليَّ بالقبول وهو منك مأمول .

« يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين » .

منتصف شعبان ١٤١٩هـ

علي ابن السيد محمد الحسيني الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ولا نظير، له الأسماء الحسنى، والصفات العُليا، وهو على كل شيء قدير..

وأشهد أنّ محمدا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، أشرف الخلق أجمعين، وخاتم الرّسل والنبيين..

وأشهد أنّ أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب، وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، وأبناءهما الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) حججَ الله على الخلق أجمعين، وأولوا الأمر الذين آتاهم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين.. بهم نتولّى، ومن أعدائهم نتبرأ، ولهم نُسلّم..

وقد صَدَقوا في كل ما جاؤوا به عن الله تعالى من الأُصول والفروع وغيرهما.. في الدُنيا والآخرة وما بينهما، كما حقٌّ ما أخبروا به عن المبدأ والمعاد وأُمور الكون والكائنات، من قِبَل خالق الأرضين والسّماوات.

تمهيد

هذه هي الشهادة الصادقة والعقيدة الحقّة التي تكون تمام التوحيد وأصل الإعتقاد السديد..

بل هي الأركان الحقّة التي نعتقدها وفطرة الله التي فطر النّاس عليها ولا يَقبل عملاً بغيرها وهي المعارف الإلهيّة التي تقّرب إلى الله زلفى وتوجب الجنّة في العقبى..

والدليل على هذه المعارف القدسيّة هو ما يأتي بيانه من الآيات القرآنية، والأحاديث العلميّة، وتطابقها الأحكام العقليّة، والركائز الفطريّة.

وبالسير في هذه الأدلّة، والنظر في هذه البراهين يحصل العِلم والإذعان بحقيقة المعرفة والإيمان على صعيد الأصول الحقة: أصل التوحيد، وأصل الرّسالة، وأصل الإمامة.. التي تكون معرفتها وتصديقها والإقرار بمؤدّاها والشهادة بها هي الدعائم الأساسيّة للمعارف الإلٰهيّة والعقائد الرّبانية في مبحث أصول الدّين ومعرفة الله الحقّ المبين..

وذلك في رحاب آيات كتابه الكريم أولاً..

وفي هُدى بيان سفرائه الصديقين محمّد وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين ولعنة الله على أعدائهم قاطبة إلى يوم الدّين) ثانياً..

وعلى منار العقل السليم والفطرة السالمة ثالثاً..

والله تعالى وليّ التوفيق للتمسك بالحق الحقيق.

وفي البدء والتقدمة.. نتبرّك بأزاهير رياض الحكمة من أحاديث أهل بيت

العصمة عليهم السلام.. لأنها هي الهادية لنور العقل والفطرة، والمثيرة لدفائن اللّبّ والفِكرة.. والمرشدة إلى كمال التوحيد والتوحيد الكامل..

فلاحظ وتدبر لمعرفة المواضيع الآتية في الرّوايات التالية:

الأوّل: معرفة أصل التوحيد الحقّ في الأحاديث التالية:

١ ـ حديث سيّدنا عبد العظيم الحسني قال: دخلت على سيدي علي ابن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فلمّا بَصُر بي قال لي: مرحباً بك يا أبا القاسم أنت وليّنا حقاً.

قال: فقلت له: يابن رسول الله! إنّي أُريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضيّاً ثبتتُ عليه حتّى ألقى الله عزّ وجلّ.

فقال: هاتها [يا] أبا القاسم!

فقلت: إنّي أقول: إن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج من الحدّين: حد الإبطال، وحد التشبيه، وإنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عَرَض ولا جوهر، بل هو مجسّم الأجسام، ومصّور الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء ومالكه وجاعله ومحدثه، وإنّ محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين فلا نبيَّ بعده إلى يوم القيامة، وأقول: إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمّد بن علي، ثم جعفر بن محمّد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثمّ أنت يا مولاي.

فقال عليه السلام: ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للنّاس بالخلف من بعده؟ قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟

قال: لأنّه لا يُرى شخصه ولا يحلُّ ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قال: فقلت: أقررت وأقول: إنّ وليّهم وليُّ الله، وعدوّهم عدوُّ الله، وطاعتَهم

طاعةُ الله ومعصيتَهم معصيةُ الله.

وأقول: إنّ المعراج حقّ، والمساءلة في القبر حق، وإنّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، والصّراط حقّ، والميزان حقّ، وإنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وإنّ الله يبعث من في القبور.

وأقول: إن الفرائض الواجبة بعد الولاية: الصَّلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فقال علي بن محمّد عليه السلام: يا أبا القاسم! هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة[١].

٢ ـ عن ابن عباس قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! علِّمني من غرائب العلم.

قال: ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل من غرائبه؟

قال الرجل: ما رأس العلم يا رسول الله؟

قال: معرفة الله حقّ معرفته.

قال الأعرابيّ: وما معرفة الله حقّ معرفته؟

قال: تعرفه بلا مثل، ولا شبه، ولا ندّ، وأنّه واحدٌ، أحدٌ، ظاهرٌ، باطنٌ، أوّلٌ، آخرٌ، لا كفو له، ولا نظير، فذلك حقّ معرفته[٢].

٣ ـ طاهر بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت إلى الطيّب ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ: ما الذي لا يجتزي في معرفة الخالق جلّ جلاله بدونه؟

فكتب عليه السلام: ليس كمثله شيء، لم يزل سميعاً وعليماً وبصيراً، وهو الفعّال

(١) بحار الأنوار ٣/٢٦٨ الباب ١٠ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار ٣/٢٦٩ الباب ١٠ ح ٤.

لما يريد[١].

٤ ـ الفضل بن السكن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان[٢].

٥ ـ عيسى بن السري أبي اليسع قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني بدعائم الإسلام التي لا يسع أحدً التقصير عن معرفة شيء منها، الذي من قصّر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه، ولم يقبل [الله] منه عمله، ومن عرفها وعمل بها صلح له دينه، وقبل منه عمله، ولم يضق به ممّا هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله؟

فقال: شهادة أن لا إله إلّا الله، والإيمان بأن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وحقّ في الأموال الزكاة؛ والولاية التي أمر الله عزّ وجل بها: ولاية آل محمّد صلى الله عليه وآله.

قال: فقلت له: هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به[٣]؟

قال: نعم قال الله عزّ وجل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾**[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وكان علياً عليه السلام ـ وقال آخرون: كان معاوية ـ، ثم كان الحسن عليه السلام ثم كان الحسين عليه السلام ـ وقال الآخرون: يزيد بن معاوية ـ، وحسين بن علي ولا سواء ولا سواء.

---

(١) بحار الأنوار ٢٦٩/٣ الباب ١٠ ح ٥.

(٢) بحار الأنوار ٢٧٠/٣ الباب ١٠ ح ٧، ولاحظ معنى الحديث في ص ٢٧٤.

(٣) أي هل في الإمامة شرط مخصوص يكون في رجل خاص من آل محمد، يعرف هذا لمن أخذ به، أو هل فيها دليل وبرهان خاص يعرف لمن أخذ به.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩.

قال: ثم سكت ثم قال: أزيدك؟

فقال له حكم الأعور: نعم جعلت فداك!

قال: ثم كان علي بن الحسين ثم كان محمّد بن علي أبا جعفر وكانت الشيعة قبل أن يكون أبوجعفر وهم لا يعرفون مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم حتى كان أبوجعفر ففتح لهم وبيّن لهم مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم حتى صار الناس يحتاجون إليهم من بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس، وهكذا يكون الأمر، والأرض لا تكون إلّا بإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما تكون إلى ما أنت عليه إذا بَلَغَت نفسك هذه ـ وأهوى بيده إلى حلقه ـ وانقطعت عنك الدُّنيا تقول: لقد كنت على أمر حسن(١).

٦ ـ أبوالجارود قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يابن رسول الله! هل تعرف مودّتي لكم وانقطاعي إليكم وموالاتي إياكم؟

قال: فقال: نعم.

قال: فقلت: فإني أسألك مسألة تجيبني فيها؟ فإني مكفوف البصر قليل المشي ولا أستطيع زيارتكم كل حين.

قال: هات حاجتك؟

قلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله عزّ وجلّ به أنت وأهل بيتك لأدين الله عزّ وجلّ به؟

قال: إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة، والله لأعطينّك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عزّ وجلّ به: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإقرار بما جاء به من عند الله، والولاية لوليّنا، والبراءة من

---

(١) أصول الكافي ١٩/٢ باب دعائم الإسلام ح ٦.

عدوّنا، والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والإجتهاد، والورع[١].

٧ ـ اسماعيل الجعفي قال: دخل رجل على أبي جعفر عليه السلام ومعه صحيفة فقال له أبوجعفر عليه السلام: هذه صحيفة مخاصم يسأل عن الدّين الذي يقبل فيه العمل.

فقال: رحمك الله هذا الذي أُريد.

فقال أبوجعفر عليه السلام: شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وتقرّ بما جاء من عند الله، والولاية لنا أهل البيت، والبراءة من عدوّنا، والتسليم لأمرنا، والورع، والتواضع، وانتظار قائمنا، فإنّ لنا دولة إذا شاء الله جاء بها[٢].

الثاني: بيان أن توحيد الله مقرون بالرّسالة والإمامة، وأن الرّسالة لا تفارق الإمامة، في الأحاديث التالية:

١ ـ أبوحمزة الثمالي قال: قال لي أبوجعفر عليه السلام: إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لايعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً.

قلت: جعلت فداك! فما معرفة الله؟

قال: تصديق الله عزّ وجلّ وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وموالاة علي عليه السلام والإيتمام به وبأئمّة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عزّ وجلّ من عدوّهم، هكذا يعرف الله عزّ وجلّ[٣].

٢ ـ جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنما يعرف الله (عزّ وجلّ) ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت ومن لا يعرف الله عزّ وجلّ

---

(١) أصول الكافي ٢/ باب دعائم الإسلام ح ١٠.

(٢) أصول الكافي ٢/ باب دعائم الإسلام ح ١٣.

(٣) أصول الكافي ١/١٨٠ باب معرفة الله والرد إليه ح ١.

ويعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله، ـ هكذا والله ـ ضلالاً[١].

بل لا يقبل التوحيد إلّا مع الإمامة كما صرح به في الحديث التالي:

حديث أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً وعنده نفرٌ من أصحابه فيهم علي بن أبي طالب عليه السلام إذ قال صلى الله عليه وآله: من قال: لا إله إلّا الله دخل الجنّة.

فقال رجلان من أصحابه: فنحن نقول: لا إله إلّا الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما تقبل شهادة أن لا إله إلّا الله من هذا ومن شيعته الذين أخذ ربّنا ميثاقهم.

فقال الرجلان: فنحن نقول: لا إله إلّا الله. فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على رأس علي عليه السلام ثم قال: علامة ذلك أن لا تحلّا عقده، ولا تجلسا مجلسه، ولا تكذبا حديثه[٢].

الثالث: معرفة أنّ الأُصول الإعتقادية الثلاثة المتقدمة فطرية، فُطر الناس عليها في الأحاديث التالية:

١ ـ عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها**﴾[٣] قال: هي التوحيد، وأن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

٢ ـ الدعاء: «... فأكملت باستخلافهم رسالة المنذرين، كما أوجبت رياستهم في فطر المكلفين... حيث طابق صنعك ما فطرتْ عليه العقول...»[٥].

---

(١) أصول الكافي ١٨١/١ باب معرفة الله والرد إليه ح ٤.

(٢) ثواب الأعمال ص ٢٢ باب ثواب من تقبل منه شهادة أن لا إله إلّا الله ح ١.

(٣) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٤) بحار الأنوار ٢٨٠/٣ الباب ١١ ح ١٨.

(٥) بحار الأنوار ١١٥/١٠٢ في أدعية الإستئذان لدخول المشاهد المشرفة.

الرابع: العلم بأن هذه الأركان هي الحصن الإلهي والمدينة الآمنة والعقيدة المقبولة كما في الأحاديث التالية:

١ ـ إسحاق بن راهويه، قال: لما وافى أبوالحسن الرضا عليه السلام بنيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يابن رسول الله! ترحل عنا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك، وكان قد قعد في العمارية، فأطلع رأسه وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمّد يقول: سمعت أبي محمّد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي بن أبي طالب يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل يقول: لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

قال: فلّما مرّت الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها[١].

٢ ـ أبوذر الغفاري ـ رحمه الله ـ قال: خرجت ليلة من الليالي فإذأ رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده ليس معه انسان، فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظلّ القمر، فالتفت فرآني، فقال: من هذا؟

قلت: أبوذر جعلني الله فداك!

قال: يا أبا ذر! تعال، فمشيت معه ساعة، فقال: اجلس ها هنا، وأجلسني في قاع حوله حجارة، فقال لي: إجلس حتى أرجع إليك، قال: وانطلق في الحرّة[٢] حتى لم أره وتوارى عنّي، فأطال اللبث، ثم إني سمعته صلى الله عليه وآله وهو مقبل وهو يقول: وإن زنى وإن سرق.

قال: فلّما جاء لم أصبر حتى قلت: يا نبيّ الله جعلني الله فداك! من تكلّمه

---

(١) توحيد الصدوق ص ٢٥ باب ثواب الموحدين ح ٢٣.

(٢) الحرّة هي أرض تكون ذات أحجار سوداء كأنها أحرقت بالنار ومنها حرّة المدينة.

في جانب الحرة؟ فإني ما سمعت أحداً يردّ عليك من الجواب شيئاً.

قال: ذاك جبرئيل عرض لي في جانب الحرّة، فقال: بشّر أمّتك أنّه من مات لا يشرك بالله عزّ وجلّ شيئاً دخل الجنّة، قال: قلت: يا جبرئيل وإن زنى وإن سرق؟

قال: نعم وإن شرب الخمر[١].

٣ ـ أبوالصلت الهروي قال: كنت مع الرضا عليه السلام لمّا دخل نيسابور وهو راكب بغلة شهباء، وقد خرج علماء نيسابور في استقباله، فلما صار إلى المربعة تعلّقوا بلجام بغلته وقالوا: يابن رسول الله! حدّثنا بحقّ آبائك الطاهرين حديثاً عن آبائك (صلوات الله عليهم أجمعين).

فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خز فقال: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد بن علي، عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين سيّد شباب أهل الجنّة، عن أمير المؤمنين عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أخبرني جبرئيل الروح الأمين، عن الله (تقدست أسماؤه وجلّ وجهه) قال: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي، عبادي فاعبدوني وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلّا الله مخلصاً بها أنّه قد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي.

قالوا: يابن رسول الله وما إخلاص الشهادة لله؟

قال: طاعة الله ورسوله وولاية أهل بيته عليهم السلام[٢].

الخامس: الضمان الرباني في سلامة هذه العقيدة، ومرافقتها للسعادة، والسلوك منها إلى الجنة كما في الحديث التالي:

---

(١) توحيد الصدوق ص ٢٥ باب ثواب الموحدين ح ٢٤.

(٢) بحار الأنوار ٣/١٤ الباب ١ ح ٣٩.

١ ـ المفضّل الجعفي قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضماناً، قال: قلت: وما هو؟

قال: ضمن له إن هو أقرَّ له بالربوبيّة، ولمحمَّد صلى الله عليه وآله بالنبوَّة، ولعلي عليه السلام بالإمامة وأدّى ما افترضه عليه أن يسكنه في جواره.

قال: قلت: فهذه والله هي الكرامة التي لا يشبهها كرامة الآدميّين.

قال: ثم قال أبوعبد الله عليه السلام: إعملوا قليلاً تتنعَّموا كثيراً[١].

والتوحيد الحق هو توحيد الله بما أراده الله تعالى لا بما أراده نفس الإنسان بهواه ومشتهاه..

وقد عرفت أن الذي يريده الله ولا يقبل غيره هو التوحيد المقرون بالرسالة والإمامة، وهو الاسلام الذي عرفت دعائمه وقوامه..

قال عزَّ اسمُه: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيرَ الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنهُ وهُوَ في الآخِرةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾**[٢].

فلابدّ من الاعتقاد الراسخ بهذه الأصول الأصيلة والأركان الجليلة.

ثم إن اللازم في باب الاعتقادات أن تكون المعتقدات علمية يُتيَقن بها لأن الظن لا يغني عن الحق شيئاً لذلك كان استدلالنا في هذا الكتاب بالقرآن الكريم الذي هو قطعي الصدور، وبالرّوايات المتواترة العلمية أو المستفيضة الاطمئنانية، وبحكم العقل الذي هو برهان لكلّ انسان.

بل تلزم الشهادة باللسان مضافاً إلى الإذعان بالجَنان ولا تكون الشهادة إلّا علميّة مستندة إلى العلم دون الظن، فلا يصح التقليد في أصول الدين كما هو مسلَّم عند جميع الديّانين.

---

(١) بحار الأنوار ٣/٣ الباب ١ ح ٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

وإنّما يلزم الإشهاد والشهادة باللسان مضافاً إلى اعتقاد الإنسان لأنّه هو المستفاد من الأحاديث الكثيرة القطعية في هذا الباب وذلك مثل حديث:

١ ـ أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة لا إله إلّا الله، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يعدله شيءٌ ولا يشركه في الأمر أحد[١].

٢ ـ وأبي الصلت الهروي قال: كنت مع عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فإذا محمّد بن رافع، وأحمد بن حرب، ويحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وعدّة من أهل العلم قد تعلّقوا بلجام بغلته في المربعة فقالوا: بحقّ آبائك الطاهرين حدّثنا بحديث سمعته من أبيك، فأخرج رأسه من العمارية ـ وعليه مطرف خز ذو وجهين ـ وقال: حدَّثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر، قال: حدثّني أبي الصادق جعفر بن محمّد، قال: حدثني أبي أبوجعفر محمّد بن علي باقر علم الأنبياء، قال: حدثني أبي عليُّ بن الحسين سيد العابدين، قال: حدثني أبي سيد شباب أهل الجنّة الحسين، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: قال الله (جلَّ جلاله): إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدوني، ومن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلّا الله بالإخلاص دخل [في] حصني ومن دخل في حصني أمن [من] عذابي[٢].

٣ ـ سهل بن سعد الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَما كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنا**﴾[٣]؟

---

(١) بحار الأنوار ٣/٣ الباب ١ ح ٥.

(٢) بحار الأنوار ٦/٣ الباب ١ ح ١٥.

(٣) سورة القصص، الآية ٤٦.

قال: كتب الله عزَّ وجلَّ كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس، ثم وضعها على العرش، ثم نادى: يا أمّة محمّد! إنَّ رحمتي سبقت غضبي، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلّا أنا وأنَّ محمّداً عبدي ورسولي أدخلته الجنّة برحمتي[١].

٤ ـ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: «... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، شهادتين، تُصعِدان القول، وتَرفعان العملَ: لا يخِف ميزان توضعان فيه، ولا يثقل ميزان ترفعان عنه»[٢].

فمن شهد مخلصاً دخل الجنّة ومن قالها كاذباً عَصِمَ ماله ودمه لكن كان مصيره إلى النار كما يستفاد من حديث بحار الأنوار[٣].

واعلم أنّ الشهادة هي الإخبار الجازم بالشيء عن مشاهدة أو ما يقوم مقام المشاهدة من الدلالات الواضحة والحجج اللائحة، كما أفاده شيخ الطائفة الطوسي قدس سره[٤]، وقد اعتبر في معناها الحضَور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة كما في المفردات[٥] وفُسّرت الشهادة في اللغة بالإخبار القاطع[٦].

فلابدّ إذاً أن تكون تلك الشهادة قطعيّة علميّة ناشئة عن العلم كما يستفاد من أحاديث باب الشهادة في الوسائل[٧].

وعلى الجملة لابدّ لنا من اكتساب العلم وتحصيل اليقين بأصول الدين،

---

(١) بحار الأنوار ١٢/٣ الباب ١ ح ٢٤.

(٢) نهج البلاغة ٢٢٢/١ من الطبعة المصرية، الخطبة رقم ١١٠.

(٣) بحار الأنوار ٥/٣ الباب ١ ح ١٣.

(٤) تفسير التبيان ٤١٦/٢.

(٥) مفردات الراغب ص ٢٦٧.

(٦) لسان العرب ٢٣٩/٣.

(٧) وسائل الشيعة ٢٤٥/١٨ الباب ١٧ ح ١ وص ٢٥٠ الباب ٢٠ الأحاديث .

والعلم يحصل من البراهين الوجدانية والشواهد اليقينية الآتي ذكرها.

والله المستعان أن يمنّ علينا هو بلازم معرفته ويتفضل علينا بمعرفة رسوله وأولي الأمر من بعده وما يلزم علينا معرفته، وهو المستعان المعين.

ففي الحديث العلوي الشريف:

«إعــرفوا الله بــالله والرســول بــالرسالة وأولي الأمــر بــالمعروف والعــدل والإحسان»[١].

وفي الدعاء الحسيني بيوم عرفة:

«... كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغـيرك مـن الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المُظهِرَ لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بَعُدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبّك نصيباً...»[٢].

فلنذكر الأصول الثلاثة بعنوان التوحيد والرسالة والامامة ثم نتبعها بتصديق ما جاء به المعصومون عن رب العالمين ومنه معاد يوم الدين والله هو المأمول المتفضل بالتوفيق لبيان ما هو الحق الحقيق.

◘◘◘

(١) بحار الأنوار ٣/ ٢٧٠ الباب ١ ح ٧.

(٢) الإقبال للسيد ابن طاووس ص ٥٦٥.



أصل التوحيد

أصل التوحيد

البحث في هذا الأصل الأول الشريف من أصول العقائد يقع في جهات ثلاثة:

١ ـ إثبات وجوده تعالى.

٢ ـ توحيده عزّ اسمه.

٣ ـ صفاته الكريمة جلّ شأنه.

فنبحث في ذلك استمداداً من نور الكتاب والسنة والعقل، واهتداءً إلى معرفته القلبية التي هي أسمىٰ المعارف الحقيقيّة، ووصولاً إلى رؤية القلوب بحقائق الإيمان كما في حديث ذِعْلِب المروي عن سيد الوصيّين وأمير المؤمنين عليه السلام:

« لم تَرَهُ العيونُ بمشاهَدة الأبصار ولكن رأتْهُ القلوبُ بحقائق الإيمان »[1].

فنبحث بعون الله تعالى في هذا الأصل ببيان الأمور الثلاثة الآتية:

* * *

---

(١) أصول الكافي ١٣٨/١ باب جوامع التوحيد ح ٤.

الجهة الأولى:

وجود الله تعالى

وجوده تعالى أغنى من أن يحتاج إلى بيان أو يتوقف على برهان، حيث إن العيان يغني عن البيان، والوجدان يكفي عن البرهان.

وقد أيقن به كلّ ذي علم، وأدركه كلّ ذي عقل، وأحسّ به كلّ ذي شعور، وفهمته كل فطرة بحيث أغنى الصباح عن المصباح.

حتى الذي ينكره بلسانه لا محالة يتوجه إليه عند الإضطرار بقلبه وجنانه، بل يمكن القول بأن وجوده الشريف فطريٌّ جبلّيٌّ حتى للبهائم والحيوانات كما في قصة نملة سليمان عليه السلام وقضايا الوجدان التي تدلّنا على توجّه الحيوانات أيضاً إلى الله تعالى.. ففي الحديث:

«إنّ سليمان بن داود خرج يستسقي، فمرّ بنملة مُلقاة على ظهرها، رافعة قوائمَها إلى السماء وهي تقول: اللهمّ أنا خلقٌ من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك، فلا تهلكنا بذنوب غيرنا. فقال سليمان: إرجعوا فقد سُقيتم بغيركم»[1].

---

(١) حق اليقين ١/١٠.

وفي الأخبار شواهد كثيرة على ذلك يقف عليها المتتبع.

فإثبات وجود الصانع إذن لا يحتاج في الحقيقة إلى دليل بعد حكم الفطرة؛ إذ مقتضى الفطرة عدم الحاجة بعدها إلى الأدلة..

إلّا أنه تبرّكاً بوحي السماء وإتماماً للحجّة الغرّاء نشير إلى هذه الأدلة الآتية الدالّة على وجود الله جلّ شأنه:

١ ـ دليل الكتاب:

وقد بيَّن القرآن الكريم أحسن البيان، وأقام أتقن البرهان على وجود الله تعالى المنّان بالشواهد اليقينية والدلائل التكوينية في آيات مباركاتٍ أحصاها العلامة المجلسي في البحار[1] تحت عنوان إثبات الصانع والإستدلال بعجائب صنعه على وجوده في ضمن ذكر ٢٤٤ آيةٍ شريفة من الكتاب العزيز منها قوله تعالى **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَى بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[2].

وهذه الآية الشريفة بوحدها مشتملة على سبع آيات من آيات الله العجيبة ومخلوقاته الغريبة التي تدلّ على وجود خالق لها ومدبّر في إحداثها وسبب لدوامها.

وكفى بها آيةً تدفع الريب وترفع الشك عن وجود فاطر السماوات والأرضين، الذي يؤمن به كل من تدبَّر وفكّر فيها من المسلمين والكافرين.

---

(١) بحار الأنوار ٣/١٦ الباب ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٤.

٢ ـ دليل السنة:

وقد أفاض نبيّ الإسلام وأهل بيته الكرام، الأنوار اللامعة، والحِكَم البارعة في إثبات وجود الله تعالى بمتواتر الحديث بل فوق التواتر من الأحاديث المفيدة للعلم واليقين بوجود الله الحق المبين كما تلاحظها على كثرتها في جميع كتب التوحيد، وربّما تزيد على مئة حديث، ومن ذلك ما نقتطفه من أحاديث البحار التالية:

١ ـ الحديث العلوي الشريف عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

« ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلةٌ والأبصار مدخولةٌ[1]، أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق، كيف أحكم خلقه، وأتقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر وسوّى له العظم والبشر، انظروا إلى النملة في صغر جثّتها ولطافة هيأتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر، كيف دبّت على أرضها وضنّت على رزقها[2]، تنقل الحبّة إلى جحرها وتعدّها في مستقرِّها، تجمع في حرّها لبردها وفي ورودها لصدورها، مكفول برزقها، مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنّان ولا يحرمها الديّان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس[3]، لو فكّرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها

---

(١) من الدَخَل ـ بفتحتين ـ بمعنى العيب.

(٢) أي: بخلت به.

(٣) الحجر الجامس والجميس: هو اليابس أيضاً.

قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك لِتبلغ غاياتِه ما دلّتك الدلالة إلّا على أن فاطر النملة هو فاطر النحلة لدقيق تفصيل كلّ شيء، وغامض اختلاف كلّ حيّ.

وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلّا سواء، كذلك السماء والهواء والريح والماء، فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجُّر هذه البحار وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرُّق هذه اللغات والألسن المختلفات.

فالويل لمن أنكر المقدِّر وجحد المدبِّر.

زعموا أنّهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانعٌ، لم يلجأوا إلى حجّة فيما ادّعوا، ولا تحقيق لما وعوا، وهل يكون بناءٌ من غير بانٍ أو جنايةٌ من غير جانٍ؟!

وإن شئت قلت: في الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسرج لها حدقتين قمراوين، وجعل لها السمع الخفيّ، وفتح لها الفم السويّ، وجعل لها الحسّ القويّ، ونابين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، ترهبها الزرّاع في زرعهم ولا يستطيعون ذبّها ولو أجلبوا بجمعهم، حتّى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كلّه لا يكون إصبعاً مستدقة، فتبارك الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعفّر له خدّاً ووجهاً، ويلقي بالطاعة إليه سلماً وضعفاً، و يعطي له القياد رهبةً وخوفاً، فالطير مسخّرة لأمره، أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسى قوائمها على الندى واليبس، قدَّر أقواتها، وأحصى أجناسها،

فهذا غراب، وهذا عقاب، هذا حمام، وهذا نعام، دعا كلَّ طائر باسمه، وكفّل له برزقه، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها، وعدّد قسمها فبلَّ الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها»[١].

٢ ـ عن هشام بن الحكم قال:

«دخل ابن أبي العوجاء على الصادق عليه السلام فقال له الصادق: يابن أبي العوجاء! أمصنوع أنت أم غير مصنوع؟

قال: لست بمصنوع.

فقال له الصادق عليه السلام: فلو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون؟

فلم يحر ابن أبي العوجاء جواباً[٢] **وقام وخرج»**[٣].

٣ ـ دخل أبو شاكر الديصاني ـ وهو زنديق ـ على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا جعفر ابن محمّد! دلّني على معبودي، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«اِجلس، فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة، فناوله إيّاها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا ديصاني! هذا حصن مكنون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبةٌ مائعة وفضّة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها لا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن

---

(١) بحار الأنوار ٣/٣٦ الباب ٢ ح ١.

(٢) يُقال: لم يحُر جواباً أي لم يَرُدَّ جواباً.

(٣) بحار الأنوار ٣/٣١ الباب ٢ ح ٤.

مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّراً؟

قال: فأطرق مليّاً ثم قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك إمامٌ وحجّةٌ من الله على خلقه، وأنا تائب ممّا كنت فيه»[1].

٤ ـ انَّ عبد الله الديصاني أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فلما قعد قال له: يا جعفر بن محمّد! دلّني على معبودي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام:

« ما اسمك؟

فخرج عنه ولم يخبره باسمه.

فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟

قال: لو كنت قلت له: عبد الله كان يقول: من هذا الّذي أنت له عبد؟

فقالوا له: عد إليه فقل يدلّك على معبودك ولا يسألك عن اسمك.

فرجع إليه فقال: يا جعفر! دلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إجلس وإذا غلام صغير..»[2] إلى آخر الخبر الآنف الذكر.

٥ ـ الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام: أنّه دخل عليه رجل فقال له: يابن رسول الله! ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال:

« أنت لم تكن ثمّ كنت، وقد علمتَ أنّك لم تكوِّن نفسك ولا كوّنك من هو مثلك»[3].

---

(١) بحار الأنوار ٣/٣١ الباب ٢ ح ٥.

(٢) بحار الأنوار ٣/٣٢ الباب ٢ ح ٦.

(٣) بحار الأنوار ٣/٣٦ الباب ٢ ح ١١.

٦ ـ عن هشام بن سالم قال: سئل أبوعبدالله عليه السلام فقيل له: بم عرفت ربّك؟ قال:

« بفسخ العزم ونقض الهمّ، عزمتُ ففسخ عزمي، وهممتُ فنقض همّي »[١].

٧ ـ هشام بن الحكم قال: قال لي أبوشاكر الديصاني: إنّ لي مسألة تستأذن لي على صاحبك فإني قد سألت عنها جماعة من العلماء فما أجابوني بجواب مُشبع، فقلت: هل لك أن تخبرني بها فلعلّ عندي جواباً ترتضيه؟

فقال: إني أُحب أن ألقي بها أبا عبدالله عليه السلام، فاستأذنتُ له فدخل فقال له:

« أتأذن لي في السؤال؟

فقال له: سل عمّا بدا لك.

فقال له: ما الدليل على أنّ لك صانعاً؟

فقال: وجدتُ نفسي لا تخلو من إحدى جهتين: إمّا أن أكون صنعتُها أنا، فلا أخلو من أحد معنيين: إمّا أن أكون صنعتها وكانت موجودة أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كنتُ صنعتها وكانت موجودةً فقد استغنيتُ بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنّك تعلم أنّ المعدوم لا يُحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أنّ لي صانعاً وهو الله رب العالمين.

فقام وما أجاب جواباً »[٢].

٨ ـ علي بن منصور قال: قال لي هشام بن الحكم: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبدالله عليه السلام فخرج إلى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها، فقيل له: هو بمكّة فخرج الزنديق إلى مكّة ونحن مع أبي عبدالله عليه السلام فقاربنا الزنديق ـ ونحن مع

---

(١) بحار الأنوار ٣/٤٩ الباب ٢ ح ٢١.

(٢) بحار الأنوار ٣/٥٠ الباب ٢ ح ٢٣.

أبي عبد الله عليه السلام ـ في الطواف فضرب كتفه كتف أبي عبد الله عليه السلام، فقال له جعفر عليه السلام:

« ما اسمك ؟

قال: اسمي عبد الملك.

قال: فما كنيتك ؟

قال: أبو عبد الله.

قال: فمن الملك الّذي أنت له عبد، أمن ملوك السماء أم من ملوك الأرض ؟

وأخبرني عن اسمك، أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض ؟ فسكت.

فقال له أبوعبد الله عليه السلام: قل ما شئتَ تُخصم.

قال هشام بن الحكم: قلت للزنديق: أما ترد عليه ؟ فقبّح قولي.

فقال له أبوعبد الله عليه السلام: إذا فرغتُ من الطواف فأتنا.

فلمّا فرغ أبوعبد الله عليه السلام أتاه الزنديق فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده، فقال للزنديق: أتعلم أنَّ للأرض تحتاً وفوقاً ؟

قال: نعم.

قال: فدخلت تحتها ؟

قال: لا، قال: فما يدريك بما تحتها ؟

قال: لا أدري إلّا أنّي أظنُّ أن ليس تحتها شيء.

قال أبوعبد الله عليه السلام: فالظنّ عجز مالم تستيقن.

قال أبوعبد الله عليه السلام: فصعدتَ إلى السماء ؟

قال: لا.

قال: فتدري ما فيها ؟

قال: لا.

قال: فعجباً لك لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الأرض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تجز هنالك فتعرف ما خلقهنّ وأنت جاحد ما فيهنّ وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟

فقال الزنديق: ماكلّمني بهذا أحد غيرك.

قال أبوعبدالله عليه السلام: فأنت في شكّ من ذلك فلعلّ هو، أو لعلّ ليس هو.

قال الزنديق: ولعلّ ذاك، فقال أبوعبدالله عليه السلام: أيّها الرجل! ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم، فلا حجّة للجاهل، يا أخا أهل مصر! تفهَّم عنّي فإنّا لا نشكُّ في الله أبداً، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يَلِجان ليس لهما مكان إلّا مكانهما فإن كانا يقدران على أن يذهبا ولا يرجعان فلِمَ يرجعان؟ وإن لم يكونا مضطرّين فلِمَ لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟ اضطرا ـ والله يا أخا أهل مصر! ـ إلى دوامهما، والّذي اضطرّهما أحكم منهما وأكبر منهما.

قال الزنديق: صدقت.

ثم قال أبوعبدالله عليه السلام: يا أخا أهل مصر! الّذي تذهبون إليه وتظنّونه بالوهم فإن كان الدهر يذهب بهم لِمَ لا يردّهم وإن كان يردهم لِمَ لا يذهب بهم[1]؟ القوم مضطرّون يا أخا أهل مصر! السماء مرفوعةٌ، والأرض موضوعةٌ، لِمَ لا تسقط السماء على الأرض؟ ولِمَ لا تنحدر الأرض فوق طباقها فلا يتماسكان ولا يتماسك من عليهما؟

فقال الزنديق: أمسكهما والله ربهما وسيدهما. فآمن الزنديق على يدي

---

(١) فإن الزنادقة كانوا من الدهرية القائلين بأنه ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر.

أبي عبد الله عليه السلام.

فقال له حمران بن أعين: جعلت فداك! إن آمنت الزنادقة على يديك فقد آمنت الكفّار على يدي أبيك.

فقال المؤمن الذي آمن على يدي أبي عبد الله عليه السلام: إجعلني من تلامذتك.

فقال أبوعبد الله عليه السلام لهشام بن الحكم: خذه إليك فعلّمه. فعلّمه هشام فكان معلّم أهل مصر وأهل الشام، وحسنت طهارته حتّى رضي بها أبوعبد الله عليه السلام»(١).

٣ ـ الدليل العقلي:

قد عرفت أنّ وجود الله تعالى غنيّ عن البيان، بل هو فطري لكل إنسان، ولا يمكن إنكاره لكلِ ذي وجدان.

ومع ذلك ـ على مسلك الإستدلال ـ تُقام الحجة لتنكشف المحجّة على وجود الخالق، وظهور الصانع بالبراهين العقلية والأدلة اللُّبية، مُضافاً إلى الأدلة المتقدّمة الشرعية.

والأدلة العقلية على وجود الله كثيرةٌ وفيرةٌ بتناسب كلّ ذي بصرٍ وبصيرة، مضافاً إلى برهان العلة، ودليل الحكمة على وجود الله الخالق وهو: (كلما بالغير ـ وهي الممكنات ـ لابدّ وأن ينتهي إلى ما بالذات ـ وهو واجب الوجود ـ ليكون الذاتي علّة العلل وخالق المخلوقات.. وإلّا لزم التسلسل وهو محالٌ).

فيثبت وجود الذاتيّ الواجب، الخالق لمن سواه، وليس المستحق لذلك إلّا الله (جلّ جلاله وعمّ نواله).

---

(١) بحار الأنوار ٣/٥١ الباب ٢ ح ٢٥.

والأدلّة العقلية الوجدانية الواضحة على وجود الخالق تعالى كثيرةٌ جداً ـ كما قلنا ـ نختار منها البراهين الخمسة التالية:

الأول: برهان النظم

أوضح الأدلّة على إثبات الله تعالى الذي يحكم به العقل، ويقضي به الوجدان، ويحسّه كلّ إنسان، هو دليل النظم والتدبير.

فالجميع يرى العالم بسماواته وأراضيه، وما بينهما من مخلوقاته ورواسيه من المجرّة إلى النملة. في خِلقة التكريم وسير التنظيم وتناسبٍ عظيم.

فالإنسان نراه بأحسن كيفيّة، والحيوان نراه بالمواهب الفطريّة والنباتات والأشجار والأزهار والأعشاب نراها ذات المناظر البهيّة والخصائص النفعيّة، وكذلك غيرها من الموجودات الأخرى التي لا تعدّ ولا تحصى فيما بين السماء إلى أطباق الثرى.

نرى أجزاءها وجزئيّاتها مخلوقة بأحسن نظم، وأتقن تدبير، وأحسن صنع، وأبدع تصوير.

ومن المعلوم بالبداهة لكلٍّ كبير وصغير، ولكلّ ذي عقل وإحساس أنّ الإهمال لا يأتي بالصواب، والخطأ لا يأتي بدقيق الحساب، والإتفاق لا يأتي بهذا العجب العُجاب.

فيحكم العقل بالصراحة، ويذعن الوجدان بالبداهة أنّه لابدّ لهذا التدبير من مدبّر، ولهذا التنظيم من منظّم، ولهذا السير الحكيم من محكّم.

ويدرك جميع أولي الألباب أنّه لابدّ لهذا النظام الدقيق من خالق حكيم، ولابدّ لهذا التدبير العميق من مدبّر عليم، خَلَقها وقدّرها وأدام بقاءها، وأحسن خلقها وتدبيرها، وهو الله تعالى شأنه وجلّت قدرته.

فوجود الخالق ممّا يدرك بالبداهة ويُحسّ بكل يقين.

الثاني: امتناع الصّدفة

فإنّا إذا لم نؤمن بوجود الخالق لهذا الكون العظيم بما فيه من الخليقة المنتظمة، فلابدّ وأن نقول بأن الصّدفة هي التي أوجدتها أو أنّ الطبيعة هي التي خلقتها..

بأن تكون هذه المجموعات الكبيرة الدقيقة الضخمة، في هذا العالم الكبير وجدت بنحو الصّدفة وتحققت بنحو المصادفة.

لكن من الواضح أنه لا يَقبَل حتّى عقل الصبيان أن تكون هذه المخلوقات اللامتناهية وُجِدَت بنفسها بالصدفة العمياء أو بالطبيعة الصّمّاء..

بل حتى عقل المادّيين والطبيعيّين ـ كما تلاحظه في حياتهم ـ لا يقبل الصدفة. لذلك تراهم يبحثون عن سبب جريمة صغيرة وقعت في بلادهم وفوجئوا بها في دولتهم ويتفحّصون عن علتها. ولا يقبلون الصدفة فيها، وترى طبيبهم الملحد ـ مثلاً ـ يصرف مدّة مديدة، وساعات عديدة من عمره في سبيل معرفة سبب وجود غُدّة صغيرة في جسم إنسان مريض تصدّى لمعالجته، ولا يقبل أن يؤمن بأنّها وجدت بنحو الصدفة والإتفاق، أو أوجدتها طبيعة الآفاق..

فكيف بهذه البدايع العظيمة في هذا العالم العظيم، هل يمكن قبول أنّها وجدت بالإتفاق والصدفة؟!

والصدفة إن أمكنتها خلق شيء فلابد وأن تكون موجودة هي بنفسها.. فيسأل من هو مُوجِدها؟ وإن لم تكن موجودة فيقال: إن المعدوم لا يمكنه إيجاد شيء. على أنّ الصدفة العمياء شاردة غير منتظرة، لا تخضع لأي حسابٍ وقانون، بل تخالف الحسابات العلمية، فكيف يمكنها أن توجِد هذه الخلائق الكونيّة التي تُبهر العقول وتُدهش العقلاء؟

وكيف يمكنها أن توجِد المادّة الأولى لهذا العالم كما يزعمون حتى يكون العالم مادياً ؟

وكيف يمكنها أن توجِد تكاملها وعلّية موجوداتها فيما بينها ـ كما يدّعون ـ حتى يكون العالم صدفياً ؟ والحال أن الصدفة عمياء صمّاء، وليس لها حظٌ من العطاء.

ولنبرهن على هذا الأمر بدليل عقلي علمي وجداني، ونفرض أنّ كتاباً صغيراً مرتباً على مئة صفحة قد فُرقت أوراقه وخُلطت أعداده ثمّ أعطيت بيد شخصٍ أعمى حتى يُرتّبها وينظّم صفحاتها بواسطة سحب تلك الأوراق مسلسلة إحداها بعد الأخرى.. ترى ما هي نسبة احتمال الموفقيّة بأن يكون السحب الأوّل مصيباً للورق الأول؟ الجواب: ١٪

ثمّ ما هي نسبة احتمال أن يكون السحب الثاني مصيباً أيضاً للورق الثاني ؟

الجواب: $\frac{١}{١٠٠٠٠}$ وذلك بعمليّة ($\frac{١}{١٠٠٠٠} = \frac{١}{١٠٠} \times \frac{١}{١٠٠}$).

ثمّ ما هي نسبة أن يكون السحب الثالث أيضاً مصيباً للورق الثالث ؟

الجواب: $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠}$ وذلك بعمليّة ($\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠} = \frac{١}{١٠٠} \times \frac{١}{١٠٠} \times \frac{١}{١٠٠}$).

وهكذا.. وهلمّ جرّاً إلى موفقيّة تنظيم إصابة السحب المئوي للورق المئة بنتيجة عددٍ تفوق المليارات ويستغرق حسابها الساعات.

هذه نسبة الصدفة في كتابٍ صغير فكيف بنسبة موفقية الصدفة بالنسبة إلى هذا العالم الكبير ؟

وهل يقبل العقل أو يصدّق الوجدان صدفيّة هذا النظام السماوي والأرضي المنتسق بهذا التنسيق البهيج ؟

وهل يمكن قبول كون أساس العالم ومادّته المتكاملة موجودة بالصدفة كما يدّعون ؟ كلّا ثم ألف كلّا !!

والحساب المنطقي الواضح هو أنه إذا لم تصدق الصدفة صَدَقَ ضدّه وهو الخَلق والتقدير لأنّهما ضدّان لا ثالث لهما، لا يجتمعان ولا يرتفعان.. ومن المسلَّم أن كذب أحدهما يستلزم صدق الآخر، فعدم إمكان الصدفة يستلزم صدق التقدير.

فتكون الخليقة موجودة بخلق وتقدير، وهو يدلّ على وجود المقدّر الخبير، وهو الله (جلّ جلاله).

الثالث: برهان الاستقصاء

فإنّ كُلاً منّا إذا راجع نفسه وتأمل شخصه يشعر بوضوح، ويدرك ببداهة أنّه لم يكن موجوداً أزلياً بل كان وجوده مسبوقاً بالعدم، وقد وُجد في زمان خاصّ في عامٍ معيّن وشهر معيّن ويومٍ معيّن.

فلنتساءل ونتفحص ونبحث:

الف) هل أنّا خَلَقْنا أنفسنا؟

ب) أو هل خَلقَنا أحدٌ مثلنا من الممكنات كآبائنا أو أمّهاتنا؟

ج) أو هل خَلَقَنا القادر الفاطر الواجب وهو الله (جلّ جلاله)؟

أمّا جواب الأوّل: فلا شكّ أنّنا لم نخلق أنفسنا حيث إنّه لم نكن موجودين في الزمان المتقدّم علينا، فكيف أعطينا الوجود لأنفسنا، وفاقد الشيء لا يعطيه..

ولو تملّكنا من إعطاء الوجود لأنفسنا، لأبقَينا لها الوجود ضد الموت، ولا شك في عدم قدرتنا على ذلك، بل عدم قدرة الأقوياء منّا ومن كان قبلنا على ذلك.

وأما جواب الثاني: فلا شك أيضاً أنّ آباءنا لم يخلقونا، بدليل أنّهم لم يعرفوا أعضاءنا وأجزاءنا ومطويّات أبداننا ومضمرات أجسامنا، فكيف بخلقة حقيقتنا، ومعلومٌ أنّ الخالق يلزم أن يعرف ما خلقه، والصانع يعرف ما صنعه.

مع أنّ آباءنا بأنفسهم يموتون ولا يمكنهم إعطاء أو إبقاء الوجود لأنفسهم فكيف

يعطونه لأبنائهم ؟

.. لا يبقى بعد التفحص والاستقصاء إلّا الشقّ الثالث وهو أنه خَلَقَنا الله الذي خلق كل شيء، وهو القادر على كل شيء الوجود والإفناء، والموت والبقاء، وهو الخبير بكلّ محتواه، والعالم بأُولاه وعُقباه.

وبهذا الاستقصاء التامّ تحكم الأفهام، بوجود الخالق العلّام.

الرابع: برهان الحركة

فإنّا نرى العالم الكبير بجميع ما فيه متحركاً، ويراه الجميع من الإلهيّين والمادّيين في تغيُّرٍ، والكل يعرفه بحركةٍ وعدم سكون، ومعلوم أنّ الحركة تحتاج إلى محرك وبديهيٌ أنّ الأثر لابدّ له من مؤثِّر، لأنّ الحركة قوة والقوّة لا توجد بغير علّة.

إذن فلابدّ لهذه الحياة المتحركة في جميع نواحيها من أعلاها إلى أسفلها، بكواكبها وأراضيها وشمسها وقمرها، وأفلاكها ومجرّاتها.. لابدّ لها ممّن يحركها ويديم حركتها، وحتى أجزاء العناصر الساذجة ثبت في علم الفيزياء أنها تدور وتتحرك حول مركزها بدوام.

ومن المعلوم أنّ القوّة والحركة لا توجد إلّا بدافعٍ ومحرِّك، وهذا أمر بديهيٌ يدركه كل ذي لبّ وشعور، ويعرف أنّه لابدّ لهذه الحركات العظيمة والتحوّلات الدائمة من محرّكٍ حكيم قدير، فمن ترى يمكن أن يكون مصدر القوة وفاعل الحركة ؟

هل المخلوقات التي نراها يعرضها الضعف وتحتاج بنفسها إلى المساندة ؟! وهل يناسب أن يكون المحرِّك إلّا الله القوي الخبير ؟

ولقد سُئلَتْ امرأة بدويّة كانت تغزل الصوف بمغزل صغير عن دليلها على وجود الله تعالى، فأمسكت عن تحريك المغزل حتى توقف فقالت: دليلي هوهذا التوقف..

قالوا: وكيف ذلك ؟

فأجابت: إذا كان مغزل صغير لا يتحرك إلّا بوجود محرّك، فهل يمكن أن يتحرّك هذا الفلك الدوار الكبير بلا محرّك له ؟

وقد جاءت الحكمة في هذا المجال: إن البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فهذه السماء ذات أبراج والأرض ذات حركةٍ وارتجاج ألا تدلّان على وجود الخبير البصير ؟!.

الخامس: برهان القاهريّة

فإنّ الطبيعة تنمو عادةً نحو البقاء لولا إرادة من يفرض عليها الفناء.

فالإنسان الذي يعيش، والأشجار التي تنمو، والأحجار التي هي مستقرة في الأرض، لا داعي إلى أن يعرض عليها الموت أو الزوال أو الإنهدام إلّا بعلةٍ فاعلةٍ قاهرة.

فكما أنّ تبدّل اللاشيء إلى الشيء يحتاج إلى علة، كذلك تبدل الشيء إلى اللاشيء لا يمكن إلّا بعلة.

فإنّا نرى هذا العالم قد أُحكمت جميع جوانبه بحيث ينبغي أن تسير سيراً دائماً بلا زوال، لكن مع ذلك نراها في زوال دائم ونقص راغم، وزوالها دليل على وجود مزيلٍ لها.

فترى من هو علّة الإماتة والزوال ؟ ومَن اللائق أن يكون هو القاهر في جميع الأحوال ؟

هل الإنسان بنفسه ـ وهو الذي يرغب أن يعيش دائماً ولا يموت أبداً ـ علّة لموت نفسه ؟

أم هناك شيءٌ من الممكنات التي هي مقهورة زائلة بنفسها تتمكّن من القاهريّة

المطلقة ؟

أم أنّ القاهر لجميع المخلوقات هو القادر على خلقها فيقدر على فنائها.

أليس هذا دليلاً على أنّ هناك من يُميت ويقدر على الإماتة، كما هو قادر على الإحياء، فنفس الموت دالٌّ على وجود المميت، كما كان الإحياء دالاً على وجود المحيي، فمن هذا الذي يميته غير الذي يحييه ؟ ومن هو قادر على الإبقاء والإفناء ؟ ليس هو إلّا الله الذي بيده الموت والحياة. والقادر على الإبقاء والإفناء خالقٌ لجميع المخلوقات جل شأنه وعظمت قدرته.

* * *

هذه أدلة خمسة من بين الأدلة العقلية الكثيرة التي تُبرز الإيمان الفطري بوجود الله تعالى القوي.

مضافاً إلى الآيات الأنفسيّة والآفاقيّة التي ما أكثرها وأكبر وجودها، بل لله في كل شيء آيةٌ تدلّ على وجوده القدسيّ وذاته القدّوسيّ.

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ   تدلُّ على أنّه واحدُ

الجهة الثانية:

وحدانيّة الله تبارك وتعالى

بعد معرفة وجود الله القدسي، واليقين بوجوده السرمديّ، لنعرف هل أنّ وجوده واحد أحديّ يعني واحدٌ لا شريك له ولا شبيه، ولا جزء له ولا نظير؟

وتوحيده هذا أيضاً ممّا هو عيانٌ لا يحتاج إلى بيان، بل تقضي به الفطرة السليمة ولا تحتاج إلى إقامة الأدلة.

ألا ترى أنّ كل إنسان يتوجّه قلبه ويتّجه وجدانه ويفزع ضميره عند الحاجة والإضطرار إلى مصدرٍ واحد، للإستعانة والإلتجاء، ممّا يكشف أنّ القلب والعقل والفطرة تعرف أنّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له فلا تتوَجّه إلى غيره، ولا ترى التعدّد في الخالق المستغاث وفي من تسأله حاجته حتى تطلب منه نجاته.. هذا أمر واضح إلّا أنّه نذكر براهين التوحيد من باب تمام الحجة وكمال المحجّة.

وينبغي التنبيه في البداية على حقّ المعنى والمعنى الحقّ، في توحيد الله تعالى ووحدانيته وهو ما فُسّر في لسان أهل البيت عليهم السلام، المتصلين بالله والناطقين عنه، والعارفين به حقّ معرفته، يبيّنون عنه، ولا يسبقونه بالقول، وهم الحجج من قِبَله والمعصومون الصادقون عليه.. وقد فسروا عليهم السلام التوحيد بنفي الشريك والشبيه، ونفي الجزء والتركيب كما تلاحظه في الأحاديث التالية:

١ ـ ما رواه محمّد بن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام، فقلت له: يابن رسول الله! علمني التوحيد فقال:

« يا أبا أحمد! لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله ـ تعالى ذكره ـ في كتابه فتهلك واعلم أنَّ الله تعالى واحدٌ، أحدٌ، صمدٌ، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتّخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً، وأنّه الحيُّ الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبيد، والباقي الذي لا يفنى، والثابت الذي لا يزول، والغني الذي لا يفتقر، والعزيز الذي لا يذل، والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لا يجور، والجواد الذي لا يبخل، وأنّه لا تقدِّره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير ﴿مَا يَكُونُ مِن نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلّا هُوَ رَابِعُهُم وَلا خَمْسَةٍ إلّا هُوَ سَادِسُهُم ولا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إلّا هُوَ مَعَهُم أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[١] وهو الأوّل الذي لا شيء قبله، والآخر الذي لا شيء بعده، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث، تعالى عن صفات المخلوقين علوّاً كبيراً »[٢].

٢ ـ ما رواه شريح بن هاني عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

« ... فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنّه كفّر من قال: ثالث ثلاثة.

وقول القائل: هو واحدٌ من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٢) توحيد الصدوق ص ٧٦ باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٣٢.

يجوز عليه لأنّه تشبيه[١]، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالى.

وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل: هو واحدٌ ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربّنا. وقول القائل: إنّه عزّ وجلّ أحديُّ المعنى، يعني به أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربّنا عزّ وجلّ»[٢].

١ ـ دليل الكتاب:

صرّح القرآن الكريم بوحدانيّة مُنَزِّله تعالى في آياتٍ كثيرةٍ جدّاً تزيد على المئة أحصاها العلّامة المجلسي في البحار[٣] تحت عنوان «باب التوحيد ونفي الشريك».

وجمعت أيضاً في تفصيل آيات القرآن الحكيم[٤]، نتبرك بذكر بعضها مثل:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وإِلٰهُكُم إِلٰهٌ واحِدٌ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ﴾**[٥].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿وَقَالَ اللهُ لا تَتَّخِذُوا إِلٰهَينِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلٰـهٌ واحِـدٌ فَـإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾**[٦].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ﴾**[٧].

٤ ـ قوله تعالى: **﴿لَوكانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلّا اللهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**[٨].

---

(١) أي تشبيه الخالق بالمخلوقات التي لها جنس ونوع.

(٢) توحيد الصدوق ص ٨٣ باب معنى الواحد و... ح ٣.

(٣) بحار الأنوار ١٩٨/٣ الباب ٦.

(٤) تفصيل آيات القرآن الحكيم ص ١٢٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

(٦) سورة النحل، الآية ٥١.

(٧) سورة الشعراء، الآية ٢١٣.

(٨) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.

٥ ـ قوله تعالى في سورة التوحيد التي هي نسبة الله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾**[١].

وغير ذلك من سائر الآيات الكريمة التي تحصر الألوهية في الواحد الأحد، وتنفي الشريك والشبيه للفرد الصمد تعالى شأنه وجلّت قدرته.

٢ ـ دليل السنة:

قد استفاضت أزاهير الحكمة وتواترت رياض النبوة، في أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام، المصرحة بوحدانيّة الله تعالى والهادية إلى ركنيّة توحيده بما يوجب العلم واليقين بهذا الإعتقاد الراسخ، والمعتَقَد الشامخ فلاحظ من رواياتهم المباركة ما يلي:

١ ـ خطبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في حديث إسحاق بن غالب:

«الحمد لله الذي كان في أوّليّته وحدانياً...»[٢].

٢ ـ وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عند انصرافه من صفين وقد جاء فيها:

«... واعلم يا بنيَّ! أنَّه لو كان لربك شريك لأَتَتْك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولٰكنَّه إلٰه واحد كما وصف نفسه، لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبداً، ولم يزل، أوَّل قبل الأشياء بلا اوّليّة وآخر بعد الأشياء بلا نهاية...»[٣].

٣ ـ دعاء سيدنا الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة وقد جاء فيه:

«الحمد لله الذي لم يتّخذ ولداً فيكون موروثاً، ولم يكن له شريك في

---

(١) سورة التوحيد، الآية ١.

(٢) توحيد الصدوق ص ٤٤ باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٤.

(٣) نهج البلاغة ـ قسم الرسائل ـ رقم الوصية ٣١ ص ٤٩ من الطبعة المصرية.

ملكه فيضادّه فيما ابتدع، ولا وليّ من الذل فيرفده فيما صنع»[١].

٤ ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام التالي:

«... ثم يلزمك إن ادَّعيت اثنين فلابدّ من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة، وإن ادَّعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهم فرجتان فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة»[٢].

فهذا الحديث الشريف يفيد أن التعدّد مستلزم للتسلسل وهو مستحيلٌ فإذا استحال التعدد صدق ضدّه وهي الوحدة، فالله واحدٌ لا شريك له، وقديم لا قديم معه، علماً بأنّ صفاته الذاتية الشريفة عين ذاته فلا تكون معيّة له، فيستفاد ثبوت الوحدة وامتناع التعدد وعدم إمكان تعدّد القدماء.

٥ ـ خطبة سيدنا الإمام الرضا عليه السلام الجليلة في مجلس المأمون وقد جاء فيها:

« أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده...»[٣].

إلى غير ذلك من أنوار المعارف الحقّة، المروية عن أئمة الطائفة المحقّة، الهادية للأمّة والخليقة.

٣ ـ دليل العقل:

بالإضافة إلى فطرية التوحيد والتجاء النفس إلى إله واحد عند التضرع والشدّة الكاشف عن أحدية المَلجَأ كما عرفت...، يحكم العقل بأدلّته القطعية، وبراهينه الوجدانية، بوحدانية الخالق تعالى.

---

(١) البلد الأمين ص ٢٥٣.

(٢) بحار الأنوار ٣/٢٣٠ الباب ٦ ح ٢٢.

(٣) توحيد الصدوق ص ٣٤ باب التوحيد ونفي التشبيه ح ٢.

وجاء استدلال العقل بأنحاء كثيرة نختار منها تقريرات ثمانية يثبت بها المطلوب ويحصل منها الغرض وهي:

الأوّل: برهان الإرتباط والتدبير

إنّ الإنسان إذا تأمل بفكر سليم وعقل مستقيم في هذا العالَم الكبير والكون الشهير، من أعالي سماواته إلى أعماق أراضيه وما في أجوافه وبحاره، رأىٰ ووجد أن موجوداتها مترابطة متشابكة ومتناسبة بعضها مع بعض بأتمّ الإرتباط والتناسب كجهازٍ واحد، ومجموعة واحدة.

وهذا يدل على أنّ خالق جميعها واحدٌ وهو العالم باحتياجاتها والعارف بارتباطاتها، والخبير بما يحتاج العالم إليه من الأجزاء والجزئيات، وهذا أمرٌ عقليٌ واضحٌ يحسّه كلّ ذي تدبّر، بل هو من البديهيّات العقلية لجميع المستويات البشريّة.

ألا ترى أنّهم يحكمون في المصنوعات البشرية، كالسيارة مثلاً، أو الطائرة فرضاً بوحدة صانعها ومبتكرها لانسجام أجزائها وترابطها بعضها مع بعض ولا يمكن أن يكون مخترع هيكل الطائرة غير مبتكر أجنحتها.. ولا يمكن أن يكون مبتكر السيارة غير مبتكر عجلاتها.. مع الحاجة الماسّة إلى تلك الأجزاء فيما بينها.

وكذلك اتصال التدبير وارتباط الصنع وتناسب الخلقة في هذا العالَم دليلٌ على وحدة المدبِّر الصانع.

وإذا كررتَ التأمل في هذا النظام الكوني الكبير المرتبط، وجدت أنّه بالإضافة إلى ارتباطه وتناسبه هو خالٍ عن أي فساد بالرغم من كِبَرِه وعظمته.

فعدم الفساد والإختلال بنفسه دليل على وحدة صانعه وحكمته فإنّه لو كانت الآلهة متعدّدة لاختلّ العالم في التدبير، وفسد في التقدير، وهذا أيضاً أمر محسوس نلاحظه في حياتنا العادّية.

فالفساد يحدث عند التعدّد.. إذا تعدد السلطان في مملكةٍ، أو تعدد الحاكم في بلدةٍ، أو تعدد الرئيس في عائلةٍ، بل حتى إذا تعدد الروح في بدنٍ واحد بالرغم من محبّة البدن لروحه حيث إنه عند وجود التعدد يحدث الفساد والتبدد، فعدم الفساد دليل على عدم التَعداد.

وهذه الحكمة العلميّة العقليّة أشار إليها القرآن الكريم في قوله عزّ اسمه: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾**[1].

وقوله عزّ اسمه: **﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾**[2].

واستفيد هذا البرهان أيضاً من حديث هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما الدليل على أن الله واحد؟ قال:

«اتصال التدبير وتمام الصنع[3]...».

وعنه عليه السلام أيضاً: فلما رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، والتدبير واحداً، والليل والنهار والشمس والقمر، دلَّ صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد[4].

وعليه فاتصال التدبير المنتظَم يدل على وحدة المدبِّر المنظِم، ولا يمكن ولا يليق هذا الخلق العظيم بأحدٍ إلّا بالله تبارك وتعالى الذي هو العالم بحقائقه والعارف باحتياجاته، والحكيم في تدبيره.

وهذا هو برهان الارتباط وحكمة التدبير، الدال على وحدة الخالق الخبير.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٩١.

(٣) تفسير البرهان ٦٨٥/٢.

(٤) نفس المصدر.

الثاني: برهان عدم وجود الأثر للشريك، الكاشف عن عدم المؤثّر

فإنه لا داعي ولا موجب أولاً إلى الإيمان بتعدد الآلهة ما لم نجد أثراً لغير الله تعالى كخلق من مخلوقاته، أو رسول من رسله، أو كتاب من كتبه.

فكما أنّ وجود الأثر دليل على وجود المؤثّر كذلك عدمه دليل على العدم.

والفطرة السليمة شاهدةٌ والعلم الجزمي قاضٍ بأنّه لو كان إله غير الله لعرفناه بآثاره أو ملائكته أو كتبه أو رسله، وحيث أيقنّا بعد التتبع الكامل والاستقصاء الشامل، بأنّه ليس في الكون أثر لغير الله علمنا بأنّه ليس إلهٌ شريكاً مع الله.

وهذا البرهان بَزَغَ نوره من مدينة علم الرسول الأمين، أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته المتقدمة لولده الإمام الحسن عليه السلام:

«لو كان لربّك شريك لأتتك رسله...»[1].

الثالث: برهان الفُرجة وملازمة الشريك للتسلسل والاحتياج

وهذا هو الدليل القطعي المفيد استحالة تعدّد القديم، والموضّح لزوم وحدة الخالق، وهو الذي أرشد إليه الإمام الصادق عليه السلام في حديث هشام بن الحكم المتقدم عن البحار[2]. وحاصله أنّه يلزم من تعدد الإله وجود الفاصِل المائز القديم بينهما، ثم وجود الفصل أيضاً بين الثلاثة فيما بينها، وهكذا متسلسلاً، والتسلسل باطل فيصدق ضدّ التعدد وهي الوحدة.

وقد تمسك بهذا الدليل شيخ الإسلام المجلسي في كتابه البحار، وأضاف قدس سرّه في توضيحه: «... أنّه لو كان التعدد موجوداً لكان امتياز أحد الآلهتين عن الآخر بأمر خارج يُحتاج إليه في الامتياز؛ فيكون الإلهان محتاجين إلى هذا المائز،

---

(١) نهج البلاغة ـ قسم الرسائل ـ ص ٤٩ من الطبعة المصرية رقم الوصية ٣١.

(٢) بحار الأنوار ٣/ ٢٣٠ الباب ٦ ح ٢٢.

والإحتياج ليس شأن الإله، فإن كل محتاج ممكن، والله الغنيّ أجلُّ من الاحتياج، فلا يكون له شريك»[١].

الرابع: برهان السبر والتقسيم، المستفاد أيضاً من أحاديث أهل البيت عليهم السلام

بيان ذلك: أنّه لو قيل بالتعدّد فلا يخلو الأمر فيهما من أحد ثلاثة:

إمّا أن يكونا قادرين على إقامة النظام.

أو غير قادرين عليها.

أو متفاوتين ومختلفين فيها.

فإذا كانا قادرين كان أحدهما لغواً، وإذا كانا عاجزين كان كلاهما عبثاً، وإذا كان أحدهما قادراً والآخر عاجزاً ثبتت الألوهيّة للإله القادر، ولم يكن يليق بها الآخر العاجز، فتتعيّن الألوهيّة للإله الواحد القدير بلا شريك ولا نظير.

الخامس: استلزام الشركة للاستحالة

وهو ما أفاده الصدوق في كتابه «التوحيد» بما حاصله:

«أنّه لو كان الإله اثنين لم يَخْلُ الأمر فيهما من أن يكون كلّ واحد منهما قادراً على منع صاحبه أو غير قادر.. فإن كان قادراً كان الآخر ممنوعاً، والممنوع حادث، والحدوث ليس من صفات الإله، وإن لم يكن قادراً لزم عجزه ونقصه، والعجز أيضاً ليس من صفات الله فيستحيل الشريك على كلا التقديرين، ويثبت أنّ الإله واحدٌ لا شريك له، وهو الإله القادر جلّت قدرته»[٢].

السادس: برهان الدّفع

فإنّ وجوب الوجود لله تعالى الذي هو مسلمٌ يستلزم القدرة والقوّة الكاملة على

(١) بحار الأنوار ٣/٢٣٠.

(٢) توحيد الصدوق ص ٢٦٩.

جميع الممكنات، بحيث يقدر على دفع جميع ما يضادّه ويقابله بنحوٍ مطلق.

فإنّ عدم القدرة على هذا الدفع نقصٌ، والنقص عليه محالٌ بالضرورة لوجوب وجوده، وعليه فشريكه مندفع بالبداهة، ومستحيلٌ وجوده بالوضوح، فيكون هو تعالى واحداً لا شريك له.

وقد أفاد هذا الدليل وما يليه من الدليلين التاليين بعض العلماء والحكماء.

السابع: دليل الكمال

إن التفرّد بالصنع كمالٌ للصانع، والشركة مستلزمةٌ لسلب هذا الكمال، وسلب الكمال عن ذاته المقدّسة المستجمعة لجميع الصفات الكماليّة محالٌ ببداهة، فلا يكون له شريك لأن الشريك يستلزم سلب الكمال، وسلب الكمال باطلٌ، فوحدة الصانع هي الحقّ.

الثامن: دليل الاستغناء

وذلك أنّ الله تعالى غنيّ عمّا سواه، ومستغنٍ بذاته عن غيره، ولا طريق للاحتياج إليه، فيكون غنيّاً عن الشريك ومنزهاً عن الحاجة والشركة.

مع أنّ الشركة بنفسها من النقص والحاجة، للاحتياج فيه إلى الإذن في التصرف، والغنيّ أجلُّ من الإحتياج، وأرفع من الاستيذان فلا يناسبه الشريك، بل هو الواحد الأحد الكبير الغني عن الشريك، والمستغنى عن النظير فحكومة العقل عند الإستدلال بأنه واحدٌ لا شريك له ثابتة بلا إشكال.

الجهة الثالثة :

صفات الله تبارك وتعالى

من مسلّمات الدين الحنيف، أنّه لا سبيل للمخلوق إلى معرفة ذات الخالق والإحاطة به ومعرفة حقيقته.

فقد قال الله تعالى: **﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾**[1].

وورد في دعاء المشلول المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام :

« يا من لا يعلم ما هو ولا كيف هو ولا أين هو ولا حيث هو إلّا هو »[2].

وفي دعاء مولانا السجاد عليه السلام :

« ولم تجعل العقول طريقاً إلى معرفتك إلّا بالعجز عن معرفتك »[3].

وقد قام البرهان ودلّ الوجدان وأدرك العقل بعيان أنّه لم يُعطَ للمخلوق وسيلة يَعرِفُ بها ذات خالقه، إذ الأعضاء والحواس الإنسانية على دقّتها وعظمتها هي مقاييس مادّيّة نحسّ بها المخلوقات والماديات فقط.

فالعين مثلاً التي هي من أدق الوسائل لرؤية الأعيان بما أنّها خِلقةٌ مادية نشاهد بها

---

(١) سورة طه، الآية ١١٠.

(٢) مصباح الكفعمي ص ٢٦٠.

(٣) مفاتيح الجنان المعرب ص ١٢٧ ـ مناجات العارفين ـ.

الماديات فقط، بل لايمكننا أن نشاهد بها حتى بعض المادّيات، كالأمور اللطيفة مثل الهواء، فكيف يمكن مشاهدة خالق المادّيات ؟

وهناك بيان لطيف في أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام في بيان إبطال رؤية الله تعالى، وعدم إمكانها نظير الأحاديث التالية :

١ ـ ما رواه أحمد بن إسحاق قال : كتبت إلى أبي الحسن الثالث [الإمام الهادي] عليه السلام أسأله عن الرُّؤية وما اختلف فيه الناس فكتب :

« لا تجوز الرُّؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرَّائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه ؛ لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرُّؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأنَّ الأسباب لابدَّ من اتصالها بالمسببات »[1].

٢ ـ ما رواه هشام بن الحكم قال :

« الأشياء [كلّها] لا تُدرك إلّا بأمرين : بالحواسّ والقلب : والحواسُّ إدراكها على ثلاثة معان : إدراكاً بالمداخلة، وإدراكاً بالمماسة، وإدراكاً بلا مداخلة ولا مماسّة.

فأما الإدراك الذي بالمداخلة فالأصوات والمشام والطعوم.

وأمّا الإدراك بالمماسة فمعرفة الأشكال من التربيع والتثليث ومعرفة الليّن والخشن والحرِّ والبرد.

وأما الإدراك بلا مماسة ولا مداخلة فالبصر فإنَّه يدرك الأشياء بلا مماسة ولا مداخلة في حيِّز غيره ولا في حيِّزه.

---

(١) أصول الكافي ٩٧/١ باب إبطال الرؤية ح ٤.

وإدراك البصر له سبيل وسبب فسبيله الهواء وسببه الضياء فإذا كان السبيل متصلاً بينه وبين المرئي والسبب قائم أدرك ما يلاقي من الألوان والأشخاص فإذا حمل البصر على ما لا سبيل له فيه رجع راجعاً فحكى ما وراءه كالناظر في المرآة لا ينفذ بصره في المرآة فإذا لم يكن له سبيل رجع راجعاً، يحكي ما وراءه وكذلك الناظر في الماء الصافي يرجع راجعاً ويحكي ما وراءه إذ لا سبيل له في إنفاذ بصره؛ فأمّا القلب فإنَّما سلطانه على الهواء فهو يدرك جميع ما في الهواء ويتوهمه، فإذا حمل القلب على ما ليس في الهواء موجوداً رجع راجعاً فحكى ما في الهواء، فلا ينبغي للعاقل أن يحمل قلبه على ما ليس موجوداً في الهواء من أمر التوحيد جلَّ الله وعزَّ فإنَّه إن فعل ذلك لم يتوهّم إلّا ما في الهواء موجودٌ كما قلنا في أمر البصر تعالى الله أن يشبهه خلقه»[1].

على أنّ الحواس الأخرى أيضاً إنّما نحسُّ بها المخلوقات فقط، فكيف يمكن مشاهدة الخالق بهذه الوسائل المادّية؟ وهل يُرى بالجسم غير الأجسام؟

كلّا!! المادي لا يمكنه التوصل إلّا إلى المادّي فقط باقتضاء السنخيّة.

بل لم يتوصل الإنسان إلى بعض نفس الماديات المماثلة له في جوهر المادّة، فتراه لم يعرف بَعْدُ حقيقة المواد الأوّليّة، والعناصر الأساسيّة الموجودة في هذا الكون، بالرغم من أنّه يشاهدها ويحسُّها وهو متكيِّف معها ويعيش إلى جنبها..

وترى الإنسان ـ وهو أشرف المخلوقات السالك بنفسه في مرامي علم الكائنات، والمبتكر لعظيم المصنوعات ـ لم يتوصّل إلى معرفة حقيقة روحه هو، بينما هو مشتمل عليها وعائش ببركتها ومتقارن في حياته دائماً مع وجودها.. بأقرب تقارن

---

(١) أصول الكافي ٩٩/١ باب إبطال الرؤية ح ١٢.

وأمسّ ارتباط.

فإذا كان عاجزاً عن معرفة روحه المنطوية معه، فما بالك بمعرفة خالق الأرواح الذي هو فوق إدراكه.

إنّا لا نملك إلّا الإعتراف بالعجز عن معرفة ذاته المقدّسة بحكومة العقل وشهادة الوجدان.

وحين لم يمكننا ولن نتمكّن من معرفة ذاته، فلابدّ على صعيد معرفة الله من معرفة صفاته ومعالي أوصافه وعظيم خلقه وباهر صنعته.

وحتى في نفس الصفات لا نتمكّن من معرفة كنهها خصوصاً الصفات التي هي عين ذاته، كعلمه وقدرته وحياته و...

فتكون معرفتنا لها بالمقدور المستطاع وبقدر إدراك البصائر، وبالمقدار الذي بيّنه هو تعالى في كتابه الباهر، وأبان عنه على لسان نبيّه وأوصيائه المعصومين سلام الله عليهم أجمعين.

فالله تعالى هو العالم بذاته وصفاته، لذلك يلزم علينا أن نستمد منه المعرفة بنعوته وأوصافه.

وقد ورد الحديث العلوي الشريف المتقدم:

« اعرفوا الله بالله... »[١].

وفي خطبته المباركة:

« هو الدال بالدليل عليه، والمؤدي بالمعرفة إليه »[٢].

وعلى الجملة فالمذهب الصحيح في المعارف الحقّة هو: معرفة صفات الله تبارك

---

(١) أصول الكافي ٨٥/١ باب أنه لا يعرف إلّا به ح ١.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ٢٠١/١ احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام في التوحيد.

وتعالى بواسطة بيان كتابه الكريم وأحاديث مهابط وحيه، النبيّ وآله المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، كما نُصّ على الاهتداء بهما والتمسك بكليهما في عموم حديث الثقلين: «كتاب الله والعترة»، وخصوص أحاديث أهل البيت عليهم السلام التي منها ما يلي:

١ ـ حديث سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«إيّاكم والتفكر في الله[١]؛ فإنّ التفكر في الله لا يزيد إلّا تيهاً[٢] إنّ الله عزّ وجل لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار»[٣].

٢ ـ حديث عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام بمسائل فيها: أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يوصف بالصورة وبالتخطيط، فإن رأيت ـ جعلني الله فداك ـ أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد.

فكتب (صلى الله عليه) على يدي عبد الملك بن أعين:

« سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب فيه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبّهون الله تبارك وتعالى بخلقه، المفترون على الله.

واعلم رحمك الله أنَّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله (عزَّ وجلَّ)، فأنفِ عن الله البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، ولا تعد

(١) أي في ذات الله تعالى.

(٢) التيه هو التحيّر والضلالة.

(٣) بحار الأنوار ٣/٢٥٩ الباب ٩ ح ٤.

القرآن فتضّل بعد البيان»[١].

٣ـ ما روي عن العالم [الإمام الكاظم] عليه السلام ـ وسألته عن شيء من الصفات ـ فقال:

« لا تتجاوز ممّا في القرآن »[٢].

٤ ـ حديث جعفر بن محمد بن الحكيم الخثعمي قال: اجتمع ابن سالم، وهشام ابن الحكم، وجميل بن درّاج، وعبد الرحمن بن الحجاج، ومحمّد بن حمران، وسعيد بن غزوان، ونحو من خمسة عشر من أصحابنا فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد، وصفة الله عزَّ وجلَّ، وعن غير ذلك، لينظروا أيّهم أقوى حجّة، فرضي هشام بن سالم أن يتكلم عند محمّد بن أبي عمير، ورضي هشام بن الحكم أن يتكلم عند محمّد بن هشام فتكلما وساقا ما جرى بينهما، وقال: قال عبد الرحمن بن الحجاج لهشام بن الحكم: كفرت والله بالله العظيم وألحدت فيه، ويحك! ما قدرت أن تُشبّه بكلام ربّك إلّا العود يضرب به.

قال جعفر بن محمّد بن حكيم: فكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام يحكي له مخاطبتهم وكلامهم، ويسأله أن يعلّمهم ما القول الذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبّار فأجابه في عرض كتابه:

« فهمت رحمك الله، واعلم رحمك الله أنَّ الله أجلّ وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصِفُوه بما وصف به نفسه وكفّوا عمّا سوى ذلك »[٣].

٥ ـ حديث محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

« إيّاكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى

---

(١) بحار الأنوار ٣/٢٦١ الباب ٩ ح ١٢.

(٢) بحار الانوار ٣/٢٦٢ الباب ٩ ح ١٦.

(٣) بحار الانوار ٣/٢٦٦ الباب ٩ ح ٣١.

عظيم خلقه»[١].

٦ ـ ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

« يابن آدم! لو أكل قلبَك طائر لم يُشبعه، وبصرُك لو وضع عليه خُرت أبرة[٢] **لغطاه تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض؟! إن كنت صادقاً فهذه الشمس خَلقٌ من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول».**

و أما اتساع المعرفة وتعاليها فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته، وبها تتفاوت درجات الملائكة والأنبياء والأولياء في معرفة الله عزَّ وجل...»[٣].

ولاحظ لمعرفة صفاته القدسية الألف، دعاء الجوشن الكبير المروي عن سيد الساجدين، عن أبيه، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرين كما في البلد الأمين[٤]، المشتمل على ألف صفة واسم من صفاته وأسمائه المقدسة التي بيّنها نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الدعاء.

ولاحظ لمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العُليا حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي رواه الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد بإسناده عن سليمان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً مئة إلّا واحدة، من أحصاها دخل الجنّة، وهي: الله، الإله، الواحد، الأحد، الصمد، الأوّل، الآخر،

---

(١) حق اليقين ٤٩/١.

(٢) الخُرت: بضم الخاء هو ثقب الأبرة.

(٣) حق اليقين ٤٩/١.

(٤) البلد الأمين ص ٤٠٢.

السميع، البصير، القدير، القاهر، العليّ، الأعلى، الباقي، البديع، البارئ، الأكرم، الظاهر، الباطن، الحيّ، الحكيم، العليم، الحليم، الحفيظ، الحقّ، الحسيب، الحميد، الحفيّ، الرَّبّ، الرَّحمن، الرَّحيم، الذَّاري، الرزَّاق، الرَّقيب، الرَّؤوف، الرَّائي، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبر، السيّد، السبّوح، الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفوّ، الغفور، الغنيُّ، الغياث، الفاطر، الفرد، الفتّاح، الفالق، القديم، الملك، القدُّوس، القويُّ، القريب، القيّوم، القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، المولى، المنّان، المحيط، المبين، المقيت، المصوِّر، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضرِّ، الوتر، النور، الوهّاب، الناصر، الواسع، الودود، الهادي، الوفيّ، الوكيل، الوارث، الباعث، البرّ، التوّاب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الدَّيان، الشكور، العظيم، اللّطيف، الشافي»[1].

وتلاحظ شرح هذه الأسماء الحسنىٰ بعد نقل حديثها في نفس كتاب التوحيد.

وسيأتي في هذا الفصل بيان أنّ من أسمائه الحسنى عدله وعدالته، وأنّ الإعتقاد به من أصول الدين ومن المميزات لأهل الحق عن المخالفين.

فلنبدأ بذكر شمّة منها وبيان جملة من أعرفها للإغتراف من منهلها العذب، والاستفادة من أريجها الطيّب..

بعد تقديم مقدمة موجزة تفيدنا زيادة المعرفة والبصيرة في الموضوع..

ومنه نستمدّ العون ونطلب العصمة وهو وليّ التوفيق.

فنقول: إعلم: أنّ الذات الإلهية المقدسة واجدة لجميع صفات الكمال؛ لأنّ الخلو

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٩٤ الباب ٢٩ ح ٨.

عن الكمال نقصٌ، والنقص منفيّ عن الواجب تعالى.

كما وأنّ هذه الذات الكريمة منزهةٌ عن جميع صفات النقصان، لأن النقص عجزٌ أيضاً، والعجز لا يليق بالذات الكاملة.

ويُسمّى القسم الأول من الصفات بالصفات الثبوتية، وصفات الكمال والجمال.

كما يسمى القسم الثاني بالصفات السلبية، وصفات التنزيه والجلال.

فهو تعالى واجدٌ لجميع صفات الكمال، ونزيهٌ عن جميع صفات الجلال، ومن الواضح أنّ ذاته الكاملة واجبةٌ في الوجود، وهي فوق كل موجود، فتكون مستجمعةً لجميع الصفات الثبوتية، ومنزهةً عن جميع الصفات السلبيّة.

هذا.. ولعدم إمكان معرفة ذاته المتعالية ـ كما قلنا ـ لا يمكننا معرفة كنه صفاته ولا نتمكن من الوصول إلى اللامتناهي من كمالاته خصوصاً وإنّ بعض صفاته عين ذاته ـ كما عرفت ـ لذلك نكتفي في التشرّف بذكر أشهر صفاته الشريفة ونعوته المباركة.

ويلزم التنبيه في البدء على أنّ صفاته المقدّسة تنقسم إلى ضربين:

١ ـ صفات الذات، كالوجود والعلم والقدرة والحياة والسرمدية ونحوها مما هي عين ذاته المقدسة.

٢ ـ صفات الفعل، كالخالقية والرازقية والإحياء والإماتة ونحوها التي انتزعت باعتبار المخلوق والمرزوق والمحيىٰ والممات، فهذه صفات أفعاله لا ذاته، والكمال في هذه الصفات الأخيرة هي قدرته عليها.. وتلك القدرة هي عين ذاته.

ثم الضابط في الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل كما أفاده الأعاظم مثل السيد الشبر في كتابه حق اليقين هو: «إنّ صفات الذات هي ما اتصف الله تعالى بها وامتنع اتصافه بضدها، كالعلم والقدرة والحياة ونحوها، فإنّه لا يجوز أن يقال انّ الله عالم بكذا غير عالم بكذا، أو قادر على كذا وغير قادرٍ على كذا، وسميع وبصير بكذا

وغير سميع وبصير بكذا ونحو ذلك .

وأما صفات الفعل فهي ما يتصف الله تعالى بها وبضدها، كالخالقية والرازقية فإنه يجوز أن يقال: إنّ الله تعالى خلق زيداً ولم يخلق ابنه، وأحيى زيداً وأمات عمراً وأفقر بكراً وأغنى خالداً ونحو ذلك..»[١].

وقد استفيدت هذه الضابطة من ثقة الإسلام الكليني قدس سره في كتابه الشريف الكافي تحت عنوان «جملة القول في صفات الذات وصفات الفعل»، ذكر هذه الضابطة وأفاد فيها أحاديث شريفة كأحاديث الإرادة[٢].

ثم إنّه إذا عرفت أقسام هذه الصفات المقدسة، وحصلت على الميزة بين الضربين من صفاته ـ يعني الذاتية والفعلية ـ ولم يحصل الاشتباه بينهما، نرجع إلى ذكر القسمين من أوصافه الثبوتية والسلبية.

فنذكر أوّلاً جملة من الصفات الثبوتية الكمالية، ثم نبيّن ثانياً نبذةً من الصفات السلبية الجلالية.. والله هو المستعان.

▣ ▣ ▣

(١) حق اليقين ٤١/١.

(٢) أصول الكافي ١١١/١.

١ـ الصفات الثبوتيّة

عرفت أنّه لا يمكن الوصول إلى كنه صفاته، وعدد أوصافه وكلّها جليلة وجميلة، فنكتفي بمقدار يتيسّر لنا بيانه ويشرفنا عنوانه:

١) أنه تعالى عالمٌ، عليم، علام، جلت صفاته وعظمت أسماؤه

فهو العالم بمعنى أنّه عالمٌ بكل معلوم على ما هو عليه من كونه واجباً أو ممكناً أو ممتنعاً، وكلياً أو جزئياً، وسُمّي عالماً لأنّه لا يجهل شيئاً.. كما أفاده الشيخ الطريحي في المجمع[١].

وهو عليم معناه أنّه عليم بنفسه، عالم بالسرائر، مطلعٌ على الضمائر، لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة.. عَلِمَ الأشياء قبل حدوثها وبعدما أحدثها، سرّها وعلانيتها، ظاهرها وباطنها، كما أفاده المحدث الصدوق في كتابه التوحيد[٢].

وهو العلّام، مبالغة في العلم، فهو الذي لا يشذ عنه معلوم، كما أفاده الشيخ الكفعمي في كتابه المصباح[٣].

والدليل على هذه الصفة الكريمة في ذاته المقدّسة، هو الكتاب والسنّة والضرورة

---

(١) مجمع البحرين ص ٥٢٨، مادة (علم).

(٢) التوحيد ص ٢٠١.

(٣) المصباح ص ٣٤٠.

وحكم العقل.

فمن الكتاب آياته الكريمة مثل:

١ ـ قوله عزّ اسمه: **﴿عَالِمِ الغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إلّا في كِتابٍ مُبِينٍ﴾**[١].

٢ ـ قوله عزّ شأنه: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[٢].

٣ ـ قوله عزّ وجهه: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الغُيُوبِ﴾**[٣].

وهذه الصفات الكمالية، ثابتةٌ لله تعالى بالدليل القطعي:

أوّلاً: بنصّ الكتاب الكريم فيما يزيد على مئة آيةٍ كريمة، وقد تقدّم بعضها، وجمعها العلامة المجلسي في كتابه البحار[٤].

ثانياً: بصريح الأحاديث المتواترة التي سيأتي بيان جملة منها، وقد صرح السيّد الشبّر بتواترها في كتابه حق اليقين[٥].

ثالثاً: بضرورة المذهب القائمة على كونه تعالى عالماً، أزلاً وأبداً، بجميع الأشياء كليّاتها وجزئيّاتها، من غير تغيّر في علمه، كما صرح به شيخ الإسلام المجلسي في كتابه البحار[٦].

رابعاً: بالأدلة الاعتبارية العقلية التي توضح علم الله تعالى بالوجوه الثلاثة المقررة

---

(١) سورة سبأ، الآية ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣١.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٨.

(٤) بحار الأنوار ٤/٧٤.

(٥) حق اليقين ١/٢٥.

(٦) بحار الأنوار ٤/٨٧.

التالية:

١ ـ إنّه لو لم يكن تعالى عالماً بجميع الأشياء لزم الجهل ولو في البعض، وهو نقصٌ بل من أعظم النقائص، والخالق المتعال الذي هو واجب الوجود وكامل الذات ومنزه عن نقص الصفات، يستحيل أن يكون جاهلاً، بل هو عالم بجميع الأشياء بلا جهلٍ فيه أبداً.

٢ ـ إنّه تعالى منزهٌ عن الزمان والمكان؛ لأنه خالقها، والخالق مقدَّمٌ على مخلوقاته، والصانع سابقٌ بالنسبة إلى مصنوعاته بالبداهة العقلية، ومن المعلوم أنّ من لا يحيطه الزمان والمكان، بل كان هو المحيط بالزمان، والموجود في كل مكان، حقّ أن يكون عالماً بجميع الأشياء، محيطاً بجميع الأمور في كل الأزمنة وفي جميع الأمكنة، بل لا معنى لأن يجهل شيئاً يقع في زمانٍ أو يحدث في مكان.

وبديهيٌ أنّ الذات المقدّسة موجودةٌ من الأزل إلى الأبد، ومحيطة بكل معدودٍ وعدد، مشرفةٌ على الكون ومسلّطة على التكوين، فكيف لا تعلم الكائنات، أو تجهل الموجودات أو لا تطلع على ما يحدث في الأرضين والسماوات؟!.

وطبيعيّ أنّا نجد أنفسنا محدودين بالزمان والمكان، فلا يمكننا الإطلاع على غير مكاننا أو مستقبل زماننا، لكنّ الله تعالى ليس بمحدود إطلاقاً، بل له الإحاطة الكاملة والسلطنة الشاملة على جميع الأزمنة والأمكنة المخلوقة له، والحادثة بإرادته ومشيئته، فلا معنى لأن يكون زمان ماضٍ أو حال أو مستقبل لخالق الزمان، أو يكون له هذا المكان دون ذلك المكان وهو خالق جميعها، بل من الواضح أن يطلع على جميع ما في الأزمنة والأمكنة فهو العالم بها جميعاً والحاضر الناظر إليها محيطاً.

ومُثّل للاحاطة بمثال تقريبي للتوضيح، وهو مثال الانسان الناظر من شاهق البناء العالي بالنسبة إلى الناظر من رَوزنة الغرفة الصغيرة فالأوّل يرى جميع ما يكون أمامه،

بينما الثاني لا يرى إلّا ما يمرّ أمام رَوزنته.

وكيف لا يعلم الله تعالى جميع الأشياء وقد خلقها وأوجدها؟ هذا من المستحيل.

قال الله تعالى: **﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**[1].

وكيف يعقل أن لا يعلم الله تعالى ضمائر الناس، وقد خلق أشخاصهم وأرواحهم وقلوبهم وعقولهم ومنحهم القوّة والقدرة والتفكير والتعبير؟

قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ﴾**[2].

فلا يبقى شك بل يحكم العقل بكل قطعٍ، بأنّ هذه الذات الشريفة الخالقة المحيطة ذاتٌ عالمة أحاطت بكل شيء علماً، ووسعت كل شيء خُبراً.

٣ ـ إنّ النظم والتدبير، والحكمة والتقدير، والدقة المدهشة العجيبة التي نراها في جميع مجالات الكون، وفي جميع خلائق العالم من انسانها وحيوانها وسمائها وأرضها ونباتها وجميع موجوداتها من المجرة إلى الذرة، تُنبئ عن علم خالقها وعلّامية صانعها، وهذه حقيقة يستكشفها كل من تأمّل فيها وتدبَّر في خلقتها، وأعطى من نفسه الحق والإنصاف وحكّم قضاوة الوجدان الشفّاف..

قال الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد: «من الدَّليل على أنّ الله تبارك وتعالى عالم أنّ الأفعال المختلفة التقدير، المتضادّة التدبير، المتفاوتة الصنعة لا تقع على ما ينبغي أن يكون عليه من الحكمة ممن لا يعلمها، ولا يستمرُّ على منهاج منتظم ممن

---

(١) سورة الملك، الآية ١٤.

(٢) سورة ق، الآية ١٦.

يجهلها، ألا ترى أنّه لا يصوغ قرطاً[1] يحكم صنعته ويضع كلاً من دقيقه وجليله موضعه من لا يعرف الصياغة، ولا ينظّم كتابةً يتبع كل حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة، والعالم ألطف صنعة وأبدع تقريراً ممّا وصفناه، فوقوعه من غير عالم بكيفيّته قبل وجوده أبعد وأشد استحالة»[2].

فمن البديهي أن هذا النظام الكوني الدقيق البهيج، لا يمكن أن ينشأ من الجهل أو يحدث بالصدفة.

بل في جميعها آيات صدق، ودلائل حق تفصح عن علم صانعها، وخبرة بارئها وحكمة فاطرها.

وهي تكشف بوضوح أنّ خالقها كان عليماً بأجزائها وجزئياتها، وخبيراً بربطها وارتباطها، وقادراً على صنعها وتركيبها بأحسن شكل وأبدع صورة.. وبأجمل المناظر وأزهى المظاهر إلى جانب دقّة الفعل ورقّة العمل.

فراجع الوجدان فيما تلاحظ من البراعة العلمية، والدقة الفنية في الآيات الأنفسيّة والآفاقيّة التي تلاحظها في هذا الكون العظيم.

قال الله جلّ جلاله: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[3].

وفي الخطبة العلوية الشريفة:

«دليله آياته، ووجوده إثباته»[4].

وفي الحديث الرضوي المبارك:

---

(١) القرط: هو ما يعلق في شحمة الأذن من دُرة أو جوهرة مصوغة.

(٢) التوحيد ص ١٣٧.

(٣) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٤) الاحتجاج للطبرسي ٢٠١/١.

« بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول تعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته »[١].

ويكفيك ـ بل يغنيك ـ التدبر فيما أرشد إليه الإمام الناطق، أبو عبدالله الصادق عليه السلام، من آيات الله الزاهرة وعجائب خلقته الباهرة، التي تفيض النور الإيماني وتؤدي إلى القطع الوجداني بعلم الله تعالى وحكمته وقدرته.

وذلك في حديث التوحيد الشريف الذي رواه المفضَّل الجعفي كما تلاحظه في البحار[٢]، وشرحه للاستاذ الخليلي في أمالي الإمام الصادق عليه السلام، بأجزائها الأربعة، وهذا الحديث بحقٍّ من أعظم أدلة وجود الله وتوحيده وعلمه، وجدير بالإمعان والدراسة، وهذه الأدلة الجليلة تبرهن على هذه الصفة الكماليّة لله تعالى شأنه وجلّت قدرته..

ونحن نقتطف أزاهير عاطرة من تلك الرياض الزاهرة بالإشارة إلى ما يلي:

١ ـ عجائب خلقة الإنسان من حين تكوّنه إلى حين ولادته:

« نبتدئ يا مفضّل! بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة[٣]، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة، فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه، وقوي أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقاة

---

(١) عيون الأخبار ١٥١/١.

(٢) بحار الأنوار ٥٧/٣ ـ ١٥١.

(٣) المشيمة: غشاء الجنين الذي يخرج معه عند الولادة.

الضياء، هاج الطلق بأمّه فأزعجه أشد إزعاج، وأعنفه حتى يولد، وإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثدييها فانقلب الطعم واللّون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشدُّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمظ وحرّك شفتيه طلباً للرضاع فهو يجد ثديي أمّه كالإداوتين المعلقتين[1] لحاجته إليه، فلا يزال يغتذي باللبن مادام رطب البدن، رقيق الأمعاء، ليّن الأعضاء، حتى إذا تحرك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوي بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس، ليمضغ به الطعام فيلين عليه، ويسهل له إساغته.. فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعزُّ الرجل الذي يخرج به من حدّ الصبا وشبه النساء، وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقياً من الشعر، لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه»[2].

٢ ـ عجائب الخلقة في جهاز الصوت والتكلّم في الانسان:

« أطل الفكر يا مفضل! في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الانسان، فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت، واللّسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم، ألا ترى أنَّ من سقطت أسنانه لم يُقم السين، ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجرة يشبه قصبة المزمار، والرية تشبه

---

(١) الإداوة بكسر الهمزة: اناء صغير من جلد يُتخذ للماء.

(٢) بحار الأنوار ٦٢/٣.

الزقّ[١] الذي ينفخ فيه لتدخل الريح، والعضلات التي تقبض على الرية ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزقّ حتى تجري الريح في المزمار، والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي يختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً، غير أنّه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فإنّ المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت»[٢].

٣ ـ عجيب الصنعة في العين والأجفان والأشفار لحاجة الإنسان:

« تأمل يا مفضل! الجفن على العين، كيف جعل كالغشاء، والأشفار كالأشراج[٣]، وأولجها في هذا الغار، وأظلّها بالحجاب وما عليه من الشعر»[٤].

٤ ـ عجائب الصنعة الباطنية في الأنسان:

« يا مفضل! من غيّب الفؤاد في جوف الصدر، وكساه المدرعة التي هي غشاؤه، وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللّحم والعصب لئلا يصل إليه ما ينكؤه[٥]؟

من جعل في الحلق منفذين؟ أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتّصل بالرية، والآخر منفذ الغذاء وهو المريء المتصل بالمعدة الموصل الغذاء إليها، وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل إلى الرية

---

(١) الزق بكسر الزاء: الجلد النافخ الذي يستعمل في العزمار.

(٢) بحار الأنوار ٣/٧١.

(٣) وفي نسخة الأشراح، وهي العُرىٰ.

(٤) بحار الأنوار ٣/٧٣.

(٥) إي ما يجرحه ويؤذيه.

فيقتل.

من جعل الرية مروّحة الفؤاد لا تفتر ولا تخلّ؟ لكيلا تتحيّز الحرارة في الفؤاد فتؤدّي إلى التلف.

من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجاً تضبطهما؟ لئلا يجريا جرياناً دائماً فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا؟ بل الذي لايحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر.

من جعل المعدة عصبانيّة شديدة وقدّرها لهضم الطعام الغليظ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء، ولتهضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلّا الله القادر؟

أترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك؟

كلا، بل هو تدبير من مدبّر حكيم، قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إيّاها، لا يعجزه شيءٌ وهو اللطيف الخبير»[١].

٥ ـ عجائب الخلقة في عظام الإنسان ودمه وأظفار أصابعه وهيأة أُذنه والدقة في خلقه:

«فكر يا مفضل! لم صار المخُّ الرقيق محصّناً في أنابيب العظام؟ هل ذلك إلّا ليحفظه ويصونه؟

لِمَ صار الدم السائل محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلّا لتضبطه فلا يفيض؟

لِمَ صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلّا وقاية لها ومعونة على العمل؟

(١) بحار الأنوار ٧٣/٣.

لِمَ صار داخل الأُذن ملتوياً كهيأة الكوكب[1] إلّا ليطّرد فيه الصوت حتى ينتهي إلى السمع وليتكسر حمّة الريح فلا ينكأ في السمع ؟

لِمَ حمل الانسان على فخذيه وإليتيه هذا اللحم إلّا ليقيه من الأرض فلا يتألم من الجلوس عليهما، كما يألم من نحل جسمه وقلَّ لحمه إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها ؟...»[2].

٦ ـ حسن التدبير في خلق شعر الإنسان وأظفاره عديمي الحس حتى لا يتأذيان بالقص:

« تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار فإنهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج إلى تخفيفه أوّلاً فأوّلاً جعلا عديمي الحس لئلا يولم الإنسان الأخذ منهما، ولو كان قصُّ الشعر وتقليم الأظفار مما يوجد له مسٌّ من ذلك لكان الإنسان من ذلك بين مكروهين: إمّا أن يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه، وإمّا أن يخفّفه بوجع وألم يتألّم منه »[3].

٧ ـ دقة الصنعة في إحساسات الإنسان بجوعه وعطشه وكذا قواه الباطنية من قوة الجذب والدفع:

« فكر يا مفضل! في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبّر فيها فإنّه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسها محرّك يقتضيه ويستحثُّ به فالجوع يقتضي الطعم الذي به حياة البدن وقوامه،

---

(١) وفي بعض النسخ: اللولب، وهي الآلة ذات محور له دوائر ناتئة.

(٢) بحار الأنوار ٣/٧٤.

(٣) بحار الأنوار ٣/٧٦.

والكرى[١] تقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه، ولو كان الإنسان إنّما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه ولم يجد من طباعه شيئاً يضطرُّه إلى ذلك كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالتثقل والكسل حتى ينحلَّ بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد إلى الدواء بشيء مما يصلح ببدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض والموت، وكذلك لو كان إنّما يصير إلى النوم بالتفكر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك فيدمغه حتى ينهك بدنه، ولو كان إنّما يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه حتى يقلَّ النسل أو ينقطع، فإنَّ من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به، فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه[٢].

واعلم أنَّ في الإنسان قوى أربعة: قوة جاذبةٌ تقبل الغذاء وتورده على المعدة، وقوة ممسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها، وقوة هاضمة وهي التي تطبخه، وتستخرج صفوه وتبثّه في البدن، وقوّة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها.

تفكر في تقدير هذه القوى الأربعة التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والارب فيها، وما في ذلك من التدبير والحكمة، ولولا

---

(١) الكرى: النعاس الذي يكون مع فتور الأعصاب وتراخي الأجفان، والإجمام هي الراحة.

(٢) أي يبعثه ويسوقه إليه.

الجاذبة كيف يتحرك الإنسان لطلب الغذاء التي بها قوام البدن؟ ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة؟ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسدُّ خلله؟ ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلّفه الهاضمة يندفع ويخرج أوّلاً فأوّلاً؟ أفلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه؟ وسأُمثل لك في ذلك مثالاً: إنَّ البدن بمنزلة دار الملك، وله فيها حشم وصبية وقُوّام[1] موكّلون بالدار، فواحد لإقضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم، وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج ويهيأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها؛ فالملك في هذا هو الخلّاق الحكيم ملك العالمين، والدار هي البدن، والحشم هي الأعضاء، والقوام هي هذه القوى الأربع، ولعلّك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الذي وصفت فضلاً وتزداداً.

وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذُكرت في كتب الأطباء، ولا قولنا فيه كقولهم؛ لأنّهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطبِّ وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي، كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها»[2].

٨ ـ قوّة الحفظ والنسيان وهما متضادتان في الجسم لكن ضروريتان للإنسان:

---

(١) الحشم: هم الخدم والعيال، والقُوّام: جمع القيّم، وهو المتولي على الشيء.

(٢) بحار الأنوار ٣/٧٨.

« تأمّل يا مفضل! هذه القوى التي في النفس وموقعها من الإنسان، أعني الفكر والوهم[١] والعقل والحفظ وغير ذلك، أفرأيت لو نقص الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله ؟ وكم من خلل كان يدخل عليه في اُموره ومعاشه وتجاربه إذا لم يحفظ ما له وعليه، وما أخذه وما أعطى، وما رأى وما سمع، وما قال وما قيل له، ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به، وما نفعه مما ضرَّه، ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره، ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى، بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانية أصلاً فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال، وكيف موقع الواحد منها دون الجميع ؟ وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان، فإنّه لولا النسيان لما سلا[٢] أحد عن مصيبة، ولا انقضت له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات، ولا رجا غفلة من سلطان، ولا فترة من حاسد: أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان، وهما مختلفان متضادّان، وجعل له في كلّ منهما ضرب من المصلحة ؟ وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادّة المتبائنة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة »[٣].

٩ ـ حكمة فضيلة علم الإنسان وفي مقابله جهله بمقدار عمره، وإلّا لم يكن

---

(١) فُسّر الوهم بالقوة النفسية التي تدرك المعاني غير المحسوسة.

(٢) سَلا عن الشيء: أي نسيه وذهل عن ذكره وطابت نفسه عنه.

(٣) بحار الأنوار ٣/٨٠.

يتهنّأ بالعيش أو يستقر له قرار:

« تأمّل الآن يا مفضل! ما ستر عن الأنسان علمه من مدة حياته فإنه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقّب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه، بل كان[1] بمنزلة من قد فنى ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر، على أنّ الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال؛ لأنّ من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس.

وإن كان طويل العمر، ثم عرف ذلك وثق بالبقاء وانهمك في اللذات والمعاصي، وعمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله »[2].

١٠ ـ عجيب الحكمة في عدم تشابه الناس بعضهم ببعض لأنّهم يحتاجون إلى الإمتياز وحفظ الأنساب بخلاف الوحوش والطير، فإنها لم تحتج إلى ذلك فجعلت متشابهه، مع عجائب أُخرى في التدبير:

« اعتبر لِمَ لا يتشابه الناس واحد بالآخر كما يتشابه الوحوش والطير وغير ذلك؟ فإنك ترى السرب من الظباء والقطا[3] تتشابه حتى لا يفرَّق بين واحد منها وبين الأخرى، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد إِثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة، والعلّة في ذلك أنَّ الناس

---

(١) في نسخة البحار هنا زيادة يكون.

(٢) بحار الأنوار ٣/٨٣.

(٣) السِّرب بكسر السين هو: القطيع والمجموعة، والقطا واحده القطاة: ضرب من الحمام ذي طوق معروف، والظباء جمع ظبية وهي: أنثى الغزال.

محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحُلاهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كلّ واحد منها بعينه وحليته، ألا ترى أنَّ التشابه في الطير والوحش لا يضرُّهما شيئاً، وليس كذلك الانسان فإنّه ربَّما تشابه التوأمان تشابهاً شديداً فتعظم المؤونة على الناس في معاملتهما حتى يعطى أحدهما بالآخر ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلاً عن تشابه الصورة، فمَن لطف لعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب إلّا من وسعت رحمته كل شيء؟ لو رأيت تمثال الإنسان مصوَّراً على حائط فقال لك قائل: إنَّ هذا ظهر هاهنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع أكنت تقبل ذلك؟ بل كنت تستهزئ به فكيف تنكر هذا في تمثال مصوّر جماد ولا تنكر في الإنسان الحيّ الناطق؟! لِمَ صارت أبدان الحيوان وهي تغتذي أبداً لا تنمي، بل تنتهي إلى غاية من النموّ ثم تقف ولا تتجاوزها لولا التدبير في ذلك؟ فإنَّ من تدبير الحكيم فيها أن يكون أبدان كلّ صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير، وصارت تنمي حتّى تصل إلى غايتها ثم يقف ثم لا يزيد والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع، ولو كانت تنمي نموًّا دائماً لعظمت أبدانها واشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حدٌّ يعرف؛ لِمَ صارت أجسام الإنس خاصّة تثقل عن الحركة والمشي[1] ويجفو عن الصناعات اللّطيفة[2] إلّا لتعظيم المؤونة فيما يحتاج إليه الناس للملبس

---

(١) أي المشي الكثير والحركة المجهدة.

(٢) أي الدقيقة المُتعبة.. فهذا مما يدعو إلى المساعدة والمعاضدة بين أفراد الإنسان.

والمضجع والتكفين وغير ذلك.

لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس؟ أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربّه في العافية وبسط يديه بالصدقة؟ ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار[١] ويذلُّ العصاة المردة؟ وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات؟ وبم كان العبيد يذلّون لأربابهم ويذعنون لطاعتهم؟ أفليس هذا توبيخ لابن أبي العوجاء وذويه اللّذين جحدوا التدبير، والمانويّة الذين أنكروا الألم والوجع، لو لم يولد من الحيوان إلّا ذكر فقط أو أناث فقط ألم يكن النسل منقطعاً؟ وباد مع ذلك أجناس الحيوان؟ فصار بعض الأولاد يأتي ذكوراً وبعضها يأتي أناثاً ليدوم التناسل ولا ينقطع.

لم صار الرجل والمرأة إذا أدركا نبتت لهما العانة ثم نبتت اللّحية للرجل وتخلّفت عن المرأة لولا التدبير في ذلك؟ فإنّه لمّا جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيّماً ورقيباً على المرأة وجعل المرأة عُرساً وخولاً للرجل[٢] أعطى الرجل اللّحية لما له من العزّة والجلالة والهيبة، ومنعها المرأة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة؛ أفلا ترى الخلقة كيف يأتي بالصواب في الأشياء وتتخلّل مواضع الخطأ فتعطي وتمنع على قدر الإرب والمصلحة بتدبير الحكيم عزَّ وجلَّ»[٣].

---

(١) الدعار: جمع داعر وهو الشخص الخبيث.

(٢) يقال: خوّله الله تعالى نعمةً أي أعطاه.

(٣) بحار الأنوار ٨٧/٣.

١١ ـ عجائب الحكمة في خلقة الحيوانات، وتربيتها منذ ولادتها وانفقاس البيضة عنها إلى أحيان تربيتها وتغذيتها إلى أن تكمل:

«انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أمّاتها[١] مستقلة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنس، فمن أجل أنّه ليس عند أمّهاتها ما عند أمّهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوّة عليها بالأكف والأصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها، وكذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدُرّاج[٢] والقَبْج[٣] تدرج وتلقط حين ينقاب عنها البيض. فأمّا ما كان منها ضعيفاً لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الأُمّهات فضل عطف عليها فصارت تمجّ الطعام في أفواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقلّ بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الأمُّ على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلٌّ أُعطي بقسط من تدبير الحكيم اللّطيف الخبير»[٤].

١٢ ـ حكمة التدبير في خلق الحيوانات التي تحمل وتسخّر كالحمار والثور والفرس والإبل والغنم ونحو ذلك. ثم حالة العطوفة التي جُعلت لمحافظتها وحراستها في الكلب:

« أما ترى الحمار كيف يذلُّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً

---

(١) أُمّات جمع أم، قيل: إنها تستعمل في البهائم وأما في الناس فهي أمهات.

(٢) الدُرّاج بضم الدال وتشديد الراء: ضرب من الطير، أرقط بسواد وبياض أو أنقط.

(٣) القَبْج بفتح القاف وسكون الباء وقيل: بفتحهما وهو: الحجل أو نوع منه، معرّب (كبك).

(٤) بحار الأنوار ٣/٩٧.

منعماً ؟ والبعير لا يطيقه عدّة رجال لو استعصى، كيف كان ينقاد للصبي ؟ والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير[١] على عنقه ويحرث به ؟ والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمواتاة لفارسه، والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ولو تفرقت الغنم فأخذ كلّ واحد منها في ناحية لم يلحقها، وكذلك جميع الأصناف مسخّرة للإنسان فبِمَ كانت كذلك ؟ إلّا بأنّها عدمت العقل والرويّة فإنّها لو كانت تعقل وتروي في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه، حتى يمتنع الجمل على قائده، والثور على صاحبه، وتتفرق الغنم عن راعيها، وأشباه هذا من الأمور، وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل و رويّة فتوازرت على الناس كانت خليقة أن تجتاحهم[٢] فمن كان يقوم للأسد والذئاب والنمورة والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس، أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يُخاف من إقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها إلّا بالليل ؟ فهي مع صولتها كالخائف للإنس بل مقموعة ممنوعة منهم، ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيّعت عليهم[٣].

ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطفً على مالكه ومحاماةً عنه وحفاظً له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة اللّيل لحراسة منزل صاحبه، وذبِّ الدغار عنه[٤] ويبلغ من محبّته لصاحبه أن يبذل

---

(١) النير بكسر النون هي: الخشبة المعترضة في عنق الثورين باداة الحرث.

(٢) أي تستأصلهم وتهلكهم.

(٣) في نسخة: وضيّقت عليهم.

(٤) الدغار بتخفيف الغين هو: الاختلاس، وفي بعض النسخ: الذعار.

نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله، ويألفه غاية الأُلف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طُبع الكلب على هذا الأُلف إلّا ليكون حارساً للإنسان، أُعين بأنياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنّب المواضع التي يحميها ويخفرها»[١].

١٣ ـ التدبير اللطيف في خلق الفيل وتناوله بمشفره وخرطومه، حيث لم يتمكن من الوصول إلى الطعام برأسه:

« تأمّل مِشفر الفيل[٢] **وما فيه من لطيف التدبير فإنّه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما إلى جوفه، ولولا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض لأنّه ليست له رقبة يمدّها كسائر الأنعام، فلما عدم العنق أُعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله فيتناول به حاجته، فمن ذا الذي عوّضه مكان العضو الذي عدمه ما يقوم مقامه إلّا الرؤوف بخلقه؟ وكيف يكون هذا بالإهمال كما قالت الظَلَمة؟»**[٣].

١٤ ـ الفطرة العجيبة في الوحوش والسباع في دفن موتاها وستر جيفها:

« فكّر يا مفضل! في خلقة عجيبة جعلت في البهائم، فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم، وإلّا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء؟ وليست قليلة فتخفى لقلّتها؛ بل لو قال قائل: إنّها أكثر من الناس لَصَدق، فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري

---

(١) بحار الأنوار ٣/٩٤.

(٢) المشفر بكسر الميم هي شفة الحيوان، وفي الفيل هو الخرطوم.

(٣) بحار الأنوار ٣/٩٦.

والجبال من أسراب الظبا والمها[١] والحمير والوعول[٢] والأيائل[٣] وغير ذلك من الوحوش، وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها، وضروب الهوام والحشرات ودواب الأرض، وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والإوزّ والكراكي[٤] والحمام وسباع الطير جميعاً وكلّها لا يرى منا شيءٌ إذا ماتت إلّا واحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع، فإذا أحسوا بالموت كمنوا في مواضع خفيّة فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء ويحدث الأمراض والوباء، فانظر إلى هذا الذي يخلص إليه الناس وعلموه بالتمثيل الأوّل الذي مثل لهم كيف جعل طبعاً وادّكاراً في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرّة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد»[٥].

١٥ ـ عجيب التفكير والتدبير في الحيوانات كالغزال الذي يأكل الحيّات ولا يشرب الماء حتى ينتشر السمّ في بدنه، وكذلك الدلفين يحتال لصيد الطير والثعلب يدبر غذاءه في صيده:

«فكّر يا مفضل! في الفِطَن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفاً من الله عزَّ وجلَّ لهم، لئلا يخلو من نعمه جلَّ وعزَّ أحدٌ من خلقه لا بعقل ورويّة فإن الأُيّل يأكل الحيات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أن يدبّ السمُّ في جسمه فيقتله، ويقف

---

(١) المها جمع مهاة، وهي: البقرة الوحشية.

(٢) الوعول جمع وعل، وهو: المعز الجبلي.

(٣) الأيائل جمع أيّل، نوع من الوعول يمتاز بقرون متشعبة يسمى بالفارسية: گَوَزن.

(٤) الكراكي جمع كركي بضم الكاف الأولى: طائر كبير أغبر اللون، طويل العنق والرجلين، أبتر الذنب، يأوى إلى الماء.

(٥) بحار الأنوار ٣/٩٩.

على الغدير وهو مجهود عطشاً، فيعجُّ عجيجاً عالياً ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته، فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظماء الغالب خوفاً من المضرّة في الشرب، وذلك مما لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه.

والثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتاً فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها؛ فمن أعان الثعلب العديم النطق والرويّة بهذه الحيلة إلّا من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه؟ فإنّه لمّا كان الثعلب يضعف عن كثير مما يقوى عليه السباع من مساورة الصيد أُعين بالدهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه.

والدُلفين[1] **يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويشرحه حتى يطفو على الماء، يكمن تحته ويُثوّر الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه، فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها، فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة؟»**[2].

١٦ ـ دقيق الصنع في الطائر بجعل خلقته خفيفةً مساعدة على الطيران مع إحكام في بدنه وريشه ومآكله:

«تأمّل يا مفضل! جسم الطائر وخلقته فإنّه حين قدّر أن يكون طائراً في الجو خفّف جسمه و أُدمج خلقه، فاقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع الخمس على أربع، ومن منفذين للزبل والبول على

---

(١) الدُلفين بضم الدال وسكون اللام: من الحيتان البحرية الكبيرة تسمى في العربية الدخس.

(٢) بحار الأنوار ٣/١٠٠.

واحد يجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ[١] محدّد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه، كما جعل السفينة بهذه الهيأة لتشقّ الماء وتنفذ فيه، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران، وكسي كله الريش ليداخله الهواء فيقلّه[٢]، ولما قدر أن يكون طعمه الحبّ واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ نقص من خلقه الأسنان، وخلق له منقار صلب جاسٍ[٣] يتناول به طعمه فلا ينسجح من لقط الحبّ، ولا يتقصف من نهش اللحم، ولما عدم الأسنان وصار يزدرد الحب صحيحاً واللحم غريضاً[٤] أُعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغني به عن المضغ: واعتبر ذلك بأنّ عجم العنب[٥] وغيره يخرج من أجواف الإنس صحيحاً، ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر، ثم جعل مما يبيض بيضاً ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فإنّه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلاً للأمر الذي قدِّر أن يكون عليه، ثم صار الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه أُسبوعاً، وبعضها أسبوعين، وبعضها ثلاثة أسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه فيزقّه الريح لتتّسع حوصلته للغذاء ثم يربّيه ويغذّيه بما يعيش به فمن كلّفه أن يلقط الطعم ويستخرجه بعد أن يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه؟ ولأي

---

(١) الجؤجؤ من الطائر هو: الصدر، والجمع جآجئ.

(٢) أي يحمله ويرفعه.

(٣) الجاسي هو: الصلب، وعدم الانسجاح هو: عدم الليونة، ولا يتقصّف، أي لا ينكسر.

(٤) الغريض هو: الطريّ.

(٥) عُجم العنب هو: نواه الصغير.

معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي رويّة ولا تفكر ؟ ولا يأمل في فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العزّ والرفد[١] وبقاء الذكر ؟ فهذا هو فعل يشهد بأنّه معطوف على فراخه، لعله لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره.

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ. وليس لها بيض مجتمع ولاوكر[٢] موطئ بل تنبعث وتنتفخ وتقوقى[٣] وتمتنع من الطعم حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ، فلم كان ذلك منها إلّا لإقامة النسل ؟ ومن أخذها بإقامة النسل ولا رويّة ولا تفكر لولا أنّها مجبولة على ذلك ؟.

اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المح الأصفر الخاثر[٤]، والماء الأبيض الرقيق، فبعضه لينتشر منه الفرخ، وبعضه ليغذي به[٥]، إلى أن تنقاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير فإنّه لو كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحصنة التي لا مساغ لشيء إليها لجعل معه جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها، كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكفي به إلى وقت خروجه منه.

---

(١) الرفد بكسر الراء هي: المعونة والعطاء.

(٢) الوكر بفتح الواو هو: عش الطائر.

(٣) أي تصيح.

(٤) المُحّ بضم الميم هي: صُفرة البيض، والخاثر هو: الثخين.

(٥) في نسخة: ليغتذي به.

فكّر في حوصلة الطائر وما قدِّر له، فإنّ مسلك الطعم إلى القانصة[١] ضيق لا ينفذ فيه الطعام إلّا قليلاً قليلاً، فلو كان الطائر لا يلتقط حبّة ثانية حتى تصل الأُولى إلى القانصة لطال عليه، ومتى كان يستوفي طعمه؟ فإنّما يختلسه اختلاساً لشدّة الحذر، فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلّقة أمامه ليوعي فيها ما أدرك من الطعم بسرعة ثم تنفذه إلى القانصة على مهل، وفي الحوصلة أيضاً خلّة أخرى: فإنّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب أسهل عليه.

وتأمل ريش الطير كيف هو؟ فإنّك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك[٢] دقائق قد اُلّف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة، ثم ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح قليلاً ولا ينشق لتداخله الريح فيقلّ الطائر إذا طار، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته، وهو القصبة التي هو في وسط الريشة، وهو مع ذلك أجوف ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران.

هل رأيت يا مفضل! هذا الطائر الطويل الساقين[٣]؟ وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه؟ فإنّه أكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنّه ربيئة[٤] فوق مرقب وهو يتأمل ما يدب في الماء فإذا رأى شيئاً مما يتقوّت به خطا خطوات رقيقاً حتى يتناوله، ولو كان قصير

---

(١) القانصة للطير كالمعدة للإنسان.

(٢) سلوك جمع سلك وهو: الخيط.

(٣) تنطبق هذه الأوصاف على الطائر المائي المعروف بالأنيس.

(٤) الربيئة: العين التي ترقب.

الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويـذعر منه فيتفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يـفسد عليه مطلبه.

تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فإنّك تجد كل طائر طويل السـاقين طويل العنق وذلك ليتمكّن من تناول طعمه من الأرض، ولو كـان طـويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، وربما أُعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولةً له وإمكـاناً أفـلا ترى أنّك لا تفتش شـيئاً مـن الخـلقة إلّا وجـدته عـلى غـاية الصـواب والحكمة ؟.

انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار ؟ فهي لا تفقده ولا هي تجده مجموعاً معدًّا بل تناله بالحركة والطلب، وكذلك الخلق كلّه فسبحان من قدّر الرزق كيف قوّته ؟ فلم يجعل مما لايقدر عليه إذ جعل للخلق حاجة إليه ولم يجعله مبذولاً وينال بالهوينا[١] إذا كان لاصلاح في ذلك فـإنّه لو كان يوجد مجموعاً معدًّا كانت البـهائم تـتقلّب عـليه ولا تـنقلع حـتى تبشم[٢] فتهلك، وكان الناس أيضاً يـصيرون بـالفراغ إلى غـاية الأشـر والبطر حتى يكثر الفساد ويظهر الفواحش.

أَعَلِمْتَ ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلّا بالليل كمثل البوم والهام[٣] والخفاش ؟

(١) الهوينا: الرفق والتؤدة.

(٢) البشم: الاتخام من الطعام.

(٣) الهام جمع هامة: نوع من البوم الصغير.

قلت: لا يا مولاي.

قال: إنَّ معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجوّ من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب[١]، وذلك أنّ هذه الضروب مبثوثة في الجوّ لا يخلو منها موضع.

واعتبر ذلك بأنّك إذا وضعت سراجاً بالليل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كثير فمن أين يأتي ذلك كله إلّا من القرب؟.

فإن قال قائل: إنّه يأتي من الصحاري والبراري. قيل له: كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد؟ وكيف يبصر من ذلك البعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه؟ مع أنّ هذه عياناً تتهافت على السراج من قرب فيدلّ ذلك على أنّها منتشرة في كلّ موضع من الجوّ، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوت بها.

فانظر كيف وجّه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلّا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو؛ واعرف مع ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى أن يظنَّ ظانٌّ أنّها فضل لا معنى له.

خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الأربع أقرب، وذلك أنّه ذو أذنين ناشزتين[٢] وأسنان ووبر وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول ويمشي إذا مشى على أربع، وكلُّ هذا خلاف صفة الطير، ثم هو أيضاً ممّا يخرج بالليل ويتقوت ممّا يسري في الجوّ من الفراش وما أشبهه؛ وقد قال قائلون: إنه لا طُعم للخفاش، وإنّ غذاءه من النسيم وحده، وذلك

---

(١) اليعاسيب جمع يعسوب، هو: ذكر النحل وأميرها.

(٢) من النشوز بمعنى الارتفاع عن المكان.

يفسد ويبطل من جهتين: إحداهما خروج ما يخرج منه من الثفل والبول فإنّ هذا لا يكون من غير طُعم، والأُخرى أنّه ذو أسنان ولو كان لا يـطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنى، وليس في الخلقة شيء لا معنى له؛ وأمّا المآرب فيه فمعروفة حتى أنّ زبله يدخل في بعض الأعمال؛ ومن أعظم الإرب فيه خلقته العجيبة الدالّة على قدرة الخالق جلّ شأنه، وتـصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة.

فأمّا الطائر الصغير الذي يقال له: «ابن تمرة»[1] فـقد عشّش فــي بـعض الأوقات في بعض الشجر فنظر إلى حيّة عظيمة قد أقبلت نحو عشّه فاغرة فاها لتبلعه فبينما هو يتقلب ويضطرب في طـلب حـيلة مـنها إذ وجـد حسكة فحملها فألقاها في فم الحيّة، فلم تزل الحيّة تلتوي وتتقلب حتى ماتت. أفرأيت لو لم أُخبرك بذلك كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنّه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة؟ اعتبر بهذا وكثير من الأشياء تكون فيها منافع لا تعرف إلّا بحادث يحدث به أو خبر يسمع به.

انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل، وتهيئة البيوت المســدّسة وما ترى في ذلك اجتماعه من دقائق الفطنة فإنّك إذ تأملت العمل رأيته عجيباً لطيفاً، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبيّاً جاهلاً بنفسه فضلاً عـمّا سـوى ذلك، ففي هذا أوضح الدلالة على أنّ الصواب والحكمة في هذه الصـنعة ليس

---

(١) ابن تمرة: طائر أصغر من العصفور جميل المنظر له منقار دقيق يمتص به التمر والزهر.

للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة الناس»[١].

١٧ ـ القوّة المودعة في الجراد على ضعفه بحيث يعجز الملوك عن إزالته:

« انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه فإنّك إذا تأمّلت خلقه رأيته كأضعف الأشياء، وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه. ألا ترى أنّ ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك؟ أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه؟ انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشي السهل والجبل والبدو والحضر، حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا مما يصنع بالأيدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة؟ وفي كم من سنة كان يرتفع فاستدلّ بذلك على القدرة الّتي لا يؤودها شيء ويكثر عليها»[٢].

١٨ ـ عجيب الخلقة في الأسماك حيث هي مستغنيةٌ بالسباحة، وغير محتاجة إلى الرئة ومكسوة بالقشور والأَفلاس لتقيها من الآفات مع كثرة نسلها لكثرة الاحتياج إليها:

« تأمّل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قدِّر أن يكون عليه فإنّه خلق غير ذي قوائم لأنّه لا يحتاج إلى المشي إذا كان مسكنه الماء، وخلق غير ذي رية لأنه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللّجّة، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاّح بالمجاذيف من جانبي السفينة، وكسي جسمه قشوراً متاناً متداخلة

---

(١) بحار الأنوار ١٠٣/٣.

(٢) بحار الأنوار ١٠٨/٣.

كتداخل الدروع والجواشن[١] لتقيه من الآفات فأُعين بـفضل حسّ في الشم لأن بصره ضعيف والماء يحجبه، فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجعه[٢]، وإلّا فكيف يعلم به وبموضعه؟ واعلم أنّ من فيه إلى صماخيه منافذ فهو يعبّ الماء بفيه ويرسله من صماخيه[٣] فيتروح إلى ذلك كما يتروّح غيره من الحيوان إلى تنسُّم هذا النسيم.

فكّر الآن في كثرة نسله وما خصّ به من ذلك فإنّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، والعلّة في ذلك أن يتسع لما يتغذى به من أصناف الحيوان فإنّ أكثرها يأكل السمك حتى أنّ السباع أيضاً في حافات الآجام[٤] عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك فإذا مرَّ بها خطفته فلمّا كانت السباع تأكل السمك والطير يأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك، ودواب الماء والأصداف، والأصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلّا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث؛ مثل القرمز[٥] فإنّه إنّما عرف الناس صبغه بأنَّ كلبة تجول على

---

(١) الجواشن جمع جوشن، وهو: الدرع.

(٢) أي يطلبه في موضعه.

(٣) الصماخ بكسر الصاد: خرق الأذن الباطن الذي ينفذ إلى الرأس، وعبّ الماء بمعنى شربه بمصّ من غير تنفّس.

(٤) جمع الجمع للأجمة بمعنى الشجر الكثير الملتفّ، وقيل: الآجمة تكون من القصب.

(٥) القرمز هو: الصبغ الأحمر.

شاطئ البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمّى الحلزون[١] فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتّخذوه صبغاً، وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان»[٢].

١٩ ـ حكمة التقدير في الألوان التي خلقها الله في هذه الموجودات، كما ترى لون السماء أنسب لون مع عين الإنسان:

« فكّر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإنّ هذا اللّون أشد الألوان موافقة للبصر وتقوية حتّى أنّ من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضرّ ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد، وقد وصف الحذّاق منهم لمن كلّ بصره الإطلاع في إجّانة[٣] خضراء مملوّة ماءاً: فانظر كيف جعل الله جلّ وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المنقلبة عليه فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والرويّة والتجارب يوجد مفروغاً منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون، ويفكر فيها الملحدون، قاتلهم الله أنّى يؤفكون»[٤].

٢٠ ـ عجائب الصنعة، وعلمية الخلقة في جميع الموجودات في هذا الكون في سماواته والأرضين بكواكبها وأشجارها وأعشابها والحر والبرد والصيف والشتاء وجميع الموجودات حيث فيها عبرةٌ لمن فكّر، ودلالة على من دبّر، وآية لعلم الخالق الحكيم:

---

(١) الحلزون: دويبة صغيرة تكون في صدف وهي المعروفة بالبُزاق.

(٢) بحار الأنوار ١٠٩/٣.

(٣) الإجانة بكسر الهمزة وتشديد الجيم: إناء تُغسل فيه الثياب.

(٤) بحار الأنوار ١١١/٣.

« فكّر يا مفضل! في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما إذا امتد إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك، أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مئة ساعة أو مئتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار[١] كل ما في الأرض من حيوان ونبات؟.

أمّا الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدّة، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك سيهلكها أجمع ويؤديها إلى التلف.

وأمّا النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق، وكذلك اللّيل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعاً، وتخمد الحرارة الطبيعيّة من النبات حتى يعفن ويفسد، كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.

اعتبر بهذا الحرّ والبرد كيف يتعاوران[٢] العالم ويتصرفان هذا التصرف من الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فإنه لولا الحر والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت[٣].

فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل فإنّك ترى

---

(١) البوار هو: الهلاك والكساد والبطلان.

(٢) يتعاوران بمعنى يتداولان.

(٣) أخوَت أي جاعت، وانتكثت بمعنى انتقضت.

أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء، والآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان، ولو كان دخول إحداهما على الاخرى مفاجاة لأضرّ ذلك بالأبدان وأسقمها كما أنّ أحدكم لو خرج من حمّام حارّ إلى موضع البرودة لَضرّه ذلك وأسقم بدنه فلم جعل الله عزّ وجلّ هذا الترسل في الحرّ والبرد إلّا للسلامة من ضرر المفاجاة؟ ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرّ المفاجاة لولا التدبير في ذلك؟

فإن زعم زاعم أنَّ هذا الترسل في دخول الحر والبرد إنّما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلة في إبطاء مسيرة الشمس في ارتفاعها وانحطاطها؛ فإن اعتلّ في الإبطاء ببُعد ما بين المشرقين[1] سئل عن العلّة في ذلك.. فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقى من هذا القول حتى استقر على العمد والتدبير؛ لولا الحرّ لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة، ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا، ويريع الريع الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الأرض للبذر. أفلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يولم الأبدان ويمضّها.

وفي ذلك عبرة لمن فكّر، ودلالة على أنّه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه»[2].

---

(١) أي المشرق والمغرب.

(٢) بحار الأنوار ٣/١١٨.

٢١ ـ عجائب الصنع في المعادن وما يستخرج منها:

« فكّر يا مفضل! في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس[١]، والجبس[٢]، والزرانيخ[٣]، والمرتك[٤]، والقونيا[٥]، والزيبق[٦]، والنحاس، والرصاص، والفضّة، والذهب، والزبرجد، والياقوت، والزمرد، وضروب الحجارة، وكذلك ما يخرج منها من القار، والموميا، والكبريت، والنفط، وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم، فهل يخفى على ذي عقل أنّ هذه كلّها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها؟ ثم قصرت حيلة الناس عمّا حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنّهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الذهب والفضة ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشراء والبيع والمعاملات، ولا كان يجيء السلطان الأموال، ولا يدّخرهما أحد للأعقاب، وقد أُعطي الناس مع هذا صنعة الشِبه[٧] من النحاس، والزجاج من الرمل، والفضّة من الرصاص، والذهب من الفضة، وأشباه ذلك مما لا مضرة فيه.

---

(١) الكِلس بكسر الكاف: حجر معروف يستخدم في البناء والطلاء يسمى بالساروج.

(٢) الجبس: حجر الجص الذي يبنى به.

(٣) جمع الزرنيخ، وهو: عنصر سنجابي اللون لمّاع صلب وسمٌ معدني.

(٤) المرتك هو: اكسيد الرصاص يسمى (مرداسنج).

(٥) وفي نسخة التوتيا وهو: معدن صلب أبيض ويسمى بالخارصين وأكسيد الزنك.

(٦) الزيبق هو: الفلز المعروف السائل الكثيف اللمّاع. والمعادن الباقية معروفة.

(٧) الشبه بكسر الشين هو: النحاس الأصفر.

فانظر كيف أُعطوا إرادتهم فيما لا ضرر فيه، ومنعوا ذلك فيما كان ضارًّا لهم لو نالوه؛ ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتاً بماء غزير، لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضّة.

تفكّر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فإنّه أراد جل ثناؤه أن يرى العباد قدرته وسعة خزائنه، ليعلموا أنّه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل، لكن لا صلاح لهم في ذلك، لأنّه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلّة انتفاعهم به؛ واعتبر ذلك بأنّه قد يظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الأواني والأمتعة فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيس جليل آخذ الثمن فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخسّت قيمته؛ ونفاسة الأشياء من عزّتها»[1].

٢٢ ـ عجائب الخلقة في تركيب النخلة:

« فكّر يا مفضل! في النخل فإنّه لما صار فيه أُناث يحتاج إلى التلقيح[2] جعلت فيه ذكورة للقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقح الأناث لتحمل وهو لا يحمل.

تأمل خلقة الجذع[3] كيف هو فإنك تراه كالمنسوج نسجاً من غير خيوط

---

(١) بحار الأنوار ١٢٨/٣.

(٢) التلقيح في النخل يحصل في أعذاق النخيل التي هي على هيأة السنابل المغلّفه بقشرة سميكه تشبه في هيكلها السمكة، فتُجعل سنابل من الذكور وسط سنابل الأناث أو يجعل طحين زهر الفحل الجاف عوض السنبلة الطريّة فيحصل التلقيح.

(٣) الجذع: ساق النخلة، والقنوان جمع قنا والقنو بكسر القاف: العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب.

ممدودة كالسدي وأُخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما ينسج بالأيدي، وذلك ليشتد ويصلب ولا ينقصف من حمل القنوان الثقيلة، وهزّ الرياح العواصب إذا صار نخلة، وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك ممّا يتّخذ منه إذا صار جذعاً.

وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنك ترى بعضه مداخلاً بعضاً طولاً وعرضاً كتداخل أجزاء اللحم، وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتّخذ منه من الآلات فإنّه لو كان مستحصفاً[١] كالحجارة لم يمكن أن تستعمل في السقوف وغير ذلك ممّا يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرّة والتوابيت[٢] وما أشبه ذلك.

ومن جسيم المصالح في الخشب أنّه يطفو على الماء فكلّ الناس يعرف هذا منه وليس كلّهم يعرف جلالة الأمر فيه: فلو لا هذه الخلّة كيف كانت هذه السفن والأظراف[٣] تحمل أمثال الجبال من الحمولة، وأنّى كان ينال الناس هذا الوفق وخفّة المؤونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد؟ وكانت تعظم المؤونة عليهم في حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عسراً وجوده»[٤].

٢٣ ـ عجائب الخلقة في العقاقير وما خصّ بها كلّ واحد منها من دواء في رفع داء:

---

(١) المستحصف هو: الشديد المستحكم.

(٢) التوابيت جمع تابوت بمعنى الصندوق.

(٣) الأظراف جمع ظريف لعله جاء بمعنى الأشياء الظريفة، أو جمع ظرف بمعنى الوعاء.

(٤) بحار الأنوار ١٣٤/٣.

« فكّر في هذه العقاقير[١] وما خص بها كل واحد منها من العمل في بعض الأدواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج[٢]، وهذا ينزف المرّة السوداء مثل الأفتيمون[٣]، وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج[٤]، وهذا يحلل الأورام وأشباه هذا من أفعالها؛ فمن جعل هذه القوى فيها إلّا من خلقها للمنفعة؟

ومن فطم الناس بها إلّا من جعل هذا فيها؟

ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال قائلون؟ وهَب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه فالبهائم كيف فطنت لها؟ حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، وأشباه هذا كثير.

ولعلّك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا اُنس ولا أنيس فتظن أنّه فضل لا حاجة إليه وليس كذلك بل هو طُعم لهذه الوحوش، وحبه علف للطير، وعوده و أفنانه حطب فيستعمله الناس، وفيه بعدُ أشياء تعالج به الأبدان، وأُخرى تدبغ به الجلود وأُخرى تصبغ به

(١) العقاقير جمع عَقّار بالفتح ثم التشديد: ما يتداوى به من النبات والشجر في أصول الأدوية.

(٢) الشيطرج: نبات ينبت غالباً في المقابر والجدران القديمة، له ورق عريض دقيق وزهر أحمر إلى بياض يسمى بمسواك الراعي.

(٣) الأفتيمون: نبات أحمر إلى غُبره ذو عروق دقائق وأوراق صغار وبذره أصغر من حب الخشخاش يلتّف بما يليه وهو مسهلٌ للسوداء.

(٤) السكبينج أو السكنبيج: صمغ النبات يشبه الخيار يُجلب من اصفهان.

الأمتعة، وأشباه هذا من المصالح.

ألست تعلم أنّ أخس النبات وأحقره هذا البردي[١] وما أشبهها: ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتّخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها الملوك والسوقة، والحُصُر التي يستعملها كل صنف من الناس، وليعمل منه الغلف التي يوقى بها الأواني، ويجعل حشواً بين الظروف في الاسفاط لكيلا تعيب وتنكسر، وأشباه هذا من المنافع»[٢].

* * *

وهذه الآيات الجليلة تنبئ بصدقٍ وتدل بحق على أنّ الله تعالى الذي خلقها وصنعها عليم حكيم أحكم وأتقن جزئياتها وكليّاتها ودقائق صنعتها وخلقتها.

وعليه فلا يمكن المساعدة مع قول الحكماء بنفي العلم بالجزئيات عن الله تعالى، بناءاً منهم على أنّ علم الله تعالى حصوليٌّ، كما تلاحظ نقله عنهم في البحار[٣].

فانّه يردّهم العموميّة الوضعيّة المفيدة علم الله تعالى بكل شيء في قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾[٤].

فقد أخبر تعالى وهو الصادق المصدّق، والحق المطلق، بأنّه عالم بجميع الأشياء، فعلمه إحاطيّ حضوريّ يعلم جميع الأشياء، كلّيها وجزئيّها.

كما لا يمكن أيضاً قبول قول الشيخ الرئيس ابن سينا، باستحالة تعلّق علمه

---

(١) البردي: نبات كالقصب ينبت في المستنقعات والشواطئ، في أصول سيقانه زغب ناعم كالقطن ذو حلاوة قليلة.

(٢) بحار الأنوار ١٣٥/٣.

(٣) بحار الأنوار ٨٧/٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٣١.

تعالى بالمفاهيم، تمسكاً بأنّه لابدّ للمفاهيم من وجود خارجيّ أو ذهنيّ والكل محال كما نقله عنه في مجمع البحرين[١].

فإنّه يردّه أنّ هذه اللابدّية إنّما تكون في المخلوقين حيث يكون علمهم محدوداً وعارضاً عليهم، فلا يتقوّم إلّا بأن تكون المفاهيم موجودةً حتى يتعلّق العلم بها بوجود خارجي أو ذهني.. لا في الخالق العليم الذي يكون علمه عين ذاته، وعلمه بجميع الأشياء قبل حدوثها كعلمه بها بعد حدوثها، كما يوضّحه الحديث التالي الذي رواه ثقة الأسلام الكليني بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول:

«لم يزلِ الله عزَّ وجلَّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور...»[٢].

كما لا يمكن أصلاً قبول قول الجبرية بأن العلم بالمعصية يصير سبباً لوقوعها بدعوى عدم تخلّف معصية عن ذلك العلم، لأنّه لو تخلّفت لتبدل العلم جهلاً، كما في البيت الشعري المنسوب إلى الخيّام..

فإنّه يردّه أنّ العلم ليس علةً أو سبباً للمعلوم، والثابت في علم الله تعالى هو معصية العبد لكن باختيار نفس العبد، وبسبب إرادته وبسوء اختياره.

فلا يكون العصيان بسبب علم الله تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، وإنّما يكون العصيان باختيار نفس العبد العاصي.

---

(١) مجمع البحرين ص ٥٢٨.

(٢) أصول الكافي ١/١٠٧ باب صفات الذات ح ١.

فالله تعالى يعلم أنّ العبد سيختار المعصية، ويعلم أيضاً تبدّل عزمه من المعصية إلى الطاعة إذا انصرف عن العصيان.

فعدم عصيان العبد لا يوجب تبدّل العلم إلى الجهل، كما توهّمه الخيّامي؛ لأنّ الله الذي أحاط بكلّ شيء علماً، يعلم جميع حالات العبد، طاعاته ومعصياته وعزماته وانصرافاته في جميع حركاته وسكناته، والله كارهٌ لعصيان عبده ولا يحبّ السوء لعبيده، فكيف يسبِّب عصيانهم أو يجبرهم على المعصية؟!

الشرع والعقل يخالف هذا ويحكم بأن العلم من الله لا يسبب عصيان العبد، بل أنّ عصيان العبد بخيرة نفسه واختياره كما يستفاد من مثل قوله تعالى: **﴿مَنِ اهتَدَى فَإنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإنَّما يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾**[1] وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إثْماً فَإنَّما يَكْسِبُهُ عَلىٰ نَفْسِهِ﴾**[2].

وكما تلاحظ بيانه في أحاديث نفي الجبر والتفويض مثل:

١ ـ ما رواه يونس بن عبدالرحمن عن غير واحد، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، قالا:

«إنَّ الله عزَّ وجلَّ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذبهم عليها، والله أعزُّ من أن يريد أمراً فلا يكون، قال: فسئلا عليهما السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟

قالا: نعم، أوسع مما بين السماء والأرض»[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٢) سورة النساء، الآية ١١١.

(٣) توحيد الصدوق ص ٣٦٠ باب نفي الجبر والتفويض ح ٣.

٢ ـ حديث المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، قال: قلت: وما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته، أنت الذي أمرته بالمعصية»[١].

٣ ـ حديث الحسن بن علي الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: سألته فقلت له:

«الله فوَّض الأمر إلى العباد؟

قال: الله أعزُّ من ذلك.

قلت: فأجبرهم على المعاصي؟

قال: الله أعدل وأحكم من ذلك.

ثم قال: قال الله عزَّ وجلَّ: يا ابن آدم! أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك مني، عملتَ المعاصي بقوَّتي التي جعلتها فيك»[٢].

فالإنسان مختار في أفعاله، ولم يفوض إليه الأمر تفويضاً، ولم يكن عليه مجبوراً بل يصدر عنه اختياراً.. وهذا أمرٌ واضحٌ نحسّه فيما نراه من المساوي التي قد يعلمها الخبير المحسن في فردٍ مسيء، مع بُغض ذلك الخبير لتلك المساوي، وردعه لصاحبها ونهيه عنها ومنعه عن فعلها..

فإنّه إذا ارتكب ذلك الفرد المسيء تلك المساوي بالرغم من نهيه وردعه، لا يشك العقل والعرف أن المقصر هو ذلك الفرد العاصي الذي أساء العمل، لا

---

(١) توحيد الصدوق ص ٣٦٢ باب نفي الجبر والتفويض ح ٨.

(٢) توحيد الصدوق ص ٣٦٢ باب نفي الجبر والتفويض ح ١٠.

الخبير الناهي الذي أراد الخير، فاختيار العاصي هو السبب للعصيان دون علم العالم به، بل العالم منزَّه عنه.

وعلى الجملة فعلم الله تعالى محيط بكلّ الأشياء قاطبة، الكلّيات والجزئيات، الظواهر والخفيّات حتى خطرات النفس والمطويات، وهو كمالٌ وجمالٌ لذاته المتعالية المقدسة، فهو عالم بجميع الأشياء بدون لزوم محذورٍ أو شبهةٍ.

ولمعرفة علمه تعالى لاحظ بعد الآيات المباركات المائة التي أشرنا إلى بعضها في أول هذا البحث، أحاديث حججه وبيانات معادن حكمته الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين.

وإليك نبذةٌ منها، وأريجة من شذاها، رزقنا الله زيادة المعرفة بنورها، فلاحظ الأحاديث التالية:

١ ـ ما حدّث به أبوعلي القصاب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فقلت:

«الحمد لله منتهى علمه، فقال: لا تقل ذلك؛ فإنّه ليس لعلمه منتهى»[1].

٢ ـ حديث هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«العلم هو من كماله»[2].

٣ ـ حديث منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله؟

قال: فقال:

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٣٤ الباب ١٠ ح ١.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٣٤ الباب ١٠ ح ٣.

« بلى قبل أن يخلق السماوات والأرض »[١].

٤ ـ الحديث الآخر لمنصور بن حازم، قال: سألته ـ يعني أبا عبد الله عليه السلام ـ: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله عزَّ وجلَّ ؟

قال:

« لا، بل كان في علمه قبل أن ينشئ السماوات والأرض »[٢].

٥ ـ حديث جابر، قال: قال أبو جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام:

« إنّ الله تباركت أسماؤه وتعالى في علوِّ كنهه أحدٌ، توحد بالتوحيد في توحيده، ثمَّ أجراه على خلقه، فهو أحد، صمد، ملك، قدُّوس، يعبده كلُّ شيء ويصمد إليه، وفوق الذي عسينا أن نبلغ ربّنا، وسع ربّنا كلَّ شيء علماً »[٣].

٦ ـ حديث الحسين بن بشار عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام قال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون أو لا يعلم إلّا ما يكون ؟

فقال:

« إنّ الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤] وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِـمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٥] فقد علم الله عزَّ وجلَّ أنّه لو ردَّهم لعادوا لما

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٣٥ الباب ١٠ ح ٥.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٣٥ الباب ١٠ ح ٦.

(٣) توحيد الصدوق ص ١٣٦ الباب ١٠ ح ٧.

(٤) سورة الجاثية، الآية ٢٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٢٨.

نهوا عنه، وقال للملائكة لمّا قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[١]: فلم يزل الله عزَّ وجلَّ علمه سابقاً للأشياء قديماً قبل أن يخلقها، فتبارك ربّنا تعالى علوّاً كبيراً خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، كذلك لم يزل ربّنا عليماً سميعاً بصيراً»[٢].

٧ ـ حديث عبد الله بن مسكان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى: أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان، أم علمه عند ما خلقه وبعد ما خلقه؟

فقال:

« تعالى الله! بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كوّنه، وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان»[٣].

٨ ـ حديث منصور الصيقل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إنَّ الله علمٌ لا جهل فيه، حياةٌ لا موت فيه، نورٌ لا ظلمة فيه»[٤].

٩ ـ حديث ابن سنان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال:

«إنَّ لله تعالى علماً خاصّاً، وعلماً عامّاً، فأمّا العلم الخاص فالعلم الذي لم يُطْلع عليه ملائكته المقرَّبين وأنبياءه المرسلين، وأمّا علمه العام فإنّه علمه الذي اطلع عليه ملائكته المقرَّبين وأنبياءه المرسلين، وقد وقع

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٣٦ الباب ١٠ ح ٨.

(٣) توحيد الصدوق ص ١٣٧ الباب ١٠ ح ٩.

(٤) توحيد الصدوق ص ١٣٧ الباب ١٠ ح ١١.

إلينا من رسول الله ﷺ »[١].

١٠ ـ حديث عبد الأعلى، عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام، قال:

« علم الله لا يوصف منه بأين، ولا يوصف العلم من الله بكيف، ولا يفرد العلم من الله، ولا يبان الله منه، وليس بين الله وبين علمه حدٌّ »[٢].

١١ ـ حديث هارون بن عبد الملك، قال: سئل أبوعبد الله عليه السلام عن التوحيد،

« فقال: هو عزَّ وجلَّ مثبت موجود، لا مبطل ولا معدود، ولا في شيء من صفة المخلوقين، وله عزَّ وجلَّ نعوت وصفات، فالصفات له، وأسماؤها جارية على المخلوقين مثل السميع والبصير والرؤوف والرَّحيم وأشباه ذلك، والنعوت نعوت الذّات لا تليق إلّا بالله تبارك وتعالى، والله نور لا ظلام فيه، وحيٌّ لا موت له، وعالم لا جهل فيه، وصمد لا مدخل فيه، ربّنا نوريُّ الذَّات حيُّ الذات، عالم الذَّات، صمديُّ الذَّات »[٣].

١٢ ـ حديث أبان بن عثمان الأحمر، قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعاً بصيراً عليماً قادراً؟

« قال: نعم، فقلت له: إنَّ رجلاً ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول: إنَّ الله تبارك وتعالى لم يزل سميعاً بسمع وبصيراً ببصر وعليماً بعلم وقادراً بقدرة، فغضب عليه السلام، ثم قال: من قال ذلك ودان به فهو مشركٌ وليس من ولايتنا على شيء، إنَّ الله تبارك وتعالى ذات عَلّامة سميعة بصيرة قادرة »[٤].

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٣٨ الباب ١٠ ح ١٤.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٣٨ الباب ١٠ ح ١٦.

(٣) توحيد الصدوق ص ١٤٠ الباب ١١ ح ٤.

(٤) توحيد الصدوق ص ١٤٤ الباب ١١ ح ٨.

١٣ ـ حديث صفوان بن يحيى، قال: قلت لأبي الحسن ـ الكاظم ـ عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن المخلوق؟

قال: فقال:

«الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأما من الله عزَّ وجلَّ فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنّه لا يروّي، ولا يهمّ، ولا يتفكر، وهذه الصفات منفيّة عنه، وهي من صفات الخلق، فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له: كن، فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكر، ولا كيف لذلك، كما أنّه بلا كيف»[1].

١٤ ـ حديث هشام بن الحكم، قال في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام أنّه قال له: أتقول: إنّه سميع بصير؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، وليس قولي: إنّه يسمع بنفسه أنّه شيء والنفس شيء آخر، ولكنّي أردت عبارة عن نفسي إذ كنتُ مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنتَ سائلاً، فأقول: يسمع بكلّه، لا أنّ كلّه له بعض، ولكنّي أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلّا إلى أنّه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذّات ولا اختلاف المعنى»[2].

١٥ ـ حديث محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام، قال:

«سمعته يقول: كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما كوّن، فعلمه به

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٤٧ الباب ١١ ح ١٧.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٤٤ الباب ١١ ح ١٠.

قبل كونه كعلمه به بعدما كوَّنه»[١].

١٦ ـ حديث أيّوب بن نوح أنّه كتب إلى أبي الحسن ـ الكاظم ـ عليه السلام يسأله عن الله عزَّ وجلَّ: أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكوَّنها؟ أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عند ما خلق وما كوَّن عند ما كوَّن؟ فوقع عليه السلام بخطه:

« لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء»[٢].

١٧ ـ حديث هشام بن سالم، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي:

« أتنعت الله؟

فقلت: نعم.

قال: هات.

فقلت: هو السميع البصير.

قال: هذه صفة يشترك فيها المخلوقون[٣].

قلت: فكيف تنعته؟

فقال: هو نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، وحقٌّ لا باطل فيه، فخرجت من عنده وأنا أعلم النّاس بالتوحيد»[٤].

١٨ ـ حديث بكير بن أعين، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: علم الله ومشيّته هما مختلفان أم متّفقان؟

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٤٥ الباب ١١ ح ١٢.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٤٥ الباب ١١ ح ١٣.

(٣) أي من حيث المفهوم لا من حيث الحقيقة.

(٤) توحيد الصدوق ص ١٤٦ الباب ١١ ح ١٤.

فقال:

«العلم ليس هو المشيّة، ألا ترى أنّك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله، ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله، فقولك إن شاء الله دليلّ على أنّه لم يشأ، فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء، وعلم الله سابق للمشيّة»[١].

١٩ ـ حديث محمّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾**[٢]؟

قال:

«السرّ ماكتمته في نفسك، وأخفى ما خطر ببالك ثم أُنسيته»[٣].

٢٠ ـ حديث عبد الرحمن بن سلمة الحريري قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾**[٤]؟

فقال:

«ألم تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء وكأنّه لا ينظر إليه فذلك خائنة الأعين»[٥].

٢١ ـ حديث تفسير القمي في قوله: **﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذا تَكْسِبُ غداً وَمَا تَدْري نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[٦].

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٤٦ الباب ١١ ح ١٦.

(٢) سورة طه، الآية ٧.

(٣) بحار الأنوار ٤/٧٩ الباب ٢ ح ٢.

(٤) سورة الغافر، الآية ١٩.

(٥) بحار الأنوار ٤/٨٠ الباب ٢ ح ٤.

(٦) سورة لقمان، الآية ٣٤.

قال الصادق عليه السلام :

« هذه الخمسة أشياء لم يطّلع عليها ملك مقرَّب ، ولا نبيٌّ مرسل ، وهي من صفات الله عزَّ وجلَّ »[(١)].

٢٢ ـ في نهج البلاغة : من خطبة له عليه السلام :

« يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ، ومعاصي العباد في الخلوات ، واختلاف النينان في البحار الغامرات ، وتلاطم الماء بالرياح العاصفات »[(٢)].

٢٣ ـ حديث ثعلبة بن ميمون ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : **﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾**[(٣)].

فقال :

« الغيب : ما لم يكن ، والشهادة : ما قد كان »[(٤)].

٢٤ ـ حديث الهروي عن الامام الرضا عليه السلام ـ في خبر طويل ـ عن قوله تعالى : **﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**[(٥)].

فقال عليه السلام :

« إنّه عزّ وجلّ خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته لا على سبيل الامتحان والتجربة لأنّه لم يزل عليماً بكلّ شيء »[(٦)].

---

(١) بحار الأنوار ٤/٨٢ الباب ٢ ح ٩.

(٢) بحار الأنوار ٤/٩٢ الباب ٢ ح ٤٤ والنينان جمع نون وهو الحوت.

(٣) سورة المؤمنين ، الآية ٩٢.

(٤) بحار الأنوار ٤/٧٩ الباب ٢ ح ٣.

(٥) سورة هود ، الآية ٧ وسورة الملك ، الآية ٢.

(٦) بحار الأنوار ٤/٨٠ الباب ٢ ح ٥.

٢٥ ـ حديث أبي الجارود، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام في قوله:

« ﴿سَوَاءٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾[١] السر والعلانية عنده سواء، وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾[٢] أي مستخف في جوف بيته.

وقال علي بن ابراهيم في قوله: ﴿وَسارِبٌ بِالنَّهارِ﴾[٣] يعني تحت الأرض فذلك كلّه عند الله عزّ وجلّ واحدٌ يعلمه »[٤].

٢٦ ـ حديث محمد بن سنان قال: سألت أباالحسن الرضا عليه السلام: هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟

قال:

« نعم.

قلت: يراها ويسمعها؟

قال: ماكان محتاجاً إلى ذلك لأنّه لم يكن يسألها ولا يطلب منها هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج إلى أن يسمي نفسه، ولكنّه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنّه إذا لم يُدع باسمه لم يعرف. فأوّل ما اختار لنفسه: العليّ العظيم لأنّه أعلى الأسماء كلّها فمعناه: الله، واسمه العليّ العظيم، هو أوّل أسمائه لأنّه عليٌّ علا كل شيء »[٥].

٢٧ ـ حديث حفص قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسِعَ

---

(١) سورة الرعد، الآية ١٠.

(٢) نفس الآية.

(٣) نفس الآية.

(٤) بحار الأنوار ٨٢/٤ الباب ٢ ح ٨.

(٥) بحار الأنوار ٨٨/٤ الباب ٢ ح ٢٦.

﴿كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ﴾[١]؟

قال:

«علمه»[٢].

٢٨ ـ حديث البرقي رفعه قال: قال أبوعبد الله عليه السلام:

«إنَّ لله علمين: علمٌ تعلمه ملائكته ورسله، وعلمٌ لا يعلمه غيره، فماكان مما يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه، وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج»[٣].

٢٩ ـ حديث داود الرقي قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله: **﴿أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾**[٤]؟

قال:

«إنَّ الله هو أعلم بما هو مكوّنه قبل أن يكوّنه وهم ذرّ، وعلم من يجاهد ممّن لا يجاهد، كما علم أنّه يميت خلقه قبل أن يميتهم ولم يرهم موتى وهم أحياء»[٥].

٣٠ ـ حديث الحسين بن خالد قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله: **﴿وَمَا تَسقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلّا يَعْلَمُها وَلا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلّا في كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**[٦]؟

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢) بحار الأنوار ٨٩/٤ الباب ٢ ح ٢٧.

(٣) بحار الأنوار ٨٩/٤ الباب ٢ ح ٣٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤٢.

(٥) بحار الأنوار ٩٠/٤ الباب ٢ ح ٣٥.

(٦) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

فقال:

« الورق: السقط يسقط من بطن أمّه من قبل أن يهلّ الولد[١].

قال: فقلت: وقوله ﴿ولا حبّة﴾؟

قال: يعني الولد في بطن أمّه إذا أهلّ ويسقط من قبل الولادة.

قال: قلت: قوله ﴿ولا رطب﴾؟

قال: يعني المضغة إذا استكنت في الرحم قبل أن يتم خلقها قبل أن ينتقل.

قال: قوله ﴿ولا يابس﴾؟

قال: الولد التام.

قال: قلت: ﴿في كتاب مبين﴾؟

قال: في إمام مبين »[٢].

٣١ ـ حديث أبي معمّر السعدي قال: قال عليٌّ عليه السلام في قول الله: **﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾**[٣]:

« فإنّما يعني أنّهم نسوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا له بالطاعة ولم يؤمنوا به وبرسوله فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً فصاروا منسيّين من الخير »[٤].

٣٢ ـ حريز رفعه إلى أحدهما [أي الإمامين الباقر والصادق] عليهما السلام في قول الله:

---

(١) يقال: أهلَّ الصبي أي رفع صوته بالبكاء حين الولادة.

(٢) بحار الأنوار ٩٠/٤ الباب ٢ ح ٣٦.

(٣) سورة التوبة، الآية ٦٧.

(٤) بحار الأنوار ٩١/٤ الباب ٢ ح ٣٨.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾[١].

قال:

«الغيض كل حمل دون تسعة أشهر، وما تزداد: كل شيء يزداد على تسعة أشهر، وكلما رأت الدم في حملها من الحيض يزداد بعدد الأيّام التي رأت في حملها من الدم»[٢].

* * *

وهذه الأحاديث المباركة المتضافرة تكشف بوضوح عن علمه تعالى بكل الأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها، وتبيّن إحاطته بجميع المخلوقات، ومعرفته لجميع الظواهر والخفيات، وعرفانه جميع الأسرار والمطويّات..

وعلمه نورٌ لا يدرك ولا يُحدّ، وليس له نهايةٌ وأمد.

٢) أنّه تعالى حيٌّ له الحياة الأزليّة الأبديّة، وموصوف بهذه الصفة الكمالية التي هي له صفةٌ ذاتية

ومعنى كونه حيّاً كما أفاده المحدث الصدوق في كتابه التوحيد أنه: «الفعّال المدبِّر، وهو حيٌّ لنفسه لا يجوز عليه الموت والفناء، وليس يحتاج إلى حياةٍ بها يحيى»[٣].

وأفاد الشيخ الكفعمي في كتابه المصباح: «الحي هو الذي لم يزل موجوداً وبالحياة موصوفاً، لم يحدث له الموت بعد الحياة ولا العكس..

---

(١) سورة الرعد، الآية ٨.

(٢) بحار الأنوار ٩١/٤ الباب ٢ ح ٣٩.

(٣) التوحيد للصدوق ص ٢٠١.

فالحي الكامل هو الذي يندرج جميع المدركات تحت إدراكه حتى لا يشذّ عن علمه مدرك، ولا عن فعله مخلوق، وكل ذلك لله، فالحي المطلق هو الله تبارك وتعالى»[١].

وقال السيّد الشبّر في كتابه حق اليقين: «والمراد بالحياة صفة يتأتى معها العلم والقدرة..»[٢].

وقال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: «الحيّ القيّوم أي الباقي الذي لا سبيل للفناء عليه»[٣].

وذكر الراغب في المفردات[٤]: «أنّ الحياة التي يوصف بها الباري تعالى معناها هو أنّه لا يصحّ عليه الموت..».

ثم ذكر أنّ هذه الحياة ليست إلّا لله عزّ وجلّ إذ الحياة جاءت لمعانٍ أُخرى أيضاً هي:

١ ـ القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان، كما قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**[٥].

٢ ـ القوّة الحسّاسة التي بها سمي الحيوان حيواناً، ومنه قوله تعالى: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾**[٦].

---

(١) المصباح ص ٣٢٧.

(٢) حق اليقين ١/٢٩.

(٣) مجمع البحرين ص ٢٤ مادة (حيء).

(٤) المفردات ص ١٣٩.

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

(٦) سورة فاطر، الآية ٢٢.

٣ ـ القوة العاملة العاقلة، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[١].

٤ ـ الحياة الأخروية الأبدية، كما قال تعالى: ﴿اِسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٢].

٥ ـ التلذّذ وارتفاع الغمّ، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣].

وحياة الله تبارك وتعالى فوق هذه الصفات، وأشرف من كل حياة، ولا تُقاس بها هذه الحيويّات الخمسة، فحياته أشرف من هذه الحياة وذاتيّة له بلا ممات.

وقد قام الدليل القرآني والروائي والعقلي على حياته العليا بالبيان التالي:

أولا: دليل الكتاب:

وقد صرح القرآن الكريم بهذه الصفة الجليلة، في آيات عديدة وهي ما يلي:

١ ـ ﴿اللهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٤].

٢ ـ ﴿الٓمٓ * اللهُ لا إِلٰه إِلّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٥].

٣ ـ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[٦].

٤ ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان ١ و٢.

(٦) سورة طه، الآية ١١١.

(٧) سورة الفرقان، الآية ٥٨.

٥ ـ **﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**[١].

ثانيا: دليل السنة:

وقد تضافرت بذكر حياته الكريمة روايات كثيرة، منها ما يلي:

١ ـ حديث منصور الصيقل المتقدم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إنّ الله علمٌ لا جهل فيه، حياةٌ لا موت فيه، نورٌ لا ظلمة فيه»[٢].

٢ ـ حديث يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام:

«رُوينا أنَّ الله علمٌ لا جهل فيه، حياةٌ لا موت فيه، نورٌ لا ظلمة فيه؟

قال: كذلك هو»[٣].

٣ ـ حديث جابر الجعفي، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام قال: سمعته يقول:

«إنَّ الله نورٌ لا ظلمة فيه، وعلمٌ لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه»[٤].

٤ ـ ما تقدم من حديث هارون بن عبد الملك، قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن التوحيد؟

فقال:

«هو عزَّ وجلَّ مثبت موجود، لا مبطل ولا معدود، ولا في شيء من صفة المخلوقين، وله عزَّ وجلَّ نعوت وصفات، فالصفات له، وأسماؤها جارية على المخلوقين مثل السميع والبصير والرَّؤوف والرَّحيم وأشباه ذلك، والنعوت نعوت الذات لا تليق إلّا بالله تبارك وتعالى، والله نور لا ظلام فيه،

---

(١) سورة غافر، الآية ٦٥.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٣٧ الباب ١٠ ح ١١.

(٣) توحيد الصدوق ص ١٣٨ الباب ١٠ ح ١٢.

(٤) توحيد الصدوق ص ١٣٨ الباب ١٠ ح ١٣.

وحيّ لا موت له، وعالم لا جهل فيه، وصمد لا مدخل فيه، ربّنا نوريُّ الذَّات، حيُّ الذَّات، عالم الذَّات، صمديُّ الذَّات»[١].

٥ ـ حديث جابر، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام، قال:

«إنَّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره، نوراً لا ظلام فيه، وصادقاً لا كذب فيه، وعالماً لا جهل فيه، وحيّاً لا موت فيه، وكذلك هو اليوم، وكذلك لا يزال أبداً»[٢].

٦ ـ حديث عبد الأعلى، عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليهما السلام قال:

«إنَّ الله ـ لا إله إلّا هو ـ كان حيّاً بلا كيف ولا أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لمكانه مكاناً، ولا قوي بعد ما كوَّن الأشياء، ولا يشبهه شيء يُكوَّن، ولا كان خلّواً من القدرة على الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلّواً من القدرة بعد ذهابه، كان عزَّ وجلَّ إلهاً حيّاً بلا حياة حادثة، ملكاً قبل أن ينشئ شيئاً ومالكاً بعد إنشائه، وليس لله حدٌّ، ولا يعرف بشيء يشبهه، ولا يهرم للبقاء، ولا يصعق لدعوة شيء ولخوفه تصعق الأشياء كلّها، وكان الله حيّاً بلا حياة حادثة، ولا كون موصوف، ولا كيف محدود، ولا أين موقوف، ولا مكان ساكن بل حي لنفسه، ومالك لم يزل له القدرة، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيّته وقدرته، كان أوَّلاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين، وكلُّ شيء هالك إلّا وجهه، له الخلق والأمر تبارك ربُّ العالمين»[٣].

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٤٠ الباب ١١ ح ٤.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٤١ الباب ١١ ح ٥.

(٣) توحيد الصدوق ص ١٤١ الباب ١١ ح ٦.

٧ ـ الحديث الذي تقدم عن هشام بن سالم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي:

« أتنعت الله ؟ فقلت: نعم، قال: هات، فقلت: هو السميع البصير، قال: هذه صفة يشترك فيها المخلوقون، قلت: فكيف تنعته ؟ فقال: هو نورٌ لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، وحقٌّ لا باطل فيه. فخرجت من عنده وأنا أعلم النّاس بالتوحيد »[1].

ثالثاً: دليل العقل:

.. وهو حاكمٌ بأنّ الله تعالى حيٌّ قيّوم، غير فانٍ ولا ميّت.

فإنّ العقل حينما يرى تجدد الحوادث والموجودات في هذا الكون العظيم، ويلاحظ انتظام السير والسير المنتظم في هذا العالم الكبير، ويتأمّل في التغيّرات العارضة على هذا الرحب الوسيع، من الإحياء والإماتة، ونموّ النباتات والأشجار، ونزول الثلوج والأمطار، وحركات السحاب ودوران الأفلاك، وتغيّرات الهواء وسير الشمس وحركة القمر في الفضاء، وحدوث الليل والنهار، وما يطرأ من المرض والشفاء، واستمرار الحيويّة والإحياء..

حينما يتدبّر العقل في هذه الأمور، يحكم بأنّ خالقها ومدبّرها حيّ يدبّر سيرها ويدير أمورها، ويجزم العقل بأنّ الحيّ يديم حركة الأحياء؛ وإلّا ففاقد الحياة لا يعطيها، والميّت الفاني لا يديمها.

فهو حيّ قيّومٌ في الصفات، قائمٌ على جميع الموجودات وكلّ ذي وجود وذي حياة.

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٤٦ الباب ١١ ح ١٤.

حيٌّ أزلاً وأبداً، به قوام الأحياء ووجود الأشياء، جلّ جلاله وعمّ نواله.

أمّا الأزليّة في حياته؛ فلأنّ هذه الصفة يلزم أن تكون ذاتيّةً له وإلّا لاحتاج إلى من يحييه، وهو يستلزم التسلسل، وهو باطلٌ؛ أو يستلزم التوقف على إحياء نفسه بنفسه، وهو باطلٌ أيضاً.

وأمّا السرمديّة في حياته؛ فلأنّ الحياة الذاتية لا تنفكّ عن الذات، فحيث كانت أزليّة فلابدّ وأن تكون سرمديّة أيضاً، فهو الحيّ الأزليّ السرمديّ الأبديّ.

٣) أنّه تعالى قادر، ليس يعجزه شي، ولا يعجز عن شي، وهو على كل شي، قدير، فهو القادر القدير المقتدر

ولتوضيح معناه نقدّم ما يلي:

أفاد شيخ المحدّثين الصدوق في كتابه التوحيد: «القدير والقاهر معناهما أنّ الأشياء لا تطيق الإمتناع منه ومما يريد الإنفاذ فيها،... والقدرة مصدر قولك: قدر قدرة أي ملك، فهو قديرٌ قادرٌ مقتدرٌ، وقدرته على ما لم يوجد واقتداره على إيجاده هو قهره وملكه له،... قال عزّ ذكره ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ﴾[١] ويوم الدين لم يوجد بعدُ...»[٢].

وأفاد الشيخ الكفعمي في كتابه المصباح: «القادر هو الموجد للشيء اختياراً من غير عجزٍ ولا فتور... والقدير الذي قدرته لا تتناهى فهو أبلغ من القادر ولهذا لا يوصف به غير الله تعالى... والقدرة هي التمكن من إيجاد الشيء... والمقتدر هوالتام القدرة الذي لا يمنعه شيء عن مراده... وقال الشهيد رحمه الله: المقتدر

---

(١) سورة الفاتحة، الآية ٣.

(٢) التوحيد ص ١٩٨.

أبلغ من القادر لاقتضائه الإطلاق، ولا يوصف بالقدرة المطلقة غير الله تعالى. وقيل: قدرة الإنسان هيئة يتمكن بها من الفعل، وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه، والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك»[١].

وأفاد الشيخ الطبرسي في مجمع البيان في معنى القدير: «هو مبالغة القادر. وقيل قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[٢] عامّ، فهو قادر على الأشياء كلّها على ثلاثة أوجه: على المعدومات بأن يوجدها، وعلى الموجودات بأن يفنيها، وعلى مقدور غيره بأن يقدر عليه ويمنع منه»[٣].

وأفاد العلامة الكازراني في مرآة الأنوار: «القدرة بمعنى التمكن من الفعل ضد العجز»[٤].

وأفاد الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: «قدرت على الشيء من باب ضَرَبَ: قويت عليه وتمكنت منه، والإسم القدرة، والفاعل قدير وقادر... والإقتدار أبلغ وأعم. والقادر والمقتدر إذا وصف الله بهما، فالمراد نفي العجز عنه فيما يشاء ويريد... ومحال أن يوصف بالقدرة المطلقة غير الله تعالى وإن اطلق عليه لفظاً... والقدرة عبارة عمّا قضاه الله وحكم به من الأمور»[٥].

وذكر الراغب في المفردات: «إنّ القدير هو الفاعل لما يشاء بما تقتضيه الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يصحّ أن يوصف به إلّا الله تعالى

---

(١) المصباح ص ٣٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠، وغيرها.

(٣) مجمع البيان ٥٩/١.

(٤) مرآة الأنوار ص ١٨٠.

(٥) مجمع البحرين ص ٢٩٥ مادة (قدر).

كما قاله تعالى: ﴿يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[1]».

والمقتدر يقاربه نحو: ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[2] لكن قد يوصف به البشر، وإذا استعمل في الله تعالى فمعناه معنى القدير، وإذا استعمل في البشر فمعناه المتكلف والمكتسب للقدرة.

والمستفاد من ذلك إنّ الله تبارك وتعالى له القدرة المطلقة النافذة في جميع الأشياء لا يعجز عن شيء ولا يعجزه شيء وهو قادر على كل شيء»[3].

وهذا ثابتٌ بالبراهين الحقّة من الكتاب والسنّة والعقل بالبيان التالي:

الأوّل: دليل الكتاب:

وقد صرح القرآن الكريم بقدرة الله البالغة في ما يزيد على خمسين آية نظير ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِم إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَكانَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً﴾[5].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[6].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماوَاتِ ولا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ

---

(١) سورة النور، الآية ٤٥.

(٢) سورة القمر، الآية ٥٥.

(٣) المفردات ص ٣٩٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٠.

(٥) سورة الكهف، الآية ٤٥.

(٦) سورة الإسراء، الآية ٩٩.

كانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾[١].

٥ ـ قوله تعالى: **﴿إنَّما قَوْلُنَا لِشَيءٍ إذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[٢].

الثاني: دليل السنة:

وقد دلّت الأحاديث المتواترة، وصرحت الروايات المتضافرة بقدرته العظيمة، واقتداره الكبير في مثل الأحاديث التالية:

١ ـ حديث محمد بن أبي إسحاق الخفاف، قال: حدَّثني عدَّة من أصحابنا أنَّ عبدالله الدَّيصاني أتى هشام بن الحكم فقال له: ألك ربٌّ؟ فقال: بلى، قال: قادرٌ؟ قال: نعم، قادر قاهر، قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة لا يكبر البيضة ولا يصغر الدنيا؟ فقال هشام: النَظِرة، فقال له: قد أنظرتك حولاً، ثم خرج عنه، فركب هشام إلى أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له فقال: يابن رسول الله! أتاني عبدالله الدَّيصاني بمسألة ليس المعوَّل فيها إلّا على الله. وعليك، فقال له أبوعبدالله عليه السلام: عمّاذا سألك؟ فقال: قال لي كيت وكيت، فقال أبوعبدالله عليه السلام:

«يا هشام! كم حواسك؟

قال: خمسٌ.

فقال: أيّها أصغر؟

فقال: الناظر.

فقال: وكم قدر الناظر؟

---

(١) سورة فاطر، الآية ٤٤.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٠.

قال: مثل العدسة أو أقلّ منها.

فقال: يا هشام! فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى.

فقال: أرى سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وتراباً وجبالاً وأنهاراً.

فقال له أبوعبدالله: إنَّ الذي قدر أن يدخل الذي ترىٰ العدسة أو أقلّ منها قادرٌ أن يدخل الدُّنيا كلّها البيضة لا يصغر الدُّنيا ولا يكبر البيضة.

فانكبَّ هشام عليه وقبَّل يديه ورأسه ورجليه، وقال: حسبي يابن رسول الله، فانصرف إلى منزله، وغدا إليه الدَّيصاني فقال: يا هشام! إنّي جئتك مسلّماً ولم أجئك متقاضياً للجواب.

فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب فخرج عنه الدّيصاني؛ فأُخبر أنَّ هشاماً دخل على أبي عبدالله عليه السلام فعلّمه الجواب فمضى عبدالله الدّيصاني حتى أتى باب أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له فلما قعد قال له: يا جعفر بن محمد! دلّني على معبودي...»[1].

٢ ـ حديث أحمد بن محمّد بن خالد، عن بعض أصحابنا، قال: مرَّ أبوالحسن الرضا عليه السلام بقبر من قبور أهل بيته فوضع يده عليه، ثم قال:

«إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئة فجهلوك وقدَّروك والتقدير على غير ما به وصفوك وإنّي بريء يا إلهي! من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شيء، إلهي! ولن يدركوك، وظاهر ما بهم من نعمتك دليلهم عليك لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي! مندوحة أن يتناولوك بل سوُّوك بخلقك، فمِن ثَمَّ لم يعرفوك، واتّخذوا بعض آياتك ربّاً فبِذَلك وَصَفوك، تعاليت ربّي!

---

(١) إلى آخر الحديث الذي تقدم تمامه.

عما به المشبّهون نعتوك»(١).

٣ ـ حديث أحمد بن محمّد بن أبي نصر، قال: جاء قوم من وراء النهر إلى أبي الحسن [الرضا] عليه السلام فقالوا له: جئناك نسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبتنا فيها علمنا أنّك عالم، فقال: سلوا، فقالوا: أخبرنا عن الله أين كان، وكيف كان، وعلى أيّ شيء كان اعتماده؟

فقال:

«إنَّ الله عزَّ وجلَّ كيّف الكيف فهو بلا كيف، وأيّن الأين فهو بلا أين، وكان اعتماده على قدرته، فقالوا: نشهد أنَّك عالمٌ»(٢).

٤ ـ حديث أحمد بن محسن الميثمي، قال: كنت عند أبي منصور المتطبب، فقال: أخبرني رجلٌ من أصحابي قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبدالله بن المقفع في المسجد الحرام، فقال ابن المقفع: ترون هذا الخلق؟ ـ وأومأ بيده إلى موضع الطواف ـ ما منهم أحدٌ أوجب له اسم الإنسانية إلّا ذلك الشيخ الجالس ـ يعني جعفر بن محمّد عليهما السلام ـ فأمّا الباقون فرعاع وبهائم.

فقال له ابن أبي العوجاء: كيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟

قال: لأنّي رأيت عنده ما لم أر عندهم.

فقال ابن أبي العوجاء: ما بدٌّ من اختبار ما قلت فيه منه.

فقال له ابن المقفع: لا تفعل، فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك.

فقال: ليس ذا رأيك، ولكنّك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحل الذي وصفت.

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٢٤ الباب ٩ ح ٢.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٢٥ الباب ٩ ح ٣.

فقال ابن المقفع: أمّا إذا توهمت عليَّ هذا فقم إليه، وتحفّظ ما استطعت من الزلل، ولا تثن عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقال[1]، وسمه مالك أو عليك[2] قال: فقام ابن أبي العوجاء، وبقيت أنا وابن المقفع، فرجع إلينا، فقال:

« يابن المقفع! ما هذا ببشر، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهراً ويتروَّح إذا شاء باطناً فهو هذا.

فقال له: وكيف ذاك؟

فقال: جلست إليه، فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون ـ يعني أهل الطواف ـ فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم أنتم وهم، فقلت له: يرحمك الله وأيُّ شيء نقول وأيّ شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلّا واحد؟

قال: فكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: إنَّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدينون بأن للسماء إلهاً وأنّها عمران وأنتم تزعمون أنَّ السماء خراب ليس فيها أحد.

قال: فاغتنمتها منه، فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ولم أحتجب عنهم وأرسل إليهم الرُّسل؟! ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به.

---

(١) أي لا ترخ عنانك إلى قبول ما يلقى عليك حتى يعقلك في مقام الجدال بما قبلت منه.

(٢) أي أعلم كلامك وميّز ما فيه نفعك أو ضررك حق التمييز حتى تتكلم بما فيه نفعك وتسكت عما فيه ضررك حتى لا يخصمك.

فقال لي: ويلك! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك نشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد إبائك، وإباءك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك.. وما زال يعدّ عليَّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه»(١).

٥ ـ حديث محمّد بن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إنَّ إبليس قال لعيسى بن مريم عليه السلام: أيقدر ربّك على أن يدخل الأرض بيضة لا يصغر الأرض ولا يكبر البيضة؟

فقال عيسى عليه السلام: ويلك! إنَّ الله لا يوصف بعجز، ومن أقدر ممن يلطف الأرض ويعظم البيضة»(٢).

٦ ـ حديث الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يوصف. قال: وقال زرارة: قال أبو جعفر [الباقر] عليه السلام: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يوصف [بعجز] وكيف يوصف وقد قال في كتابه: ﴿وَمَا

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٢٥ الباب ٩ ح ٤.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٢٧ الباب ٩ ح ٥.

قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[١]**؟! فلا يوصف بقدرة إلّاكان أعظم من ذلك »**[٢].

٧ ـ حديث الحسين بن أبي حمزة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

« قال أبي عليه السلام: إنَّ محمد بن علي بن الحنفية كان رجلاً رابط الجأش ـ وأشار بيده ـ وكان يطوف بالبيت فاستقبله الحَجّاج، فقال: قد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك.

قال له محمّد: كلا! إنَّ لله تبارك اسمه في خلقه كلَّ يوم ثلاث مئة لحظة أو لمحة، فلعلَّ إحداهنَّ تكفّك عني »[٣].

٨ ـ حديث محمّد بن عرفة، قال: قلت للرضا عليه السلام: خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغير القدرة؟

فقال:

« لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنّك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدرة فكأنّك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة له بها خلق الأشياء، وهذا شرك، وإذا قلت: خلق الأشياء بقدرة فإنّما تصفه أنّه جعلها باقتدار عليها وقدرة، ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره »[٤].

٩ ـ حديث علي بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي ابن موسى عليهما السلام، فقال المأمون: يابن رسول الله! أليس من قولك إنَّ الأنبياء معصومون؟

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩١، وسورة الزمر، الآية ٦٧.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٢٧ الباب ٩ ح ٦.

(٣) توحيد الصدوق ص ١٢٨ الباب ٩ ح ٧.

(٤) توحيد الصدوق ص ١٣٠ الباب ٩ ح ١٢.

قال: بلى، فسأله عن آيات من القرآن، فكان فيما سأله أن قال له: فأخبرني عن قول إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[١]؟

قال الرضا عليه السلام:

«إنَّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أني متخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنّه ذلك الخليل، فقال: ربِّ أرني كيف تحيي الموتى، قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي على الخلّة، قال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢] فأخذ إبراهيم عليه السلام نسراً وبطاً وطاووساً وديكاً فقطعهنَّ قطعاً صغاراً، ثم جعل على كلِّ جبل من الجبال التي كانت حوله ـ وكانت عشرة ـ منهنّ جزءاً، وجعل مناقيرهنَّ بين أصابعه، ثم دعاهنَّ بأسمائهنَّ، ووضع عنده حبّاً وماءً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كلُّ بدن حتى انضمَّ إلى رقبته ورأسه، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنَّ فطرن، ثم وقفن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب، وقلن: يا نبي الله! أحييتنا أحياك الله. فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن!..»[٣] والحديث طويل أخذنا

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

(٢) نفس الآية.

(٣) توحيد الصدوق ص ١٣٢ الباب ٩ ح ١٤.

منه موضع الحاجة.

١٠ ـ حديث مثنّى الحنّاط عن أبي جعفر ـ أظنّه محمّد بن نعمان ـ قال: سألت أباعبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ**﴾[١]؟ قال:

«كذلك هو في كلّ مكان. قلت: بذاته؟

قال: ويحك! إنَّ الأماكن أقدار فإذا قلت: في مكان بذاته لزمك أن تقول: في أقدار وغير ذلك، ولكن هو بائنٌ من خلقه، محيطٌ بما خلق علماً وقدرة وإحاطة وسلطاناً وملكاً، وليس علمه بما في الأرض بأقلّ ممّا في السماء، لا يبعد منه شيء، والأشياء له سواء علماً وقدرة وسلطاناً وملكاً وإحاطة»[٢].

١١ ـ حديث هشام بن الحكم، قال: قال أبوشاكر الدَّيصاني: إنَّ في القرآن آية هي قوّة لنا.

قلت: وما هي؟

فقال: ﴿**وَهُوَ الَّذي فِي السَّمَاءِ إِلٰـهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلٰـهٌ**﴾[٣] فلم أدر بما أُجيبه، فحججت فخبّرت أباعبد الله عليه السلام فقال:

«هذاكلام زنديق خبيث، إذا رجعت إليه فقل له: ما اسمك بالكوفة؟

فإنه يقول فلان.

فقل: ما اسمك بالبصرة؟

فإنّه يقول فلان.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٣.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٣٢ الباب ٩ ح ١٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٨٤.

فقل: كذلك الله ربّنا في السماء إله وفي الأرض إله وفي البحار إله وفي كلّ مكان آله.

قال: فقدمت فأتيت أبا شاكر فأخبرته.

فقال: هذه نقلت من الحجاز»(١).

١٢ ـ حديث مقاتل بن سليمان قال: قال أبوعبد الله الصادق عليه السلام:

« لمّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فنادى ربّه عزَّ وجلَّ قـال: يـا ربِّ! أرنـي خزائنك.

فقال: يا موسى! إنّما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن فيكون»(٢).

١٣ ـ حديث سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول لأبـي الطـفيل عامر ابن واثلة الكناني:

« يا أبا الطفيل! العلم علمان: علم لا يسع الناس إلّا النظر فيه وهو صبغة الإسلام، وعلمٌ يسع الناس ترك النظر فيه وهو قدرة الله عزّ وجلّ»(٣).

الثالث: دليل العقل:

فهو يحكم جزماً بل الوجدان أيضاً يحكم بداهةً بقدرة الله تعالى وعدم عجزه إطلاقاً.. وذلك بملاحظة الوجوه العقلية الثلاثة التالية:

١ ـ إنَّ العجز نقصٌ لا يليق بالذات الكاملة، ولا يكون الكامل الواجب ناقصاً؛ فإنّ واجبالوجود مستجمعٌ لجميع الصفات الكماليّة، ومنزهٌ عن النـقائص والصـفات الجلاليّة وإلّا لزم الخُلف وهو محالٌ، فلابدّ وأن يكون قادراً غير عاجز.

---

(١) توحيد الصدوق ص ١٣٣ الباب ٩ ح ١٦.

(٢) توحيد الصدوق ص ١٣٣ الباب ٩ ح ١٧.

(٣) بحار الأنوار ١٣٦/٤ الباب ٤ ح ٢.

٢ ـ إنّ صدور الأفاعيل العجيبة منه، ووجود التدبيرات الحكيمة في خليقته تدلّ على قدرته واقتداره.

ولا يمكن أن يكون صاحبها عاجزاً بل هو عليمٌ حكيم قادر.

وقد شعّ نور هذا البرهان الواضح من أمير البيان علي بن أبي طالب عليه السلام في كلامه الشريف الوارد في غرر الحكم: «**عجبتُ لمن شكَّ في قدرة الله وهويرى خلقه**»[1].

٣ ـ استحالة الصانعيّة والخالقيّة بدون القدرة المطلقة.

أفاد هذا الدليل الشيخ الصدوق في كتابه التوحيد بما نصّه:

«من الدَّليل على أنَّ الله عزَّ وجلَّ قادر: أنَّ العالم لمّا ثبت أنّه صنع الصانع ولم نجد أن يصنع الشيء من ليس بقادر عليه بدلالة أنَّ المُقعَد لا يقع منه المشي والعاجز لا يتأتّى له الفعل صحَّ أنَّ الذي صنعه قادرٌ، ولو جاز غير ذلك لجاز منّا الطيران مع فقد ما يكون به من الآلة، ولصحَّ لنا الإدراك وإن عدمنا الحاسّة، فلمّا كان إجازة هذا خروجاً عن المعقول كان الأوَّل مثله»[2].

فالله تبارك وتعالى قادرٌ على كل شيء ومتمكن من كلّ أمر.. علماً بأنّ قدرته المتعالية جارية مع حكمته وعدله، فلا يفعل القبيح ولا يصدر منه الشرّ، بل فعله الخير وعادته الإحسان وهو قادرٌ على كل شيء.

وبذلك يظهر بطلان قول المعتزلة، بأنّ الله لا يقدر على القبيح والشرّ، بدعوى استلزامه الظلم.

وجه البطلان أنَّ القدرة على القبيح ليست بظلم، وإنّما يكون فعل القبيح ظلماً؛ والله سبحانه وتعالى قادر على ذلك لكنّه منزّه عنه. دليله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ عَلَىٰ**

---

(١) غرر الحكم ودرر الكَلِم ص ٤٩٣.

(٢) التوحيد ص ١٣٤.

﴿كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

مع التعبير بكلمة (أنَّ) التحقيقية والقدرة التي هي مطلقة فتكون لا متناهية، مع أداة (كل) التعميمية بالإضافة إلى كلمة (شيء) المفيد لأتم العموم، حيث يستفاد من ذلك قدرته على جميع الأشياء بلااستثناء لكنه تعالى لا يظلم أبداً لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢].

والمعتزلة بقولهم هذا، فرّوا من الظلم ووقعوا في العجز.

ويظهر أيضاً مما قدمنا بطلان قول الأشاعرة في نسبة الشرّ إلى الله تعالى ووقوعه منه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وجه البطلان أنّ إيقاع الشرّ ظلمٌ وهو منافٍ للحكمة والكمالية.

وأفعال الله جلّ جلاله خيرٌ لخلقه، ولا يريد الشرّ لعباده، ومَن فعله مِن عباده فقد فعله باختياره وسوء عمله.

دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣] مع الأحاديث الواردة في تفسير العبادة بالمعرفة والرحمة في كتاب تفسير البرهان[٤].

فلاحظ تفسيرها وتأمّل في غائيّة العبادة والمعرفة والرحمة للخلقة.

والأشاعرة فرّوا من الشرك في خلق الأفعال بزعمهم، ووقعوا في الظلم في هذه النسبة الذي هو كفرٌ كما أفاده في حق اليقين[٥].

وسيأتي بيان هاتين المسألتين إنشاء الله تعالى في باب العدل، ومن الله التوفيق.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠.

(٢) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٤) البرهان ١٠٥١/٢.

(٥) حق اليقين ٢٣/١.

٤) أنه تعالى مريدٌ ومن صفات كماله إرادته

والإرادة في أصل اللغة بمعنى المشيئة، لكن إرادة الله تفترق عن إرادة المخلوقين، فإرادة الله هو فعله كما قاله أبو الصلاح الحلبي في كتابه تقريب المعارف[١].

واستدلّ لهذا المعنى بقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[٢].

وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ الجليل المفيد قدّس سره، استدلالاً له بالأخبار التي يأتي ذكرها، قال قدّس سرّه: «إنّ الإرادة من الله جلّ اسمه نفس الفعل... وبذلك جاء الخبر عن أئمة الهدى» كما حكاه عنه في البحار[٣].

ونقل في مجمع البحرين الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام:

«إنّ الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد والأسماء ثلاثة»[٤].

والحجة في هذا المعنى إضافةً إلى ما تقدّم، نصّ حديث صفوان بن يحيى عن الإمام الكاظم عليه السلام جاء فيه ما نصّه:

«الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك...»[٥].

فالمستفاد من هذه الأدلة أنّ إرادة الله معناها: إحداثه للأشياء وإبداعه وفعله لها.

لكن فسّرها شيخ المحدثين الصدوق في التوحيد بقوله: «مشيّة الله وإرادته في الطاعات الأمر بها والرضا، وفي المعاصي النهي عنها والمنع منها بالزجر

---

(١) تقريب المعارف ص ٨٥.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٠.

(٣) بحار الأنوار ١٣٨/٤.

(٤) مجمع البحرين ص ٥٢، مادة (شيأ).

(٥) أصول الكافي ١٠٩/١ ح ٣.

والتحذير»[١].

ولعلّ نظره قدّس سرّه إلى إرادة العزم التي جاء ذكرها في حديث الفتح بن يزيد الجرجاني عن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام المذكور في أصول الكافي[٢].

وذكر هذا المعنى أيضاً السيد الشبر في حق اليقين بالتعبير التالي:

«ومعنى إرادته لأفعال عبيده أنّهأراد إيقاع الطاعات منهم على وجه الإختيار... ومعنى كراهته تعالى لأفعال غيره نهيه إيّاهم عن إيقاع المعاصي المفسدة لهم على وجه الإختيار...»[٣].

لكن أفاد بعد هذا المعنى ما نصه:

«قد ورد في جملةٍ من الأخبار عن الأئمةالأطهار عليهم سلام الملك الغفار، أنّ إرادته عبارة عن إيجاده وإحداثه، وأنها من صفات الفعل الحادثة، كالخالقيّة والرازقيّة ونحوها لا من صفات الذات بمعنى العلم بالأصلح»[٤].

وبهذا يظهر عدم تماميّة قول المتكلمين في الإرادة وتفسيرهم لها بأنّها هي: «العلم بالخير والنفع وما هو الأصلح».

فإنّ هذا المعنى يرجع إلى كون الإرادة هوالعلم الذاتي، وهذا خلاف ما يأتي من الأخبار في كون الإرادة محدَثة مع ما له من تالي فاسد القِدَم وتعدد القدماء الذي ثبت بطلانه، فلا يمكن قبول هذا المعنى في الإرادة، والمُتَّبَع كلام أهل البيت الذين بهم النجاة ومنهم الهدى، وفي طريقهم الصواب، والله العاصم.

وعلى الجملة؛ فالمستفاد من الأخبارالشريفة كون إرادة الله تعالى هي نفس فعله

---

(١) التوحيد ص ٣٤٦.

(٢) أصول الكافي ١/١٥١ ح ٤.

(٣) حق اليقين ١/٣٠.

(٤) حق اليقين ١/٣٢.

وإحداثه وإيجاده، وهي الإرادة الحتميّة.

وتطلق أيضاً على أمره بالطاعات ونهيه عن المعاصي، وهي الإرادة العزميّة.

ولذلك أفاد العلامة الكازراني في مرآة الأنوار: «تحقيق المقام أنّ لله تعالى إرادتين، إرادة حتم وإرادة عزم، فالحتمية هي ما لا يقدرالعباد على ضدّ مراده، وهي من صفات فعله يتصّف بها الله تعالى عند صدور كل فعل منه، كالإماتة والإحياء والإمراض والشفاء.

والعزمية هي إتيانه تعالى بشيء من جملةمخلوقاته لمصلحة وحكمة، كخلق جوارح الإنسان وسيلة لصالح أعماله مع استعمال العبد هذه الجوارح في الحلال أو الحرام بفعل نفسه وقد أمره الله تعالى بالحلال، ونهاه عن الحرام»[١].

وقد دلّت البراهين الحقّةعلى إرادة الله تعالى التي هي صفة من صفات كماله ووصفٌ من أوصاف جماله، دلّت عليها أدلة الكتاب والسنة والعقل، بالبيان التالي:

١ ـ الكتاب الكريم:

في آيات عديدة مثل:

١ ـ قوله تعالى: **﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾**[٢].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾**[٣].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾**[٤].

---

(١) مرآة الأنوار ص ١٠٧.

(٢) سورة النساء، الآية ٢٦.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦.

(٤) سورة هود، الآية ١٠٧.

٤ ـ قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾**[١].

٥ ـ قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[٢].

٢ ـ السنة الشريفة:

في أحاديث كثيرة منها ما يلي:

١ ـ حديث محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«المشيّة مُحدَثة»[٣].

٢ ـ حديث عبد الله بن ميمون القداح قال: دخل على أبي عبد الله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام رجلٌ من أتباع بني اُميّة فخفنا عليه، فقلنا له: لو تواريت وقلنا ليس هو هاهنا.

قال: بل ائذنوا له فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ عند لسان كلّ قائل ويد كلّ باسط، فهذا القائل لا يستطيع أن يقول إلّا ما شاء الله، وهذا الباسط لا يستطيع أن يبسط يده إلّا بما شاء الله، فدخل عليه فسأله عن أشياء وآمن بها وذهب»[٤].

٣ ـ حديث الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود! تريد واُريد ولا يكون إلّا ما اُريد، فإن أسلمت لما اُريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما اُريد

---

(١) سورة الحج، الآية ١٤.

(٢) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

(٣) توحيد الصدوق ص ٣٣٦ الباب ٥٥ ح ١.

(٤) توحيد الصدوق ص ٣٣٧ الباب ٥٥ ح ٣.

أتعبتك فيما تريد، ثمّ لا يكون إلّا ما أريد»[١].

٤ ـ حديث سليمان بن جعفر الجعفري قال: قال الرِّضا عليه السلام:

«المشيّة والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أنَّ الله تعالى لم يزل مريداً شائياً فليس بموحّد»[٢].

٥ ـ حديث أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت له:

«إنَّ أصحابنا بعضهم يقولون بالجبر وبعضهم بالاستطاعة.

فقال لي: اكتب: قال الله تبارك وتعالى: يابن آدم! بمشيّتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيت إليَّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيّئاتك منّي، وذلك أنّي لا أُسأل عمّا أفعل وهم يُسألون، قد نظمت لك كلَّ شيء تريد»[٣].

٦ ـ حديث العرزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كان لعليّ عليه السلام غلام اسمه قنبر وكان يحبُّ عليّاً عليه السلام حُباً شديداً، فإذا خرج عليٌّ عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر! مالك؟ قال: جئت لأمشي خلفك، فإنَّ الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك.

---

(١) توحيد الصدوق ص ٣٣٧ الباب ٥٥ ح ٤.

(٢) توحيد الصدوق ص ٣٣٨ الباب ٥٥ ح ٥.

(٣) توحيد الصدوق ص ٣٣٨ الباب ٥٥ ح ٦.

قال: ويحك! أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض ؟!

قال: لا، بل من أهل الأرض.

قال: إنَّ أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلّا بإذن الله عزَّ وجلَّ من السماء، فارجع، فرجع»[1].

٧ ـ حديث فضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«شاء وأراد ولم يحبَّ ولم يرض، شاء أن لا يكون شيء إلّا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحبَّ أن يقال له: «ثالث ثلاثة»، ولم يرض لعباده الكفر»[2].

٨ ـ ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«سبق العلم، وجفَّ القلم، وتم القضاء بتحقيق الكتاب وتصديق الرِّسالة والسعادة من الله والشقاوة من الله عزَّ وجلَّ. قال عبد الله بن عمر: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يروي حديثه عن الله عزَّ وجلَّ قال: قال الله عزَّ وجلَّ: يابن آدم! بمشيّتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبعصمتي وعفوي وعافيتي أدَّيت إليَّ فرائضي، فأنا أولى بإحسانك منك، وأنت أولى بذنبك منّي، فالخير منّي إليك بما أوليت بَداء والشرُّ منّي إليك بما جنيت جزاء، وبسوء ظنّك بي قنطت من رحمتي، فلي الحمد والحجة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء والحسنى عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك، ولم آخذك عند

---

(١) توحيد الصدوق ص ٣٣٨ الباب ٥٥ ح ٧.

(٢) توحيد الصدوق ص ٣٣٩ الباب ٥٥ ح ٩.

عزّتك، ولم أكلّفك فوق طاقتك، ولم أحمّلك من الأمانة إلّا ما قدّرت عليه، رضيت منك لنفسي ما رضيت به لنفسك منّي»[(١)].

٩ ـ حديث أبي الصلت عبدالسلام بن صالح الهروي، قال: سأل المأمون يوماً علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال له: يابن رسول الله! ما معنى قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلّا بِإِذْنِ اللهِ﴾**[(٢)]؟ فقال الرضا عليه السلام:

«حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد ابن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام: أنَّ المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت يا رسول الله! من قدرت عليه من الناس على الإسلام لَكَثُرَ عددنا وقوينا على عدوّنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنت لألقى الله عزَّ وجلَّ ببدعة لم يحدث إليَّ فيها شيئاً و ما أنا من المتكلّفين، فأنزل الله تبارك وتعالى: يا محمّد! ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدُّنيا كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا منّي ثواباً ولا مدحاً، لكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرِّين ليستحقوا منِّي الزُّلفى والكرامة ودوام الخلود في جنّة الخلد ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. وأما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلّا

---

(١) توحيد الصدوق ص ٣٤٠ الباب ٥٥ ح ١٠.

(٢) سورة يونس، الآيتان ٩٩ ـ ١٠٠.

بإذن الله، وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلّفة متعبّدة وإلجاؤه إيّاها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها.

فقال المأمون: فرّجت عنّي يا أبا الحسن فرّج الله عنك»[١].

٣ ـ دليل العقل:

فالعقل حينما يلاحظ الأفعال الكَونيّة، يراها أفعالاً اختيارية ويجد فيها حسن الآثار، والدقائق الكثار، وقرائن الإختيار.

ومن المعلوم أنّ العمل الإختياريّ، والأثر المنظّم لا يكون إلّا عملاً إرادياً مقصوداً.

فوقوع تلك الأفعال المنتظمة مفتقرٌ عقلاً إلى كون فاعلها مريداً لها، قديراً عليها أوجدها بإرادته وصنعها بقدرته، ولم تصدر عفواً أو اعتباطاً بغير مشيئة من حضرته.

فيحكم العقل بداهةً بكون الخالق تعالى مريداً ذا إرادة قاهرة باهرة.

مع أنّها صفة كمال لا يفقدها الكامل، وفقدها نقصٌ يتنزّه عنه ذو الكمال.

٥) أنّه تعالى مُدركٌ

والإدراك في أصل اللغة هو بلوغ أقصى الشيء ومنتهاه.

ويطلق في الإنسان على اطلاعه على الأمور الخارجيّة التي تدرك بالحواسّ الخمسة زائداً على العلم.

فإنه قد يعلم الإنسان شيئاً فيكون عالماً به، ثم يراه عياناً فيكون مدركاً له.

لكن بالنسبة إلى الله تعالى الذي هو منزةٌ عن الحواس يدرك أقصى الشيء وغايته ومنتهاه إدراكاً لا بحاسّة.

---

(١) توحيد الصدوق ص ٣٤١ الباب ٥٥ ح ١١.

بل هو مدرك للأشياء بمعنى أنّه عالم بالمدركات، أي أنّه عالم بما يدرك بالحواس إدراكاً أعظم من إدراكنا، حيث قد يقع الخطأ فيما ندركه، ولا يخطئ الله جلّ شأنه في إدراكه.

فالمراد بإدراكه تعالى هو العلم الخاص، كما أفاده في حق اليقين[١]، ومن هنا يعلم أنّ هذه الصفة الكماليّة من صفات ذاته المقدّسة.

ويدل على هذه الصفة في الله أدلّة العلم الثلاثة المتقدمة.

ويضاف إلى ذلك ما يستفاد من تقريب المعارف: «إنّ وجود المدرك وارتفاع الموانع تستلزم الإدراك، والله تعالى كامل مستجمع لجميع صفات الكمال، ولا سبيل للنقص والموانع إلى ذي الجلال، فيكون مدركاً لكلّ محسوس، وعالماً بكل ما يحسّ»[٢].

ودلائل مدركيّته واضحةٌ بالعيان لكلّ ذي حسٍّ ووجدان..

وكيف لا يدرك المحسوسات مَن هو عالم بالغيوب والخفيّات، بل يعلم السر وأخفى؟

يعلم ما أسرّه الإنسان وما نساه وغاب عن خاطره ويعلم الغيب والشهادة فيكون عالماً بالمحسوسات بالأولويّة القطعية.

فالله تعالى مدركٌ لجميع الأشياء المحسوسة وعالمٌ بكلّ شيء محسوسٍ وغير محسوس، حاضرٍ وغائب، وكلّ غيبٍ وحضور، كما تلاحظ ذلك في أحاديث بحار الأنوار[٣].

---

(١) حق اليقين ١/ ٣٠.

(٢) تقريب المعارف ص ٨٤.

(٣) بحار الأنوار ٤/ ٧٩ الباب ٢ ح ٢ و٣. وقد مرّ آنفاً الحديثان الدالّان عليه في بحث «إنه تعالى عالم...» ص ٩٥ و٩٦ ح ١٩ و٢٣.

٦) أنه تعالى قديم

قال الشيخ الصدوق في التوحيد:

«القديم معناه أنّه المتقدم للأشياء كلّها، وكلُّ متقدِّم لشيء يسمى قديماً إذا بولغ في الوصف، ولكنّه سبحانه قديم لنفسه بلا أوّل ولا نهاية، وسائر الأشياء لها أوّل ونهاية، ولم يكن لها هذا الإسم في بدئها فهي قديمة من وجه ومحدثة من وجه»[١].

وقال في المجمع: «القديم من أسمائه تعالى وهوالموجود الذي لم يزل... وإن شئت فسّرته بالموجود الذي ليس لوجوده ابتداء، وأصل القديم في اللسان: السابق، فيقال: الله قديمٌ، بمعنى أنّه سابق الموجودات كلّها»[٢].

وقال الشيخ الكفعمي في المصباح: «القديم هوالمتقدم على الأشياء الذي ليس لوجوده أوّل، والذي لا يسبقه العدم»[٣].

وقد تطابق على قدمه تعالى الدليل النقليّ والعقلي المفيدان للعلم بأنّه تعالى قديم جلّ جلاله وعظم شأنه.

أمّا الدليل النقلي فكما يلي:

١ ـ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

« الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدالُّ على قدمه بحدوث خلقه...»[٤].

---

(١) التوحيد ص ٢٠٩.

(٢) مجمع البحرين ص ٥٣١، مادة (قدم).

(٣) المصباح ص ٣٤٤.

(٤) نهج البلاغة ص ١٣٧ رقم الخطبة ١٨٠ من الطبعة المصرية.

٢ ـ رواية أبي الحسن الموصلي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

« جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! متى كان ربّك؟

فقال له: ثكلتك أمّك! ومتى لم يكن حتى يقال: متى كان؟! كان ربّي قبل القبل بلا قبل، ويكون بعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنه فهو منتهى كل غاية »[١].

٣ ـ رواية ميمون البان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد سئل عن قوله جلّ وعزّ: **﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾**[٢]؟

فقال:

« الأوّل لا عن أوّل قبله ولا عن بدء سبقه، وآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين، ولكن قديم أوّل آخر، لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال، خالق كلّ شيء »[٣].

٤ ـ رواية نافع بن الأزرق عن أبي جعفر عليه السلام قال:

« أخبرني عن الله عزّ وجلّ متى كان؟

فقال له: ويلك! أخبرني أنت متى لم يكن حتى أخبرك متى كان: سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً »[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٣/٢٨٣ الباب ١٢ ح ١.

(٢) سورة الحديد، الآية ٣.

(٣) بحار الأنوار ٣/٢٨٤ الباب ١٢ ح ٢.

(٤) بحار الأنوار ٣/٢٨٤ الباب ١٢ ح ٣.

٥ ـ رواية أبي بصير قال: أخرج أبوعبد الله عليه السلام حقّاً[1] فأخرج منه ورقة فإذا فيها:

« سبحان الواحد الذي لا إله غيره، القديم المبدئ الذي لا بدء له، الدائم الذي لا نفاد له، الحيّ الذي لا يموت، الخالق ما يرى وما لا يرى، العالم كل شيء بغير تعليم، ذلك الله الذي لا شريك له »[2].

٦ ـ رواية النزال بن سبرة قال: جاء يهودي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! متى كان ربنا؟

قال: فقال له علي عليه السلام:

« إنّما يقال: « متى كان » لشيء لم يكن فكان، وربّنا هو كائن بلا كينونة كائن، كان بلا كيف يكون، كان لم يزل بلا لم يزل وبلا كيف يكون تبارك وتعالى ليس له قبل، هو قبل القبل بلا قبل وبلا غاية ولا منتهى غاية، ولا غاية إليها، غاية انقطعت الغايات عنه، فهو غاية كل غاية »[3].

٧ ـ رواية محمّد بن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

« قال رأس الجالوت لليهود: إنّ المسلمين يزعمون أنّ علياً من أجدل الناس وأعلمهم، اذهبوا بنا إليه لعلي أسأله عن مسألة أُخطئه فيها، فأتاه فقال: يا أمير المؤمنين! إني أريد أن أسالك عن مسألة.

قال: سل عمّا شئت.

قال: يا أمير المؤمنين! متى كان ربُّنا؟

قال: يا يهوديُّ! إنّما يقال: « متى كان » لمن لم يكن فكان: هو كائن بلا

---

(١) الحُقّ والحُقّة بضم الحاء: وعاءٌ من خشب.

(٢) بحار الأنوار ٣/٢٨٥ الباب ١٢ ح ٤.

(٣) بحار الأنوار ٣/٢٨٥ الباب ١٢ ح ٦.

كينونة كائن، كان بلا كيف، يا يهودي! كيف يكون له قبل وهو قبل القبل؟ بلا غاية ولا منتهى غاية... انقطعت الغايات عنه فهو غاية كل غاية. فقال: أشهد أنَّ دينك الحق وأنَّ ما خالفه باطل»[١].

وأمّا الدليل العقلي:

فالعقل يحكم، والضرورة تقضي، والبرهان يفيد أنّه تعالى قديمٌ، ثبت له القدم بالوجوه العقليّة الثلاثة التالية:

الأوّل: ما أفاده أبو الصلاح الحلبي في تقريب المعارف[٢] وهو أنه لو كان فاعل الأجناس محدَثاً غير قديم لاحتاج إلى محدِث، وذلك المحدِث يحتاج إلى محدِث آخر وذلك يقتضي وجود ما لا يتناهى، أو إثبات قديم بدون دليل، وكلا الأمرين محال.

الثاني: ما أفاده السيد الشبر في حق اليقين[٣]، وهو أنه تعالى لو لم يكن قديماً، لم يكن وجوده واجباً، فيكون محتاجاً، يعني محتاجاً إلى ما يوجده، تعالى الله عن ذلك فهو الغني بذاته عمّا سواه، فيكون غنياً عن الإيجاد وموجوداً بالقدم.

الثالث: ما أفاده الميرزا حبيب الله الخوئي في شرح نهج البلاغة[٤]، وهو أنّ الأجسام كلها حادثة، لأنها غير خالية عن الحركة والسكون، وكل حادث مفتقر إلى محدِث وخالق له، وذلك المحدِث الخالق إمّا إن يكون محدَثاً فيحتاج إلى خالقٍ ويتسلسل.. وإمّا أن يكون محدِثاً لنفسه وهو باطلٌ، فإنّ ما لا يوجد لا يمكن أن

---

(١) بحار الأنوار ٢٨٦/٣ الباب ١٢ ح ٧.

(٢) تقريب المعارف ص ٧٦.

(٣) حق اليقين ٢٩/١.

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ١٧٤/٩.

يصدر منه الوجود.

فلابدَ أن يكون المحدث الخالق قديماً أزلياً غنياً لا بداية لوجوده كما لا نهاية له، وهو الله تعالى.

وأوضح الأدلة على قدمه تعالى بحكم العقل الجازم، هو ما أرشد إليه سيد الموحدين وأمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«الحمد لله الدالِّ على وجوده بخلقه، وبمحدَث خلقه على أزليّته...»[١].

وكذلك قوله عليه السلام:

«الدالِّ على قِدَمه بحدوث خلقه»[٢].

فإنّ العقل حينما يرى المخلوقات حوادث متّصفة بالحدوث يكشف ويحكم بأنّ خالقها قديم أزليّ، لمباينته مع خلقه، وعدم اتّصافه بالصفات التي أوجدها في خليقته.

فيستدلّ بحدوث الخلق على قدم الخالق؛ إذ العقل حينما يرى المخلوقات حوادث، يحكم بأنّ خالقها قديم أزليّ، تعالى شأنه وجَلّ كماله.

٧) أنّه تعالىٰ متكلّم

الكلام هي الحروف المسموعة المنتظمة، ومعنى كونه متكلّماً هو أنّه أوجد الكلام كما في المجمع[٣].

وقال العلامة المجلسي في بحار الأنوار: «اعلم أنّه لا خلاف بين أهل الملل

---

(١) نهج البلاغة ص ٥٣ رقم الخطبة ١٤٨ من الطبعة المصرية.

(٢) نهج البلاغة ص ١٣٧ رقم الخطبة ١٨٠ من الطبعة المصرية.

(٣) مجمع البحرين ص ٥٣٦ مادة (كلم).

في كونه تعالى متكلماً لكن اختلفوا في تحقيق كلامه وحدوثه وقدمه فالإمامية قالوا بحدوث كلامه تعالى، وأنّه مؤلّف من أصوات وحروف، وهو قائم بغيره. ومعنى كونه تعالى متكلماً عندهم أنّه موجد تلك الحروف والأصوات في الجسم كاللّوح المحفوظ أو جبرئيل أو النبيّ ﷺ أو غيرهم كشجرة موسى»[١].

وفي منهاج البراعة[٢] أفاد أنه قد تواترت الأنباء عن الرسل والأنبياء، وأطبقت الشرايع والملل على كونه عز وجل متكلماً، لاخلاف لأحدٍ في ذلك، وإنّما الخلاف في معنى كلامه تعالى وفي قدمه وحدوثه.

فذهب أهل الحقّ من الإماميّة إلى أنّ كلامه تعالى مؤلّف من حروف وأصوات قائمةٍ بجوهر الهواء، ومعنى كونه متكلماً هو أنه موجد للكلام في جسم من الأجسام، كالمَلَك والشجر ونحو ذلك.

وعلى مذهبهم فالكلام حادث، لأنّه مؤلّف من أجزاء مترتبة متعاقبة في الوجود وكل ما هو كذلك فهو حادث.

هذا؛ ومن المعلوم أن الكلام من صفات الفعل فيكون حادثاً، فمثل الصوت الذي أوجده في شجرة موسى لابدّ وأن يكون حادثاً ويكون بحدوثه غير مجرّد أيضاً شأن سائر المخلوقات؛ فإنّ الخلقة تساوى الجسميّة.

وعلى الجملة فإيجاد الكلام ناشٍ من قدرته الخاصّة الذاتية، إلّا أنّ نفس كلامه تعالى حادث محدَث، ومن صفات الفعل، بدليل تصريح نفس كلامه المجيد: **﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِن ذِكْرٍ مِن رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلّا اسْتَمَعُوهُ﴾**[٣] كما أفاده في حق اليقين[٤].

---

(١) بحار الأنوار ١٥٠/٤.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢٦٣/١٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢.

(٤) حق اليقين ٣٣/١.

ثم إن الدليل على متكلميته تعالى ثابتٌ قائم من الكتاب والسنة والعقل:

أما الكتاب فآيات كثيرة منها:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسىٰ تَكْلِيماً﴾**[١].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾**[٢].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾**[٣].

وأمّا السنة: فأحاديث عديدة منها:

١ ـ كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جواب ذعلب اليماني الوارد في نهج البلاغة، قال فيها:

«متكلم لا برويّة، مريد لا بهمّة»[٤].

٢ ـ حديث أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«لم يزل الله جلّ اسمه عالماً بذاته ولا معلوم، ولم يزل قادراً بذاته ولا مقدور. قلت: جعلت فداك! فلم يزل متكلماً؟

قال: الكلام محدَث، كان الله عزّ وجلّ وليس بمتكلم ثمّ أحدث الكلام»[٥].

٣ ـ حديث صفوان بن يحيى قال: سأل أبو قرة المحدّث من الرضا عليه السلام فقال: أخبرني ـ جعلني الله فداك ـ عن كلام الله لموسى؟

---

(١) سورة النساء، الآية ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٣) سورة الشورى، الآية ٥١.

(٤) نهج البلاغة ص ١٢٠ رقم الخطبة ١٧٤ من الطبعة المصرية.

(٥) بحار الأنوار ٤/١٥٠ الباب ٦ ح ١.

فقال: الله أعلم بأي لسان كلّمه بالسريانية أم بالعبرانية؛ فأخذ أبو قرة بلسانه فقال: إنّما أسألك عن هذا اللسان.

فقال أبو الحسن عليه السلام:

« سبحان الله مما تقول! ومعاذ الله! أن يشبه خلقه أو يتكلم بمثل ما هم متكلمون، ولكنّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، ولا كمثله قائلٌ فاعلٌ.

قال: كيف ذلك؟

قال: كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق، ولا يلفظ بشقّ فم ولسان، ولكن يقول له: «كن» فكان بمشيئته ما خاطب به موسى من الأمر والنهي من غير تردّد في نفس »[١]. الخبر.

٤ ـ وفي الخصال عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

« أنّ الله ناجى موسى عليه السلام بمئة ألف كلمة وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيّام ولياليهن ما طعم فيها موسى عليه السلام ولا شرب فيها، فلما انصرف إلى بني اسرائيل وسمع كلامهم مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله عزّ وجلّ »[٢].

٥ ـ وفي التوحيد للصدوق عن الكاظم عليه السلام في حديث:

« فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تعالى أن يكلمه ويُسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، إنّ الله عز وجل أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى يسمعوه من جميع

---

(١) بحار الأنوار ١٥٢/٤ الباب ٦ ح ٤.

(٢) تفسير الصافي ٥٢١/١.

الوجوه»[١].

٦ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«كلم الله موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات وشفة ولا لهوات سبحانه وتعالى عن الصفات»[٢].

٧ ـ في حديث احتجاج اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«... قالت اليهود: موسى خير منك. قال النبي صلى الله عليه وآله: ولمَ؟

قالوا: لأنّ الله عز وجل كلَّمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلّمك بشيء.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك.

قالوا: وما ذاك؟

قال: هو قوله عز وجل: ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[٣] وحُملت على جناح جبرئيل حتى انتهيت إلى السماء السابعة فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، حتى تعلقت بساق العرش فنوديت من ساق العرش: «إني أنا الله لا إله إلّا أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرؤوف الرحيم» ورأيته بقلبي وما رأيته بعيني فهذا أفضل من ذلك.

قالت اليهود: صدقت يا محمّد وهو مكتوب في التوراة»[٤].

---

(١) تفسير الصافي ٥٢٢/١.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) سورة الإسراء، الآية ١.

(٤) الاحتجاج للطبرسي ٥٥/١.

وأما العقل:

فلأن الكتب الإلهيّة والصحف السماوية والأحاديث القدسية والتكلم مع بعض المقامات النبوية، كرسول الله أو كليم الله، لا تتحقق إلّا بخطاب الله وكلامه وتكلمه، فهذه الأمور من اللازم البيّن فيها أن يتكلم بها الله تعالى فيكون العقل حاكماً بكونه متكلماً.. له قدرة الكلام، بل أحدث الكلام، ومن كماله هذا التكلّم بهذه الأمور القدسيّة، فتكلّمه ثابتٌ بالأدلة الثلاثة الصريحة.

٨) أنّه تعالى صادقٌ

الصدق لغة ضد الكذب، ويكون أصله في القول، فيقال: قول صدق وكلام صدق، وصاحبه صادق.

وذكر في المفردات: «أن الصدق والكذب لا يكونان في القول إلّا في الكلام الخبري دون غيره من أصناف الكلام كالإنشاء»[١].

لكن هذا غير صحيح، فمقتضى التحقيق أنه يطلق الصدق والكذب عرفاً على الإنشاء أيضاً إذا كان منبئاً عن شيءٍ إلزاماً، وكان ذلك المدلول الالتزامي مطابقاً للواقع أو غير مطابق كما تلاحظه في طلب الفقير المال حيث ينبئ عن فقره فيوصف بأنه صادق أو كاذب.

وكذلك من قال شيئاً واعتقد خلافه، فإنه يكون كذباً، كما أفاده الطبرسي في المجمع[٢] استشهاداً بقوله تعالى: ﴿**وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[٣].

---

(١) المفردات للراغب ص ٢٧٧.

(٢) مجمع البيان ١٠/٢٩٠.

(٣) سورة المنافقون، الآية ١.

فيكون الصدق والكذب محققاً نيةً وقولاً وعملاً.

وأضاف في مجمع البحرين: «إنّ الصدق يكون بالقول وغيره، فقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١] معناه الذين صدقوا في دين الله نيةً وعملاً وقولاً، وكذا ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[٢] يعني إذا عمل بشيء وفى به. وقد جاء وصف الصدق في صفات الله العليا وأسمائه الحسنى»[٣].

قال الشيخ الصدوق في التوحيد: إنّ معنى كونه صادقاً هو: «أنّه صادق في وعده، ولا يبخس ثواب من يفي بعهده»[٤].

وقال الشيخ الكفعمي في المصباح: «الصادق: الذي يصدق في وعده، ولا يبخس ثواب من يفي بعهده، والصدق خلاف الكذب»[٥].

وقد ثبتت هذه الصفة الكريمة لله تعالى كتاباً وسنةً وعقلاً:

أمّا الكتاب: ففي مثل:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٦].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيْثاً﴾[٧].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[٨].

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٢) سورة مريم، الآية ٥٤.

(٣) مجمع البحرين ص ٤٣٧ مادة (صدق).

(٤) التوحيد ص ٢٠٧.

(٥) المصباح ص ٣٤٢.

(٦) سورة الحجر، الآية ٦٤.

(٧) سورة النساء، الآية ٨٧.

(٨) سورة النساء، الآية ١٢٢.

وأمّا السنة: ففي أحاديث كثيرة منها:

١ ـ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام، جاء فيها توصيف الله تعالى، بقوله عليه السلام:

«الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده»[(١)].

٢ ـ حديث سليمان بن مهران، المتقدم عن التوحيد[(٢)]، عدّ فيها «الصادق» من أسمائه الحسنى.

٣ ـ الأدعية المأثورة الشريفة، كدعاء الجوشن الكبير، المروي عن سيد الساجدين عن آبائه الطاهرين، وجاء فيه توصيف الله تبارك وتعالى بالصادق[(٣)].

وأمّا العقل:

فإنّه يقضي وبديهة العقل تحكم بقبح الكذب، والقبيح لا يصدر من الله تعالى الحكيم الكامل الواجب المنزّه عن جميع القبائح والنقائص، مع أنّه غير محتاجٍ إليه وغني عنه.

والعقل يحكم بقبح الكذب من البشر المخلوق الناقص، فكيف بكونه من الله تعالى الغني الكامل؟

فهو تعالى صادق لا يكذب ولايخلف أبداً، وله الأسماء الحسنى وهو السميع البصير.

هذا تمام الكلام في ذكر ما تشرّفنا ببيانه واخترناه من ذكر صفاته الكمالية الثبوتية.

***

---

(١) نهج البلاغة ص ١٣٨ رقم الخطبة ١٨٠ من الطبعة المصرية.

(٢) التوحيد ص ١٩٤ الباب ٢٩ ح ٨ المتقدم في ص ٥٣ من الكتاب.

(٣) البلد الأمين ص ٤٠٤.

٢ ـ الصفات السلبيّة

عرفت أنّ الله تعالى منزّه عن جميع صفات النقص ولوازم النقصان، فهو الكامل الذي لا سبيل للنقص إليه، وهو القادر الذي لا طريق للعجز فيه، وهو الغني الذي لا حاجة إلى شيءٍ له.

فهو عز شأنه أجلّ منها وأرفع من الإتصاف بها.. وتلك هي الصفات السلبيّة التي عُبّر عنها بالجلالية، ونذكر جملةً منها فيما يلي بعون الله الكريم:

الأُولى: إنّه تعالى لا شريك له ومنزّه عن الشركة

وقد تقدم دليله من الكتاب والسنة والعقل، مضافاً إلى الفطرة في بحث وحدانية الله حيث تقدم أنّه واحد لا شريك له بالأدلة المتقدمة فراجع[١].

الثانية: أنّه تعالى ليس بمركب، ولا سبيل للتركيب إلى ذاته المقدّسة

فهو ليس ذا أجزاء خارجية، كالمداد المتركب من الماء والدواة، ولا ذا أجزاء ذهنية كالإنسان المركب من الحيوان والناطق، وإلّا لزم احتياجه إلى تلك الأجزاء، والإحتياج من صفات الممكنات لا من صفات الواجب الغني بالذات.

فهو ليس بجسم حتى يمكن فيه التركيب الخارجي، ولا تحيط عقولنا به حتى يمكن فيه التركيب الذهني.

واستدلّ له العلامة أعلى الله مقامه في نهج المسترشدين، بأنّه يستحيل أن يكون

---

(١) ص ٤٢ من الكتاب وبعدها.

مركباً؛ لأنّ المركب يحتاج إلى الأجزاء، وهو تعالى غنيّ، ويستحيل أن يتركب منه غيره؛ لأنّه يستلزم الانفعال في وجوده وهو تعالى ذاتيّ الوجود، قال قدس سره ما نصه: «إنّه تعالى يستحيل أن يكون مركباً؛ لأنّ كل مركب مفتقر إلى جزئه والجزء مغايرٌ للكل فيكون ممكناً. ويستحيل أن يتركب عنه غيره لاستحالة انفعاله عن الغير فلا جزء له، فلا جنس له ولا فصل له، فلا حدّ له ولا يكون واجباً لذاته ولغيره معاً؛ لأنّ وجوبه بذاته يستدعي استغناءه عن غيره ووجوبه لغيره يستدعي افتقاره إليه، فيكون واجباً مفتقراً»[١].

الثالثة: أنّه تعالى ليس بجسم

لأنّ الجسم هو ما يستلزم الأبعادالثلاثة الطول، والعرض، والعمق، وبهذا يحتاج إلى التحيز، وبالتحيز يحتاج إلى المكان والمكان مخلوق ممكن، وهـذا مستحيل على الله تعالى لأنّه خالق المكان، والمكان مخلوقٌ له ومتأخر عنه فلا يكون متحيزاً فيه.

ولا يمكن أن يكون المكان حيّزاً للخالق تعالى، لأنّه يستلزم قِدم المكان كقِدم الله تعالى، وتعدد القدماء مستحيل لقاعدة الفُرجة المتقدّمة[٢].

وعليه فلا يمكن التحيّز لله تعالى ويستحيل عليه الجسميّة.

وبابالمعرفة في نفي الجسميّة، والمرجعالأمين في بيان جميع الصفاتالتنزيهية هو باب العلم المبين أعني عترةالنبي الأمين صلوات الله عليهم أجمعينفي أحاديثهم الشافية وبياناتهم الوافية الآتية:

١ ـ حديث محمّد بن سماعة قال: سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له:

---

(١) نهج المسترشدين ص ٤٥.

(٢) تقدمت في الدليل العقلي الثالث من أدلة التوحيد.

« أخبرني أي الأعمال أفضل ؟

قال : توحيدك لربّك .

قال : فما أعظم الذنوب ؟ قال : تشبيهك لخالقك »[١] .

٢ ـ حديث يونس بن ظبيان قال : دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام فقلت :

« يابن رسول الله ! إنّي دخلت على مالك وأصحابه فسمعت بعضهم يقول : إن لله وجهاً كالوجوه ، وبعضهم يقول : له يدان ! واحتجّوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾[٢] **وبعضهم يقول : هو كالشاب من أبناء ثلاثين سنة ! فما عندك في هذا يابن رسول الله ؟**

قال : ـ وكان متّكئاً فاستوى جالساً ـ وقال : اللهم عفوك عفوك .

ثم قال : يا يونس ! من زعم أنَّ لله وجهاً كالوجوه فقد أشرك ، ومن زعم أنَّ لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله فلا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا ذبيحته ، تعالى الله عما يصفه المشبهون بصفة المخلوقين .

فوجه الله انبياؤه ، وقوله « خلقتُ بيدي استكبرت » فاليد القدرة كقوله : ﴿ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ﴾[٣] **فمن زعم أن الله في شيء أو على شيء أو تحوّل من شيء إلى شيء أو يخلو منه شيء أو يشغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين ، والله خالق كل شيء ، لا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس ، لا يخلو منه مكان ، ولا يشغل به مكان ، قريب في بعده ، بعيد في قربه ، ذلك الله ربنا لا إله غيره ، فمن أراد الله بهذه الصفة فهو من الموحدين ، ومن**

---

(١) بحار الأنوار ٣/٢٨٧ الباب ١٣ ح ١ .

(٢) سورة ص ، الآية ٧٥ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٢٦ .

أحبه بغير هذه الصفة فالله منه بريء، ونحن منه براء...»[١].

٣ ـ ما عن الصادق عليه السلام أنّه قال لهشام:

« إنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه »[٢].

٤ ـ حديث محمد بن القاسم المفسر بإسناده إلى الامام أبي محمّد العسكري، عن أبيه، عن جدّه عليهما السلام قال:

« قام رجل إلى الرضا عليه السلام قال له: يابن رسول الله! صف لنا ربّك فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا.

فقال الرضا عليه السلام: إنّه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الإلتباس، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الإعوجاج، ضالًّا عن السبيل، قائلاً غير الجميل، أعرفه بما عرّف به نفسه من غير رويّة، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة، لا يدرك بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه، ومتدان في بعده لا بنظير، لا يمثّل بخليقته، ولا يجورُ في قضيته، الخلق إلى ما علم منقادون، وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون، لا يعلمون خلاف ماعلم منهم ولا غيره يريدون، فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقصّ، يُحقّق ولا يمثل، ويوحّد ولا يبعّض، يعرف بالآيات ويثبت بالعلامات، فلا إله غيره الكبير المتعال.

ثم قال عليه السلام ـ بعد كلام آخر تكلّم به ـ: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه عن أبيه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ماعرف الله من شبّهه بخلقه، ولا وصفه

---

(١) بحار الأنوار ٢٨٧/٣ الباب ١٣ ح ٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٩٠/٣ الباب ١٣ ح ٤.

بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده»[١].

٥ ـ حديث ابن عباس قال: قدم يهوديٌّ على رسول الله ﷺ ـ يقال له: نعثل ـ فقال: يا محمّد! إنّي سائلك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك.

قال:

« سل يا أبا عمارة! فقال: يا محمّد! صف لي ربّك.

فقال ﷺ: إنّ الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي يعجز الحواسُّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلَّ عمّا يصفه الواصفون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، كيّف الكيفية فلا يقال له: كيف، وأيّن الأين فلا يقال له: أين، هو منقطع الكيفوفية والأينونية، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

قال: صدقت يا محمّد! أخبرني عن قولك: إنّه واحد لا شبيه له، أليس الله واحد والإنسان واحد؟ فوحدانيته أشبهت وحدانيّة الإنسان.

فقال ﷺ: الله واحد وأحديّ المعنى، والإنسان واحد ثنويّ المعنى، جسم وعرض، وبدن وروح، فإنّما التشبيه في المعاني لا غير.

قال: صدقت يا محمّد»[٢].

٦ ـ حديث أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

« إنَّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا

---

(١) بحار الأنوار ٢٩٧/٣ الباب ١٣ ح ٢٣.

(٢) بحار الانوار ٣٠٣/٣ الباب ١٣ ح ٤٠.

سكون؛ بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً»[١].

٧ ـ حديث إبراهيم بن أبي محمود قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله! ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أنّه قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؟

فقال عليه السلام: لعن الله المحرّفين للكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك، إنما قال صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى يُنزل ملكاً إلى السماء الدنيا كلّ ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة في أوّل اللّيل فيأمره فينادي: هل من سائل فأُعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ ياطالب الخير أقبل، يا طالب الشرّ أقصر؛ فلا يزال ينادي بهذا إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السماء. حدّثني بذلك أبى، عن جدّي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

٨ ـ حديث ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام عن «الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟

فقال:

تعالى الله عن ذلك.

قلت: فلم أسرى نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟

قال: ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه.

---

(١) بحار الأنوار ٣/٣٠٩ الباب ١٤ ح ١.

(٢) بحار الأنوار ٣/٣١٤ الباب ١٤ ح ٧.

قلت: فقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[1]؟ قال: ذاك رسول الله ﷺ دنا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات، ثم تدلى ﷺ فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى»[2].

٩ ـ حديث يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: لأي علّة عرج الله بنبيّه ﷺ إلى السماء، ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان؟

فقال عليه السلام:

«إنَّ الله لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمان، لكنّه عزَّ وجلَّ أراد أن يشرِّف به ملائكته وسكان سماواته ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، وليس ذلك على ما يقوله المشبهون، سبحان الله وتعالى عمّا يصفون»[3].

١٠ ـ حديث عبد الرحمن بن أسود، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال:

«كان لرسول الله ﷺ صديقان يهوديان قد آمنا بموسى رسول الله وأتيا محمّداً ﷺ وسمعا منه، وقد كانا قرءا التوراة وصحف إبراهيم عليه السلام، وعلما علم الكتب الأُولى، فلما قبض الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أقبلا يسألان عن صاحب الأمر بعده وقالا: إنّه لم يمت نبيٌّ قطُّ إلّا وله خليفة يقوم بالأمر في أُمته من بعده، قريب القرابة إليه من أهل بيته، عظيم القدر، جليل

---

(١) سورة النجم، الآيتان ٨ و ٩.

(٢) بحار الأنوار ٣/٣١٤ الباب ١٤ ح ٨.

(٣) بحار الأنوار ٣/٣١٥ الباب ١٤ ح ١٠.

الشأن. فقال أحدهما لصاحبه: هل تعرف صاحب الأمر من بعد هذا النبي ؟ قال الآخر: لا أعلمه إلّا بالصفة التي أجدها في التوراة هو الأصلع المصفّر فإنّه كان أقرب القوم من رسول الله ﷺ.

فلّما دخلا المدينة وسألا عن الخليفة أرشدا إلى أبي بكر، فلمّا نظرا إليه قالا: ليس هذا صاحبنا، ثم قالا له: ما قرابتك من رسول الله ﷺ ؟ قال: إنّي رجل من عشيرته، وهو زوج ابنتي عائشة. قالا: هل غير هذا؟ قال: لا، قالا: ليست هذه بقرابة فأخبرنا أين ربّك؟ قال: فوق سبع سماوات! قالا: هل غير هذا؟ قال: لا. قالا: دلّنا على من هو أعلم منك، فإنّك أنت لست بالرجل الذي نجد في التوراة أنّه وصيّ هذا النبي وخليفته. قال: فتغيّظ من قولهما، وهمّ بهما، ثم أرشدهما إلى عمر، وذلك أنّه عرف من عمر أنّهما إن استقبلاه بشيء بطش بهما، فلما أتياه قالا: ما قرابتك من هذا النبي؛ قال: أنا من عشيرته، وهو زوج ابنتي حفصة. قالا: هل غير هذا؟ قال: لا. قالا: ليست هذه بقرابة وليست هذه الصفة التي نجدها في التوراة، ثم قالا له: فأين ربّك؟ قال: فوق سبع سماوات! قالا: هل غير هذا؟ قال: لا. قالا: دلنا على من هو أعلم منك، فأرشدهما إلى علي عليه السلام، فلمّا جاءاه فنظرا إليه قال أحدهما لصاحبه: إنّه الرجل الذي صفته في التوراة، انّه وصيّ هذا النبي، وخليفته وزوج ابنته، وأبوالسبطين والقائم بالحق من بعده.

ثم قالا لعلي عليه السلام: أيّها الرجل! ما قرابتك من رسول الله ﷺ ؟

قال: هو أخي وأنا وارثه ووصيّه، وأوّل من آمن به، وأنا زوج ابنته.

قالا: هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة، وهذه الصفة التي نجدها في التوراة فأين ربّك عز وجل؟

قال لهما علي عليه السلام: إن شئتما أنبأتكما بالذي كان على عهد نبيكما موسى عليه السلام، وإن شئتما أنبأتكما بالذي على عهد نبينا محمّد صلى الله عليه وآله.

قالا: أنبئنا بالذي كان على عهد نبينا موسى عليه السلام.

قال علي عليه السلام: أقبل أربعة أملاك: ملك من المشرق، وملك من المغرب، وملك من السماء، وملك من الأرض. فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من عند ربّي؛ وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من عند ربِّي؛ وقال النازل من السماء للخارج من الأرض: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من عند ربّي؛ وقال الخارج من الأرض للنازل من السماء: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من عند ربي، فهذا ما كان على عهد نبيكما موسى عليه السلام.

وأما ما كان على عهد نبينا فذلك قوله في محكم كتابه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إلّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إلّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾[1] الآية.

قال اليهوديّان: فما منع صاحبيك أن يكونا جعلاك في موضعك الذي أنت أهله؟ فو الذي أنزل التوراة على موسى إنّك لأنت الخليفة حقّاً، نجد صفتك في كتبنا ونقرؤه في كنائسنا، وإنّك لأنت أحقّ بهذا الأمر وأولى به ممن قد غلبك عليه.

فقال عليٌّ عليه السلام: قدّما وأخرا وحسابهما على الله عز وجل يوقفان ويُسألان»[2].

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٢) بحار الأنوار ٣/٣٢٤ الباب ١٤ ح ٢٢.

١١ ـ ما رواه سلمان الفارسي في حديث طويل يذكرفيه قدوم الجاثليق إلى المدينة مع مئة من النصارى بعد وفاة النبي ﷺ وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ثم أُرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عنها فأجابه، فكان فيما سأله أن قال له:

« أخبرني عن وجه الربّ تبارك وتعالى، فدعا علي عليه السلام بنار وحطب فأضرمه فلما اشتعلت قال علي عليه السلام: أين وجه هذه النار؟

قال النصراني: هي وجه من جميع حدودها.

قال علي عليه السلام: هذه النار مدبَّرة مصنوعة لا تعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها؟ ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمَّ وجه الله، لا يخفى على ربنا خافية »[1]. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

١٢ ـ حديث جابر قال: قال الباقر عليه السلام:

« يا جابر! ما أعظم فرية أهل الشام على الله عز وجل، يزعمون أنّ الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمر الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلّى، يا جابر! إنّ الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه، تعالى عن صفة الواصفين، وجلّ عن أوهام المتوهمين، واحتجب عن أعين الناظرين، لا يزول مع الزائلين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم »[2].

---

(١) بحار الأنوار ٣/٣٢٨ الباب ١٤ ح ٢٨.

(٢) بحار الأنوار ٣/٣٢٩ الباب ١٤ ح ٣١.

الرابعة: أنه تعالىٰ ليس بمرئيّ

ولا تراه العيون ولا تدركه الحواس لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقد اتفقت على ذلك الإماميّة الحقّة، وخالف في ذلك فرقةالكرامية، فذهبوا إلى جواز رؤيته مطلقاً، وخالفت الأشاعرة أيضاً فذهبوا إلى جواز رؤيته في الآخرة، وتمسكوا لذلك بأمور واهية تلاحظها مع الجواب عليها في إرشاد الطالبين[١].

والدليل البرهاني قائم على امتناع الرؤية بنحو مطلق دائماً وأبداً، كتاباً وسنةً وعقلاً:

فمن الكتاب:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيرُ**﴾[٢].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي**﴾[٣] و«لن» لنفي التأبيد.

ومن السنة:

الأحاديث الكثيرة التي مرّ بعضها مما صرح بعدم إدراكه بالحواس.

وللمثال لاحظ بيان أمير المؤمنين عليه السلام في حديث ذعلب الوارد في الكافي جاء فيه:

«لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان»[٤].

ولاحظ خطبة سيدة النساء فاطمة عليها السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي هي

---

(١) إرشاد الطالبين للفاضل المقداد ص ٢٤٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٤) أصول الكافي ١٣٨/١ ح ٤.

بيانٌ كامل بيّن للمعارف الكاملة جاء فيها توصيف الله تعالى بما يلي:

« الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته »[١].

والوهم على سعته لا يمكنه درك خالقه، فكيف بالعين الصغيرة؟

كما تلاحظ في الحديثين التاليين:

١ ـ حديث الأشعث بن حاتم أنّه سأل الرضا عليه السلام عن شيء من التوحيد؟

فقال:

« ألا تقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: اقرأ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[٢]، فقرأت، فقال: وما الأبصار؟ قلت: أبصار العين، قال: لا إنّما عنى الأوهام، لا تدرك الأوهام كيفيّته وهو يدرك كل فهم »[٣].

٢ ـ حديث أبي هاشم، عن الامام أبي جعفر الجواد عليه السلام نحوه، إلّا أنّه قال:

« الأبصار هاهنا أوهام العباد، والأوهام أكثر من الأبصار، وهو يدرك الأوهام ولا تدركه الأوهام »[٤].

ومن العقل:

قضاءالبداهة بأنّ كلّ مرئي في سُنّة النظر، وفي جميع الكون يكون جسماً وفي جهةٍ وذا مكان وصورة، والله تعالى منزّه عن جميع ذلك.

مع أنّ الوجدان يحكم بكون المرئي محاطاً بالنظر، والله تعالى محيطٌ هو بكل شيء، فلا يكون محاطاً، لذلك لا يكون مرئياً، وهو في مرتبة الخالقية فلا يحيط به

---

(١) العوالم ٢/١١ ص ٦٥٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٣) بحار الأنوار ٣٠٨/٣ الباب ١٣ ح ٤٦.

(٤) بحار الأنوار ٣٠٨/٣ الباب ١٣ الحديث المنقول عن المحاسن.

المخلوق.

مضافاً إلى أنه لو صحّ أن يكون مرئياً لرأيناه، والتالي باطلٌ فالمقدم مثله.

فيستفاد أنّ الله تعالى لا يمكن رؤيته وليس بمرئي إطلاقاً.

الخامسة: أنّه تعالى ليس محلاً للحوادث

فلا يصح عليه النوم واليقظة، والحركة والسكون، والقيام والقعود، والطفولة والكهولة، والشباب والشيب، والضعف والكلال ونحو ذلك.

كما دل عليه أولا الكتاب الكريم:

في مثل قوله تعالى: ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ**﴾[١].

ودلت عليه ثانيا السنة الشريفة:

في مثل حديث أبي المغرا عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«**إنّ الله تعالى خلوٌ من خلقه وخلقه خلوٌ منه**»[٢].

ودل عليه ثالثا حكم العقل:

من حيث إنّ هذه الأمورالحادثة توجب الإنفعال والتأثّر، والإنفعال ممتنع عليه؛ لأنّه من صفة الماديّات، والله تعالى ليس ماديّاً فلا يكون منفعلاً أو متغيراً ولا يكون محلاً للحوادث.

مضافاً إلى أنّ تلك الحوادث هي من لوازم الجسم والله تعالى منزّه عن الجسمية.

بالإضافة إلى أن تلك الأمور عوارض مخلوقة حادثة، والخالق القديم يستحيل عليه أن يتصف بالصفات المخلوقة الحادثة، فلا تكون الحوادث عارضة عليه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢) بحار الأنوار ٣٢٢/٣ الباب ١٤ ح ١٨.

ثم إنّ ما ورد في القرآن الكريم من وصفه تعالى بشيء من تلك الصفات كقوله عز اسمه: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ...﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[٣] ونحو ذلك، فهي مؤوّلة بأنّ المراد في جملة منها غاياتها ونتائجها دون مباديها ونفس حالاتها، فغاية الرضا مثلاً الإكرام والإحسان، وغاية الغضب مثلاً العقاب والعذاب، فيكون رضاه تعالى بمعنى إكرامه، وغضبه بمعنى معاقبته، ولذا قيل في حقه تعالى: «خذ الغايات واترك المبادي».

كما يكون «آسفونا» بمثل معنى «آسفوا أولياءنا»، فإنّ لله تعالى أولياء منتسبين إليه من حاربهم فكأنما حارب الله، ومن آذاهم فكأنما آذى الله، كما في قوله ﷺ: «**فاطمة بضعة منّي مَن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»[٤].

كما أفاده السيد الشبر في حق اليقين[٥].

السادسة: إنّ صفاته المقدّسة الذاتية كالعلم والقدرة ليست زائدة على ذاته

كما زعمته الأشاعرة، بل هي عين ذاته الشريفة كما دلّت عليه الأدلّة الشرعية، والبراهين العقلية مثل:

ألف) الأحاديث المتضافرة التي تلاحظها في كتاب التوحيد ولنذكر نبذة منها فيما يلي:

---

(١) سورة المائدة، الآية ١١٩.

(٢) سورة الفتح، الآية ٦.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٥٥.

(٤) إحقاق الحق ٢٠٦/١٠.

(٥) حق اليقين ٣٧/١.

١ ـ حديث أبي بصير، قال سمعتَ أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«لم يزل الله جلَّ وعزّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متكلماً؟ قال: إنَّ الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عزَّ وجلَّ ولا متكلّم»[1].

٢ ـ حديث حمّاد بن عيسى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت:

«لم يزل الله يعلم؟ قال: أنّى يكون يعلم ولا معلوم، قال: قلت: فلم يزل الله يسمع؟ قال: أنّى يكون ذلك ولا مسموع، قال: قلت: فلم يزل يبصر؟ قال: أنى يكون ذلك ولا مبصر، قال: ثم قال: لم يزل الله عليماً سميعاً بصيراً، ذات علامة سميعة بصيرة»[2].

٣ ـ حديث الحسين بن خالد، قال: سمعت الرضا علي بن موسى عليهما السلام يقول:

«لم يزل الله تبارك وتعالى عليماً قادراً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً، فقلت له: يابن رسول الله! إنَّ قوماً يقولون: إنّه عزَّ وجلَّ لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدرة، وحياً بحياة، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر. فقال عليه السلام: من قال ذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أُخرى، وليس من ولايتنا على شيء.

ثم قال عليه السلام: لم يزل الله عزّ وجلّ عليماً قادراً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً

---

(١) التوحيد للصدوق ص ١٣٩ الباب ١١ ح ١. ولعل الأصل فيه: ولا تكلّم.

(٢) التوحيد للصدوق ص ١٣٩ الباب ١١ ح ٢.

لذاته، تعالى عمّا يقول المشركون والمشبّهون علوّاً كبيراً»[١].

ب) الحكم العقلي الجزمي بكون صفاته عين ذاته كما تلاحظه في إرشاد الطالبين[٢] وخلاصة تقريره كما يلي:

إنّه لو كانت تلك الصفات زائدة على الذات لكانت أحد اثنين: إمّا قديمة وإمّا حادثة، وكلاهما محالٌ.

أمّا استحالة الأوّل؛ فلأنّه يستلزم تعدد القدماء، وهو باطل مخالف للعقل بواسطة لزومه التسلسل، ومخالف للإجماع أيضاً، ولهذا كفرت النصارى بقولهم بِقِدَم الأقانيم[٣].

وأمّا استحالة الثاني: فلأنّه يلزم منه كون الله تعالى محلاً للحوادث، وهو باطلٌ قطعاً كما ثبت قبلاً.

فيستحيل بحكم العقل زيادة الصفات على الذات، فيحكم العقل والعقلاء بكون تلك الصفات الذاتية عين ذاته القدسية.

السابعة: أنّه تعالى ليس بمحتاج إلى شيء، لا في ذاته ولا في صفاته بل هو الغني المغني

ومعنى الغِنىٰ عدم الحاجة والإحتياج، ولذا ذكر في الصفات السلبية.

ومعنى كونه غنياً غير محتاج، هو أنّه الغني بنفسه عن غيره وعن الاستعانة بالآلات والأدوات وغيرها، كما فسره الشيخ الصدوق في التوحيد[٤].

---

(١) التوحيد للصدوق ص ١٤٠ الباب ١١ ح ٣.

(٢) إرشاد الطالبين للفاضل المقداد ص ٢٢٣.

(٣) الأقانيم: جمع أقنوم وهو لفظ سرياني بمعنى الأصل، كما في مجمع البحرين ص ٥٣ مادة (قنم).

(٤) التوحيد ص ٢٨٦.

وهو الذي استغنى عن الخلق وهم إليه محتاجون، فلا تعلّق له بغيره لا في ذاته ولا في شيء من صفاته، بل هو منزّه عن العلاقة كما فسّره الشيخ الكفعمي في المصباح[١].

وهو الغني الذي لا يحتاج إلى أحد والكل محتاج إليه، وهو الغني مطلقاً لا يشاركه فيه غيره، كما فسّره الشيخ الطريحي في المجمع[٢].

وحاصل المعنى في هذه الصفة، استغناؤه الذاتي المطلق وعدم احتياجه إلى شيء، وقد دل على غناه الكتاب والسنة والعقل بالبيان التالي:

١ ـ دليل الكتاب:

في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[٣].

٢ ـ دليل السنة المباركة:

في أحاديث متعددة نظير أسماء الله الحسنى في حديث الإمام الصادق عليه السلام الذي تقدم عن التوحيد[٤].

٣ ـ دليل العقل في حكمه بغنى الله تبارك وتعالى بوجوهٍ عديدة:

الأوّل: أنّ الحاجة مختصة بمن يجوز عليه الضرر والنفع، والله سبحانه لا يصح عليه الضرر ولا النفع، فلا تقع عليه الحاجة.. وإذا استحالت الحاجة ثبت كونه غنياً كما استدل به أبو الصلاح الحلبي في تقريب المعارف[٥].

---

(١) المصباح ص ٣٢٥.

(٢) مجمع البحرين ص ٦٧ مادة (غني).

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٧.

(٤) التوحيد ص ١٩٤ الباب ٢٩ ح ٨.

(٥) تقريب المعارف ص ٨٧.

الثاني: أن الحاجة إما أن تكون في الذات أو في الصفات، وكلا القسمان باطلان في حقّه تعالى لوجوب وجوده فلا يكون فيه نقص، ولا يفتقر إلى غيره فهو الغني بذاته، كما استدل به العلامة الحلي في النهج[١].

الثالث: أنه قد ثبت قِدَمه عزَّ اسمه بالبراهين القطعية، والقديم هو الذي يتقدم على الكل فيكون غنياً عن الكل كما استدل به السيد الشبر في حق اليقين[٢].

الثامنة: أنّه تعالى لا يحلّ في غيره، ولا يتّحد مع غيره

كما زعمته بعض الفرق المضلّة، وعبّروا عنه بالحلول والإتّحاد.

فهما باطلان شرعاً، لما تقدّم من أحاديث تنزه الخالق عن ذلك، نظير حديث أبي المغرا عن أبي عبد الله عليه السلام:

«إنّ الله تعالى خلوٌ من خَلقه وخلقه خلوٌ منه»[٣].

وكذلك هما باطلان عقلاً لما يلي:

أما بطلان الحلول فلوجوه كما أفادها السيد الشبر[٤] وهي:

أوّلاً: لأن الحال يحتاج إلى محلٍّ يحلّ فيه، والاحتياج من خواصّ الممكن، وأمّا الواجب فهو أجلّ من الإحتياج فلا يمكن فيه الحلول.

ثانياً: إنّ الحلول في مكان يستلزم الخلوّ من مكان آخر، والله تعالى موجودٌ في كل مكان ومحيط بكلّ شيء.

ثالثاً: إن حلول شيء في شيء ملازمٌ للجسمية، والله سبحانه منزّهٌ عن الجسمية.

---

(١) نهج المسترشدين ص ٤٧.

(٢) حق اليقين ١/٣٧.

(٣) بحار الأنوار ٣/٣٢٢ الباب ١٤ ح ١٨.

(٤) في حق اليقين ١/٣٨.

وأمّا بطلان الإتحاد فلوجهين:

الأوّل: من قضاء الضرورة والوجدان والبداهة، ببطلان الإتحاد، وإدراك المغايرة بين الخالق وبين المخلوق، وكلٌّ يعرف أنّه غير ربّه، كما بيّنه العلامة أعلى الله مقامه في النهج[١].

الثاني: من أنّه مع فرض الإتحاد، فالمتحدان بعد اتحادهما إن بقيا موجودين فهما اثنان لا واحد، وإن صارا معدومين وصارا وجهاً ثالثاً فلا اتحاد في البين، بل هو إعدام شيء وإيجاد شيء آخر، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر لم يتحقق اتحاد لأن المعدوم لا يتحد مع الموجود، كما بينه الفاضل المقداد في إرشاد الطالبين[٢].

فالإتحاد محال في نفسه، فكيف يمكن إثباته في الخالق؟

فيبطل ادّعاء النصارى في حقه تعالى اتحاد الأقانيم الثلاثة: الأب والإبن وروح القدس، واتحاد ناسوت المسيح باللاهوت[٣].

كما يبطل ما ادّعت جماعة من المتصوّفة، من الإتحاد وأنّه إذا وصل العارف نهاية مراتبه انتفت هوّيته، وصار الموجود هو الله تعالى وحده وسُمّي هذه المرتبة عندهم بالفناء في التوحيد.

وقد ردّ عليهم ابن سينا في أكثر كتبه كما يستفاد من الارشاد[٤].

كما وأنّ العلامة المجلسي جعل الإعتقاد بأي واحد من الحلول والإتحاد من

---

(١) نهج المسترشدين ص ٤٧.

(٢) إرشاد الطالبين ص ٢٣٨.

(٣) يعبّرون باللاهوت عن الألوهية، وبالناسوت عن الطبيعة البشرية كما في الرائد ص ١٢٧٠ وص ١٤٦٧.

(٤) إرشاد الطالبين ص ٢٣٨.

الكفر، كما تلاحظه في كتاب الاعتقادات[١].

كما وأنّ السيد الفقيه الطباطبائي في العروة الوثقى[٢] حكم بنجاسة القائلين بوحدة الوجود من الصوفية مع العلم بالتزامهم بلوازم مذاهبهم من المفاسد، وقرّره المحشّون على العروة.

هذا تمام الكلام في بحث التوحيد، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) اعتقادات العلامة المجلسي ص ٢٦.

(٢) العروة الوثقى (الثامن من النجاسات) المسألة ٢.

العدل

سبق منّا الوعد بذكرالعدل الذي هو من أسماء الله الحسنى ومن صفاته العليا، ويعتبر الإعتقاد به من أصول المذهب والدين، ومن دعائم شريعة سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله الطاهرين.

وعدل الله تعالى وإن كان من جملة صفاته الكماليّة، إلّا أنه أُفرد بالذكر لكثرة مباحثه ومتعلّقاته المذكورة في المفصّلات.

والعدل في أصل اللغة نقيض الجور كما في كتاب العين[١].

قال في التوحيد: «العدل معناه الحكم بالعدل والحقّ، وسُمّي به توسعاً لأنّه مصدر، والمراد به العادل»[٢].

وقال في المصباح: «العدل أي ذوالعدل وهو مصدر أقيم مقام الأصل، وصف به سبحانه للمبالغة لكثرة عدله، والعدل هو الذي لا يجور في الحكم»[٣].

وقال في المجمع: «العدل من أسمائه تعالى وهو مصدر أقيم مقام الإسم، وحقيقة ذوالعدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم... وعند المتكلمين هو العلوم المتعلقة بتنزيه ذات الباري عن فعل القبيح والإخلال بالواجب»[٤] أي الإخلال

---

(١) العين للخليل ٢/٣٩.

(٢) توحيد الصدوق ص ٢٠٨.

(٣) المصباح للكفعمي ص ٣٢٢.

(٤) مجمع البحرين ص ٤٨٤.

بالوجوب العقلي، وهو الحُسن.

وأفاد السيد الشبر في حق اليقين: «إنّ العدل هو اعتقاد أنّ الله عادلٌ في مخلوقاته، غير ظالم لهم، ولا يفعل قبيحاً، ولا يخل بواجب، ولا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه وابتلائه، وله أن يثيب المطيعين ويعاقب العاصين، ولا يكلف الخلق ما لا يطيقون، ولا يعاقبهم زيادةً على ما يستحقون، ولا يقابل مستحق الأجر والثواب بأليم العذاب والعقاب، ولم يجبر عباده على الأفعال خصوصاً القبيحة ويعاقبهم عليها[١].

وقد دلّ النقل والعقل، كتاباً وسنّةً على عدله تعالى وأنّه لا يظلم أبداً:

أما دليل الكتاب:

ففي أكثر من ثلاثين آية أحصاها العلامة المجلسي في البحار[٢] منها ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[٣].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً**﴾[٤].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿**وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[٥].

---

(١) حق اليقين ١/٥٥.

(٢) بحار الأنوار ٥/٢ الباب الأوّل من أبواب العدل.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٨٢.

(٤) سورة النساء، الآية ٤٠.

(٥) سورة المؤمنون، الآية ٦٢.

وأما دليل السنة:

وهي المنهل العذب للحكمة والمعدن الصفو للعلم، وقد حكمت وجعلت العدل أساساً للدين كما في حديث التوحيد[١].

والمعارف الحقة مركّزة على أساس العدل، فكانت عدالة الله من أصول المذهب والدين ومن صفات الله باليقين كما تلاحظها في الأحاديث الشريفة التالية:

١ ـ حديث سيدنا عبد العظيم الحسني، عن الإمام علي بن محمد، عن أبيه الامام محمد بن علي، عن أبيه الامام الرضا علي بن موسى عليهما السلام قال:

« خرج أبوحنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: يا غلام! ممن المعصية؟

فقال عليه السلام: لا تخلو من ثلاثة: إما أن تكون من الله عزَّ وجلَّ وليست منه فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه، وإمّا أن تكون من الله عزَّ وجلَّ ومن العبد فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإما أن تكون من العبد وهي منه فإن عاقبه الله فبذنبه وإن عفا عنه فبكرمه وجودِه »[٢].

٢ ـ ما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حين قيل له:

« أيكون العبد مستطيعاً؟

قال: نعم بعد أربع خصال: أن يكون مخلّى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله عز وجل، فإذا تمّت هذه فهو مستطيع.

فقيل له: مثل أي شيء؟

---

(١) التوحيد ص ٩٦ الباب ٥ ح ١.

(٢) بحار الأنوار ٤/٥ الباب ١ ح ٢.

فقال: يكون الرجل مخلّىٰ السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح لا يقدر أن يزني إلّا أن يرى امرأة فإذا وجد المرأة فإمّا أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف، وإما أن يخلي بينه وبينها فيزني وهو زان ولم يطع الله بإكراه، ولم يعص بغلبة»[١].

٣ ـ حديث العقائد أنه قال أبو جعفر عليه السلام:

«في التوراة مكتوب مسطور: يا موسى! إنّي خلقتك واصطفيتك وقوّيتك وأمرتك بطاعتي، ونهيتك عن معصيتي، فإن أطعتني أعنتك على طاعتي وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي، ولي المنّة عليك في طاعتك، ولي الحجّة عليك في معصيتك»[٢].

٤ ـ حديث حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل زعم أنّ الله عز وجل أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله عز وجل في حكمه وهو كافر، ورجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليهم فهذا وهّن الله في سلطانه فهو كافر، ورجل يقول: إنّ الله عز وجل كلف العباد ما يطيقون، ولم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ»[٣].

٥ ـ حديث إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: **﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾**[٤]؟

فقال:

---

(١) بحار الأنوار ٥/٨ الباب ١ ح ١٠.

(٢) بحار الأنوار ٥/٩ الباب ١ ح ١٢.

(٣) بحار الأنوار ٥/٩ الباب ١ ح ١٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٧.

«إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف، وخلّى بينهم وبين اختيارهم.

قال: وسألته عن قول الله عـز وجـل: ﴿خَـتَمَ اللهُ عَـلىٰ قُـلُوبِهِمْ وَعَـلىٰ سَمْعِهِمْ﴾[1]؟

قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْها بِكُفرِهِمْ فلا يُؤْمِنُونَ إلاّ قَلِيلاً﴾[2].

قال: وسألته عن الله عز وجل هل يجبر عباده على المعاصي؟

فقال: بل يخيّرهم ويمهلهم حتى يتوبوا.

قلت: فهل يكلّف عباده ما لا يطيقون؟ فقال: كيف يفعل ذلك وهو يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[3]؟

ثم قال عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد عليهما السلام أنّه قال: من زعم أنّ الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلّفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلّوا وراءه، ولا تـعطوه مـن الزكاة شيئاً»[4].

٦ ـ حديث يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له: يابن رسول الله! روي لنا عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال:

---

(١) سورة البقرة، الآية ٧.

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٥.

(٣) سورة فُصّلت، الآية ٤٦.

(٤) بحار الأنوار ١١/٥ الباب ١ ح ١٧.

« لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، فما معناه ؟

فقال: من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثم يعذّبنا عليها فقد قال: بالجبر، ومن زعم أنّ الله عز وجل فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك.

فقلت له: يابن رسول الله! فما أمر بين أمرين ؟

فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أُمروا به وترك مانهوا عنه. فقلت له: فهل لله عز وجل مشية وإرادة في ذلك ؟

فقال: أما الطاعات فإرادة الله ومشيته فيها الأمر بها، والرضا لها، والمعاونة عليها؛ وإرادته ومشيّته في المعاصي النهي عنها، والسخط لها، والخذلان عليها.

قلت: فللّه عز وجل فيها القضاء ؟

قال: نعم ما من فعل يفعله العباد من خير وشرّ إلّا ولله فيه قضاء.

قلت: فما معنى هذا القضاء ؟

قال: الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة »[1].

٧ ـ حديث الإمام الرضا في روايته عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهما السلام: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر ؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

« أجل يا شيخ! فوالله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلّا بقضاء من الله

(١) بحار الأنوار ١١/٥ الباب ١ ح ١٨.

وقدر.

فقال الشيخ: عندالله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين!

فقال: مهلاً يا شيخ! لعلّك تظنُّ قضاءاً حتماً وقدراً لازماً، لو كـان كـذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنـهي والزجـر، ولسـقط مـعنى الوعـد والوعيد، ولم تكن على مسـيء لائـمة، ولا لمـحسن مـحمدة، ولكـان المحسن أولى بـاللآئمة مـن المـذنب، والمـذنب أولى بـالإحسان مـن المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن، وقدريّة هذه الأُمـة ومجوسها، يا شيخ! إنّ الله عز وجل كلّف تخييراً، ونهى تحذيراً، وأعطى على القـليل كـثيراً، ولم يُـعص مـغلوباً، ولم يُـطع مكـرهاً، ولم يـخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للـذين كفروا من النار.

قال: فنهض الشيخ وهو يقول:

أنت الامام الذي نرجو بـطاعته ... يوم النجاة من الرحمن غفرانـا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ... جـزاك ربك عـنّا فـيه إحسـانا

...»[١] إلى آخر الأبيات.

٨ ـ حديث الجعفريّ، عن الامام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

« ذكر عنده الجبر والتفويض فقال: ألا أُعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا يخاصمكم عليه أحدٌ إلّا كسرتموه؟

قلنا: إن رأيت ذلك.

فقال: إنَّ الله عز وجل لم يُطع بإكراه، ولم يُعص بغلبة، ولم يهمل العباد في

---

(١) بحار الأنوار ٥/١٣ الباب ١ ح ١٩.

ملكه، هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ماأقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادًا، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه. ثم قال عليه السلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه»[١].

٩ ـ حديث هشام بن الحكم قال: سأل الزنديق أباعبد الله عليه السلام فقال:

« أخبرني عن الله عز وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين وكان على ذلك قادراً؟

قال عليه السلام: لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب لأنَّ الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم تكن جنّة ولا نار، ولكن خَلق خلقه فأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته واحتجّ عليهم برسله، وقطع عذرهم بكتبه ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون، ويستوجبون بطاعتهم له الثواب، وبمعصيتهم إياه العقاب.

قال: فالعمل الصالح من العبد هو فعله، والعمل الشر من العبد هو فعله؟

قال: العمل الصالح العبد يفعله والله به أمره، والعمل الشر العبد يفعله والله عنه نهاه.

قال: أليس فعله بالآلة التي ركّبها فيه؟

قال: نعم، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر بها على الشر الذي نهاه عنه.

قال: فإلى العبد من الأمر شيء؟

---

(١) بحار الأنوار ١٦/٥ الباب ١ ح ٢٢.

قال: مانهاه الله عن شيء إلّا وقد علم أنّه يطيق تركه، ولا أمره بشيء إلّا وقد علم أنّه يستطيع فعله لأنّه ليس من صفته الجـور والعـبث والظـلم وتكليف العباد ما لا يطيقون.

قال: فمن خلقه الله كافراً يستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجة؟

قال عليه السلام: إنَّ الله خلق خلقه جميعاً مسلمين، أمرهم ونهاهم، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً إنّـه إنّما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجة مـن الله فـعرض عـليه الحـق فجحده فبإنكاره الحق صار كافراً.

قال: فيجوز أن يقدّر على العبد الشر ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعمله ويعذّبه عليه؟

قال: إنّه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدّر على العبد الشر ويريده منه، ثم يأمره بما يعلم أنّه لا يستطيع أخذه، والإنزاع عمّا لا يقدر على تركه، ثم يعذبه على تركه أمره الذي علم أنّه لا يستطيع أخذه»[1]. الخبر.

١٠ ـ حديث داود بن قبيصة قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول:

«سُئل أبي عليه السلام: هل منع الله عمّا أمر به؟ وهل نهى عمّا أراد؟ وهل أعـان على ما لم يرد؟

فقال عليه السلام: أمّا ما سألت: هل منع الله عما أمر به؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم، ولو منع إبليس لعـذره ولم يلعنه.

وأما ما سألت: هل نهى عما أراد؟ فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان حيث

---

(١) بحار الأنوار ٥/١٨ الباب ١ ح ٢٩.

نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها، ولو أراد منه أكلها ما نادى عليه صبيان الكتاتيب ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[1] والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره.

وأما ما سألت عنه من قولك: هل أعان على ما لم يرد؟ فلا يجوز ذلك، وجلّ الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء وتكذيبهم، وقتل الحسين بن علي والفضلاء من ولده، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعد جهنم لمخالفيه، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته، وارتكابهم لمخالفته؛ ولو جاز أن يعين على مالم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادّعائه أنّه ربّ العالمين!، أفترى أراد الله من فرعون أن يدعي الربوبية؟ يستتاب قائل هذا فإن تاب من كذبه على الله؛ وإلّا ضربت عنقه»[2].

١١ ـ روي أنّه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له: يا أبا حنيفة! إنّ هاهنا جعفر بن محمّد من علماء آل محمّد عليهم السلام فاذهب بنا إليه نقتبس منه علماً. فلما أتيا إذاً هما بجماعة من شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث فقام الناس هيبةً له، فالتفت أبو حنيفة فقال: يابن مسلم! من هذا؟ قال: هذا موسى ابنه، قال: والله لأُجبّهنّه بين يدي شيعته. قال: مه! لن تقدر على ذلك، قال: والله لأفعلنّه.

ثم التفت إلى موسى عليه السلام فقال:

«يا غلام! أين يضع الغريب حاجته في بلدتكم هذه؟

قال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقّى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومسقط

---

(١) سورة طه، الآية ١٢١.

(٢) بحار الأنوار ٢٥/٥ الباب ١ ح ٣١.

الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، فحينئذ يضع حيث شاء، ثـم قال: يا غلام! ممن المعصية؟

قال: يا شيخ! لا تخلو من ثلاث إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإما أن تكون من العبد ومن الله، والله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء فإن شاء عفا وإن شاء عاقب.

قال: فأصابت أبا حنيفة سكتة كأنّما أُلقم فوه الحجر.

قال: فقلت: له ألم أقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ »[١].

١٢ ـ حديث محمّد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

« ما أُمر العباد إلّا بدون سعتهم، فكلّ شيء أُمر النّاس بأخذه فهم متّسعون له، وما لا يتّسعون له فهو موضوع عنهم، ولكنّ الناس لا خير فيهم »[٢].

١٣ ـ حديث الهروي قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: **﴿اَلَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ في غِطاءٍ عَنْ ذِكْري وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾**[٣]؟

فقال:

« إنّ غطاء العين لا يمنع من الذكر، والذكر لا يرى بالعيون، ولكنَّ الله شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالعميان؛ لأنّهم كانوا يسـتثقلون قول النبي صلى الله عليه وآله فيه، وكانوا لا يستطيعون سمعاً.

---

(١) بحار الأنوار ٥/٢٧ الباب ١ ح ٣٣.

(٢) بحار الأنوار ٥/٣٦ الباب ١ ح ٥١.

(٣) سورة الكهف، الآية ١٠١.

فقال المأمون: فرّجت عني فرّج الله عنك»[١].

١٤ ـ حديث هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

« ما كلّف الله العباد إلّا ما يطيقون، وإنّما كلّفهم في اليوم والليلة خمس صلوات، وكلّفهم من كل مئتي درهم خمسة دراهم، وكلّفهم صيام شهر رمضان في السنة، وكلّفهم حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك، وإنّما كلفهم دون ما يطيقون ونحو هذا »[٢].

١٥ ـ حديث محمّد بن علي المكي بإسناده قال: إنَّ رجلاً قدم على النبي صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرني بأعجب شيء رأيت، قال: رأيت قوماً ينكحون أُمّهاتهم وبناتهم وأخواتهم فإذا قيل لهم: لمَ تفعلون ذلك؟ قالوا: قضاء الله تعالى علينا وقدره.

فقال النبي صلى الله عليه وآله:

« سيكون من أُمتي أقوام يقولون مثل مقالتهم، أولئك مجوس أُمّتي »[٣].

١٦ ـ روي أنّ رجلاً سأل جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر؟ فقال:

« ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله، يقول الله تعالى للعبد: لم عصيت؟ لمَ فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لم زنيت؟ فهذا فعل العبد؛ ولا يقول له: لم مرضت؟ لم قصرت؟ لم ابيضضت؟ لم اسوددت؟ لأنّه من فعل الله »[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٥/٤٠ الباب ١ ح ٦٢.

(٢) بحار الأنوار ٥/٤١ الباب ١ ح ٦٦.

(٣) بحار الأنوار ٥/٤٧ الباب ١ ح ٧٤.

(٤) بحار الأنوار ٥/٥٩ الباب ١ ح ١٠٩.

وأمّا دليل العقل على عدله تعالى:

فهو حكم العقل بالضرورة والبداهة بعدله وعدالته بالتقريب التالي:

إن الظلم، والجور، وفعل القبيح، وترك الحسن، يكون ناشئاً إمّا من العجز، أو النقص، أوالحقد، أو البخل، أو الحسد، أو الجهل، أو السفاهة، أو الاحتياج.. وكلها محال على الله تعالى لأنّه الغني بالذات، الرؤوف في الصفات، والعالم القدير والحكيم القويّ.

فهو مستغن عن الظلم، منزه عن القبيح، وجليل عن النقص.

وقد ثبت في المنقول، ودلّت العقول على عدالة الله تعالى في جميع أفعاله وأقواله وحكمه وصنعه ومخلوقاته كما ذهبت إليه الإمامية الحقّة.

فهو الغني عن ظلمهم والمتفضل باللطف إليهم.

كما أنّ جميع أفعاله معلّلة بالحكمة والمصلحة وليست لعباً وعبثاً حتى تخرج عن مسلك العدل، لأنّه هو الحكيم العليم.

على أنّ المصالح والمنافع في أفعاله راجعة إلى عباده، وعائدة إلى خلقه فلا تقارن الظلم، وهو المحسن الجواد والرحيم بالعباد، والعادل في قضيّته وبريّته.

واعلم أنّه في قبال عدالة الله تعالى، الثابتة بالبراهين الجليّة والمعلومة بالادلّة العقلية، خالفت الأشاعرة وتجاوزت هذه الحقيقة الهامّة ونسبت إليه إمكان فعل القبيح والظلم الصريح.. أو التكليف بما لا يطاق، وإتيان العبث والجبر في الأفعال، وعدم العدل في المآل.. تعالى الله عن ذلك علّواً كبيراً وجميع مفترياتهم هذه تعود إلى أنّه لا يقبح الظلم حتى يتنزه عنه الله تعالى، ولا يحسن العدل حتى يفعله الله عز اسمه..

وهذا منهم على أساس إنكار الحسن والقبح العقلي ذاتاً، يعني إنكار أنّ للأشياء

في حدّ ذاتها حسناً أو قبحاً في نظر العقل.. فلا حسن إلّا بعد أمر الشارع به، ولا قبيح إلّا بعد نهي الشارع عنه، لذلك لو أمر الشارع بالظلم صار حسناً ولو نهى عن العدل صار قبيحاً، ولو فعل منكراً صار معروفاً.

وعلى هذا الإدعاء الفاسد بنوا نسيج عنكبوتهم وتوغلوا في أباطيلهم، وقد مزجوها باحتجاجات واهية تلاحظها مع الجواب عنها من العلامة أعلى الله مقامه في النهج[١].

وأجاب السيد الشبرأيضاً عن دعواهم ودليلهم بأجوبة شافية في حق اليقين[٢] حاصلها ما يلي:

١ ـ إنّ هذا إنكار للبديهة الواضحة، فإن كل من له أدنى عقل وشعور يعلم حسن الصدق النافع، وقبح الكذب الضّار بحكم العقل.

٢ ـ إنّ الشخص العاقل الذي لم يسمع الشرائع ولم يعلم الأحكام، بل نشا في البادية، لو خيّر بين أن يصدق في كلامه ويُعطى ديناراً، أو يكذب ويعطى ذلك الدينار، مع عدم ضرر عليه في الصدق أو الكذب لاختار الصدق دون الكذب، ولولا حكم العقل بحسن الصدق لما فرّق العاقل بين الصدق والكذب، ولما اختار الصدق دائماً.

٣ ـ إنّه لو كان الحسن والقبح شرعيين غير عقليين، لما حكم بهما من ينكر جميع الشرائع والأديان، كالبراهمة والملاحدة مع أنّهم يحكمون بالحسن والقبح بضرورة العقل.

٤ ـ إنّ من الحسّيات التي تقضي بها الضرورة ويدركها الوجدان قباحة الفعل

(١) نهج المسترشدين ص ٥١.

(٢) حق اليقين ٥٦/١.

اللغو والعمل العبث بحكم العقل، كما إذا استأجر أحدٌ أجيراً ليفرغ ماء دجلة في الفرات أو الفرات في دجلة، وكذا من البديهيات قباحة تكليف ما لا يطاق، كتكليف الزَمِن المُقعد بالطيران إلى السماء، أو تكليف الأعمى بتنقيط المصحف، وهذا يقضي بتحقق قبح القبيح في حكومة العقل.

٥ ـ إنّه لو كان الحسن والقبح سمعيّين لا عقليّين، لما قَبُح من الله إظهار المعجزات على يد الكذّابين مع أنّه قبيح ولا يفعله الحكيم قطعاً، وتجويز ذلك يسد باب معرفة النبوة التي أذعن بها حتى الأشاعرة.

٦ ـ إنّه لو كانا شرعيّين فقط لحَسُن من الله أن يأمر بالكفر وتكذيب الأنبياء، وعبادة الأصنام والمواظبة على الزنا والسرقة لفرض عدم قبحها حينئذٍ.. وهذا نقض الغرض الذي يبطله الوجدان.

٧ ـ إنّه لو كانا شرعيّين لم تجب ولم تحسن معرفة الله تعالى، لتوقف معرفة هذا الإيجاب والحسن على معرفة الموجِب، المتوقفة هي على معرفة الإيجاب فيدور، ويلزم من عدم عقليّتهما الدور الباطل.

٨ ـ إنّ الضرورة ـ بل الفطرة في الإنسان بل في الحيوان ـ قاضيةٌ قطعاً وحاكمةٌ حقاً بالفرق دائماً بين من أحسن إليها وبين من أساء إليها، وحسن الأوّل وقبح الثاني بلا شك ولا ريب، وإنّ الله تعالى لا يأمر إلّا بما هو حسن ولا ينهى إلا عما هو قبيح. إنّه عز اسمه لا يفعل ظلماً أبداً لغناه، ولا يصنع قبيحاً أصلاً لجلالته..

وهذه الوجوه تثبت وجود الحسن الذاتي عقلاً وحسن العدالة ذاتاً.

وأضاف السيد الورع الخوانساري (قدس سره) الاستدلال بأن الواجب تعالى لا يصدر منه الفعل القبيح، لأن ترجيح القبيح إما أن يكون من جهة عدم العلم بالمفسدة، أو من جهة الحاجة.. والواجب تعالى منزه عن الأمرين، فالحكيم العالم بالمصالح

والمفاسد غير المحتاج كيف يرجح المرجوح على الراجح..

وهذا أصلٌ يبتنى عليه أيضاً حسن بعث الأنبياء وبقاء أوصيائهم في كل عصر [١].

▣▣▣

(١) العقائد الحقة ص ١٠.



أصل النبوّة

النبوة: هي الإخبار عن الله تعالى كما عرّفها في مرآة الأنوار[1].

والنبيّ هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة بَشَر، أعم من أن يكون له شريعة كسيدنا محمّد ﷺ، أو ليس له شريعة كيحيى عليه السلام..

قيل: سمّي نبيّاً لأنّه أخبر وأنبأ عن الله تعالى، مأخوذ من النبأ أي الخبر، فهو فعيل بمعنى مُفعِل، ونبي بمعنى مُنْبِئ، أو مأخوذ من النباوة أي الرِفعة فهو نبيّ بمعنى رفيع، والمعنى على هذا: إنّ النبي ارتفع وشَرُفَ على سائر الخلق، كما يستفاد من المجمع[2].

وقيل: النبي هو الطريق، ويقال للرسل: أنبياء الله؛ لكونهم طرق الهداية إليه، فالنبوّة بمعنى طريق الهداية كما يستفاد من إرشاد الطالبين[3].

والإعتقاد بالنبوّة والأنبياء من أصول الدين المبين ومما يلزم اعتقاده بالاستدلال واليقين.

والخَلق بأجمعهم محتاجون إلى النبيّين، ومضطرّون إلى المرسلين ليكونوا وسائط بينهم وبين الله ربّ العالمين وطرقاً لمعرفة وظائفهم، ووسائل لعرفان مسائلهم، وحججاً على جميع بريّته، ومصباحاً لهداية خليقته.

وقد ثبتت النبوّة والأنبياء بالكتاب والسنة والعقل:

---

(١) مرآة الأنوار ص ٢٠٥.

(٢) مجمع البحرين ص ٨٦، مادة (نبأ).

(٣) إرشاد الطالبين ص ٢٩٥.

الأوّل: دليل الكتاب:

في آيات عديدة مثل: ١ ـ قوله تعالى: **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾**[١].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**[٢].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾**[٣].

الثاني: دليل السنة:

في أحاديث وفيرة دلّت على لزوم إرسال الرسل ولزوم الإيمان بهم، والعمل بقولهم نظير:

١ ـ خطبة امير المؤمنين عليه السلام الذي جاء فيها بعد ذكر سيدنا آدم عليه السلام:

« **واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم...**»[٤].

٢ ـ حديث هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال للزنديق الذي سأله: من أين أثبتَّ الأنبياء والرسُل؟ قال:

« **إنا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه**

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

(٢) سورة الشورى، الآية ٥١.

(٣) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٤) نهج البلاغة ص ١٦، الخطبة الأولى، من الطبعة المصرية.

فيباشرهم ويباشروه ويحاجُّهم ويحاجّوه، ثبت أن له سفراء في خـلقه، يعبِّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم و في تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العـليم في خلقه والمعبِّرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدَّبين بالحكمة، مبعوثين بـها، غـير مشـاركين للـنّاس عـلى مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلِّ دهر وزمان مما أتت به الرُّسل والأنبياء من الدَّلائل والبراهين، لكيلا تـخلو أرض الله مـن حـجّة يكون معه عَلَمٌ يدلُّ على صدق مقالته وجواز عدالته»[١].

٣ ـ حديث منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«إنّ الله أجلُّ وأكرمُ من أن يُعرف بخلقه، بل الخلق يُعرفون بـالله. قـال: صدقت. قلت: إنَّ من عرف أنّ له رباً، فقد ينبغي له أن يـعرف أنّ لذلك الرَّبّ رضاً وسخطاً، وأنه لا يعرف رضاه وسخطه إلّا بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرُّسل، فإذا لقـيهم عـرف أنـهم الحجة وأنّ لهم الطاعة المفترضة، وقـلت للـناس: تـعلمون أنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجة على خلقه؟ فقالوا: القرآن، فنظرتُ فـي القرآن فإذا هو يخاصم به المرجيُّ والقدريُّ والزنديق[٢] الذي لا يؤمن به

---

(١) أصول الكافي ١٦٨/١، باب الاضطرار إلى الحجة ح ١.

(٢) المرجئة فرقة من المنحرفين عـن الإسـلام يـعتقدون أن الله تـعالى أرجأ تـعذيبهم عـلى المعاصي أي أخّره عنهم، والقَدَري يطلق على الجبري والتفويضي، والزنديق هو النـافي للصانع تعالى.

حتى يغلب الرِّجال بخصومته فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بـقيِّم، فما قال فيه من شيء كان حقاً. فقلت لهم: مَـن قـيّم القـرآن؟ فـقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، وعمر يعلم، وحذيفة يعلم. قلت: كلّه؟ قالوا: لا، فلم أجد أحداً يقال: إنّه يعرف ذلك كلّه إلّا علياً عليه‌السلام. وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا: لا أدري وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقـال هذا: أنا أدري. فأشهد أنّ علياً كان قيِّمَ القرآن وكانت طـاعته مـفترضة وكان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وأنَّ ما قال في القرآن فـهو حقّ. فقال: رحمك الله»[١].

٤ ـ حديث يونس بن يعقوب: قال: كُان عند أبي عبد الله عليه‌السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين و محمد بن نعمان وهشامُ بن سالم والطيّارُ وجماعةٌ فـيهم هشام بن الحكم ـ وهو شابٌ ـ فقال أبوعبد الله عليه‌السلام:

« يا هشام! ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ فـقال هشام: يابن رسول الله! إني أجلّك وأسـتحييك ولا يـعمل لسـاني بـين يديك. فقال أبوعبدالله: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البـصرة فـعظم ذلك عـليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنـا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملةٌ سوداء متّزرٌ بها من صوف وشملة مرتدٍ بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجـوا لي، ثـم قعدت في آخر القوم على ركبتيّ، ثم قلت: أيها العالم! إنِّي رجلٌ غـريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم. فقلت له: ألك عينٌ؟ فقال: يا بني!

(١) أصول الكافي ١٦٩/١، باب الاضطرار إلى الحجة ح ٢.

أيّ شيء هذا من السؤال وشيءٌ تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يا بنيّ! سل وإن كانت مسألتك حمقاء؛ قلت: أجبني فيها، قال لي: سل، قلت: ألك عينٌ؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنفٌ؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشمُّ به الرائحة، قلت: ألك فمٌ؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أذُنٌ؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلبٌ؟ قال: نعم؛ قلت: فما تصنع به؟ قال: أُميِّز به كلّما ورد على هذه الجوارح والحواس؛ قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا؛ قلت: وكيف ذلك وهي صحيحةٌ سليمةٌ؟ قال: يا بني! إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكِّ الجوارح؟ قال: نعم.

قلت: لابدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم.

فقلت له: يا أبا مروان! فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح، ويتيقن به ما شكّ فيه، ويترك هذا الخلق كلَّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترُدّ إليه حيرتك وشكّك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً، ثمّ التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت إذن هو، ثمّ ضمَّني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتّى قمت.

قال: فضحك أبوعبد الله عليه السلام وقال: يا هشام! من علّمك هذا؟ قلت: شيء أخذته منك وألّفته. فقال: هذا والله مكتوبٌ في صحف إبراهيم وموسى»[١].

٥ ـ حديث عبد الله بن سليمان العامري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

« ما زالت الأرض إلا ولله فيها الحجة، يعرِّف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله»[٢].

٦ ـ حديث أبي بصير، عن أحدهما [الصادقَين] عليهما السلام قال:

« قال: إنَّ الله لم يَدَع الأرض بغير عالِم، ولولا ذلك لم يُعرف الحقّ من الباطل»[٣].

٧ ـ حديث أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سأله رجل فقال: لأي شيءٍ بعث الله الأنبياء والرُّسل إلى الناس؟ فقال:

« لئلا يكون للناس على الله حجّة من بعد الرّسل، ولئلا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، ولتكون حجّة الله عليهم، ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول حكاية عن خزنة جهنّم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرّسل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾[٤]»[٥].

٨ ـ ما في علل الفضل، عن الامام الرضا عليه السلام:

---

(١) أصول الكافي ١٦٩/١ باب الاضطرار إلى الحجة ح ٣.

(٢) أصول الكافي ١٧٨/١ باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة ح ٣.

(٣) أصول الكافي ١٧٨/١ باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة ح ٥.

(٤) سورة الملك، الآيتان ٨ و ٩.

(٥) بحار الأنوار ٣٩/١١ الباب ١ ح ٣٧.

« فإن قال: فلمَ وجب عليهم معرفة الرّسل و الإقـرار بـهم و الإذعـان لهـم بالطاعة؟

قيل: لأنّه لمّا لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملوا لمصالحهم وكان الصانع متعالياً عن أن يُرى وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً لم يكـن بـدٌّ مـن رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويـقفهم [يـوقفهم] على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارّهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه منافعهم ومضارّهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرّسول منفعةٌ ولا سدّ حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الّذي أتقن كلّ شيء »[١].

الثالث: دليل العقل:

وهو يقضي ويحكم ببعثة الأنبياء ولزوم النبوّة من وجوه عديدة:

١ ـ إنّ الاجتماع مظنة النزاع، وإنما تزول مـفسدته بشـريعة مسـتفادة مـن الإله الحكيم المدبّر للعالم دون غيره، وتلك الشريعة لابدّ لها من رسول متميّز من بني نوعه، فالحكمة تدعو إلى نصبه ليحول دون الفساد، كما يستفاد هذا الإستدلال من العلّامة الحلّي قدس سره[٢].

٢ ـ إنّ قاعدة اللطف تقضي بإرسال النبي ليقرّب العباد إلى الطاعة ويبعّدهم عن المعصية؛ لأنّ الغرض والحكمة في إيـجاد الخـلق هـي المـعرفة والعـبادة، وذلك يتوقف على تعيين واسطة بين الحـقّ والخـلق يـعلّمهم ذلك، لاسـتحالة الإفـاضة والإستفاضة بلا واسطة؛ إذ لا ربط ولا نسبة بين النور والظلمة حتى لا يـحتاج إلى

---

(١) بحار الأنوار ١١/٤٠ الباب ١ ح ٤٠.

(٢) نهج المسترشدين ص ٥٨.

واسطة، كما يستفاد الاستدلال بها من السيد الشبّر طاب ثراه[١].

٣ ـ إن عدالة الله تعالى تأبى أن يخلق الخلق بهذه الكثرة العظيمة والطبقات المختلفة، ثم يتركهم سُدى يتيهون في ظلمات الجهل، ودَرَكات الضلالة بدون معلم ولا مرشد، فالعدالة تقتضي نصب نبيٍ للهداية.

ويدرك العقل بوضوح أنّ الله تعالى أرشد حتى الحيوانات إلى ما فيه خيرُها وصلاحُها، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هَدى، فكيف يمكن أن يترك الإنسان سُدى في غواية وبلا هُدى؟! وإهمال الخلق خلاف الحكمة..

فلابدّ إذن من إرشادهم وأن يرسل لهم من يهديهم إلى الخير الأمثل والسعادة القصوىٰ.

مع أنّ نظام الدين لا يستغني عمَّن يُعرِّف الإنسان صلاح دنياه وآخرته، وينبّهه على ما فيه خيره، ويحذّره عما فيه شرّه، ويضمن له النفع في العاجل والسلامة في الآجل، ويبيّن له آثار أعماله من الخير والشرّ، ويرشده في مواضع التحيُّر والشك ويُنير قلبه بالعلم والحكمة، ويزكّيه في مرحلة التربية والتعليم، ويحكي له أخبار النشأة الأولى والأخرى ليعرف مبدأه ومنتهاه، ويسلك به إلى طريق إطاعة الله واجتناب معصيته، ويضع له الدستور الصحيح في حياته الفرديّة والإجتماعية، ولا يليق بهذا المنصب الجليل إلّا من يختاره الله ويصطفيه، ويعلّمه ويزكّيه، وهم رسله وأنبياؤه.

فيقضي العقل بضرورة بعثه الرسل والأنبياء، ولزوم متابعة النبيين للاهتداء، لأنّ الأنبياء أُسوة وقدوة، وهم طرق السعادة والهداية، وسبيل النجاة في الدنيا والآخرة.

***

---

(١) حق اليقين ٨٤/١.

ثمَّ إنّه بعد إثبات أصل النبوّة لنبدء بدراسة نبوّة الأنبياء في بحثين :

الأول : مبحث النبوة العامَّة الثابتةلجميع الأنبياء الكرام من آدم إلى الخاتِم سلام الله عليهم .

الثاني : مبحث النبـوّة الخـاصّة الثـابتة لنـبي الأسـلام وأشـرف الأنـام الرسـول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

□□□

الأول:

النبوّة العامّة

يبلغ عدد الأنبياء مئة وأربعة وعشرين ألف نبي، أرسلهم الله تعالى إلى خلقه في مناطق متعددة من الأمكنة، وعلى فترات متفاوتة من الأزمنة.

وكانت بداية سلسلتهم الشريفة نبيّ الله آدم عليه السلام، ومسك ختامهم سيد الأنبياء وأفضل الأصفياء محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال شيخنا الصدوق في كتاب الاعتقادات: «اعتقادنا في عددهم أنّهم مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، ومئة ألف وصي وأربعة وعشرون ألف وصي لكل نبيّ منهم وصيّ أوصى إليه بأمر الله تعالى.

ونعتقد فيهم أنّهم جاؤوا بالحقّ من عندالحقّ، وأنّ قولهم قول الله تعالى، وأمرهم أمر الله تعالى، وطاعتهم طاعة الله تعالى، ومعصيتهم معصية الله تعالى، وأنّهم عليهم السلام لا ينطقون إلّا عن الله تعالى وعن وحيه»[1].

والتنصيص على الأنبياء العظام ثابتٌ بالتصريحات القطعية في الكتاب الكريم والسنة السنيّة:

---

(١) اعتقادات الصدوق ص ٩٢.

أولا: في الكتاب الكريم:

١ ـ **﴿وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُونَ * أولئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[١].

٢ ـ **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَاكَانَ لِرَسُولٍ أن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إلّا بِإِذْنِ اللهِ﴾**[٢].

٣ ـ **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾**[٣].

٤ ـ **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾**[٤].

ثانيا: في السنة السنيّة:

١ ـ حديث دارم، عن الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله:

« **خلق الله عزّ وجلّ مئة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله عزّ وجلّ مئة ألف وصيّ وأربعة وعشرين ألف وصيّ فعليّ أكرمهم على الله وأفضلهم** »[٥].

٢ ـ حديث أبي بصير، عن الامام أبي عبد الله عليه السلام؛ وكذلك الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة، عن الامام عليّ بن الحسين عليهما السلام قالا:

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٤ و٥.

(٢) سورة الرعد، الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٤) سورة الغافر (المؤمن)، الآية ٧٨.

(٥) بحار الأنوار ١١/٣٠ الباب ١ ح ٢١.

« من أحبَّ أن يصافحه مئة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ فلْيَزُر قبر أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام في النصف من شعبان، فإنّ أرواح النبيين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسة أولو العزم من الرسل.

قلنا: من هم؟

قال: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلى الله عليهم.

قلنا له: ما معنى أولو العزم؟

قال: بعثوا إلى شرق الأرض وغربها، جنّها وإنسها »[١].

٣ ـ حديث عليّ بن عاصم الكوفيّ قال: دخلت على أبي محمّد العسكريّ عليه السلام فقال لي:

« يا عليّ! انظر إلى ما تحت قدميك فإنّك على بساط قد جلس عليه كثير من النبيّين والمرسلين والأئمّة الراشدين، ثمّ قال: ادن منّي، فدنوت منه، فمسح يده على وجهي فصرت بصيراً، قال: فرأيت في البساط أقداماً وصوراً، فقال: هذا أثر قدم آدم عليه السلام وموضع جلوسه، وهذا أثر هابيل، وهذا أثر شيت، وهذا أثر نوح، وهذا أثر قيدار، وهذا أثر مهلائيل، وهذا أثر يارة، وهذا أثر خنوخ، وهذا أثر إدريس، وهذا اثر متوشلخ، وهذا أثر سام، وهذا أثر أرفخشد، وهذا أثر هود، وهذا أثر صالح، وهذا أثر لقمان، وهذا أثر إبراهيم، وهذا أثر لوط، وهذا أثر إسماعيل، وهذا أثر إلياس، وهذا أثر إسحاق، وهذا أثر يعقوب، وهذا أثر يوسف، وهذا أثر شعيب، وهذا أثر موسى، وهذا أثر يوشع بن نون، وهذا أثر طالوت، وهذا

---

(١) بحار الأنوار ٣٢/١١ الباب ١ ح ٢٥.

أثر داود، وهذا أثر سليمان، وهذا أثر الخضر، وهذا أثر دانيال، وهذا أثر اليسع، وهذا أثر ذي القرنين الإسكندر، وهذا أثر شابور بن أردشير، وهذا أثر لؤي، وهذا أثر كلاب، وهذا أثر قصيّ، وهذا أثـر عـدنان، وهـذا أثـر عبد مناف، وهذا أثر عبد المطّلب، وهذا أثر عبد الله، وهـذا أثـر سـيّدنا رسول الله ﷺ، وهذا أثر أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا أثر الأوصياء من بعده إلى المهديّ عليه السلام لأنّه قد وطى وجلس عليه، ثمّ قـال: انـظر إلى الآثـار، واعلم أنّها آثار دين الله، وأنّ الشاك فيهم كالشاك في الله، ومن جحد فيهم كمن جحد الله، ثمّ قال: اخفض طرفك يا عليّ، فـرجـعت مـحجوباً كـما كنت»(١).

٤ ـ حديث عبد الرَّحمن بن بكير الهجريّ، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام قال:

« قال رسول الله ﷺ: إنّ أوّل وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبيّ مضى إلّا وله وصيّ، كان عدد جميع الأنـبياء مـئة ألف نـبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ، خمسة منهم أولوالعزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ﷺ وإنّ عليّ بن أبي طالب كان هـبة الله لمـحمّد، ورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أما إنّ محمّداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين..»(٢).

هذا شأن معرفة الأنبياء وعددهم والإعتقاد بهم.

ويقع البحث في الأمور الآتية التي تخصّ النبوّة العامة وهي مباحث خمسة:

١ ـ أولو العزم من الرُّسل.

---

(١) بحار الأنوار ٣٣/١١ الباب ١ ح ٢٧.

(٢) بحار الأنوار ٤١/١١ الباب ١ ح ٤٣.

٢ ـ عصمة الأنبياء.

٣ ـ اختيار النبي المعصوم.

٤ ـ طريق معرفة الأنبياء.

٥ ـ طبقات الأنبياء.

▣▣▣

الأوّل: أولو العزم من الرسل

والأنبياء أولو العزم الكرام خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وعليهم..

وقد امتاز هؤلاء العظام من بين الأنبياء بامتياز صاحبيّة العزم.

وقد أشار إليهم القرآن الكريم، بقوله عزّ شأنه: **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾**[1] وورد ذكرهم وبيان شأنهم في أحاديثنا الشريفة كما يلي:

١ ـ حديث أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام[2]، المفيد كون معنى أولي العزم أنّ شريعتهم كانت عامّة وعزيمة لجميع أهل الأرضين، شرقها وغربها، جنّها وإنسها.

٢ ـ حديث الحسن بن فضّال، عن الإمام الرضا عليه السلام[3]، المفيد كون معنى أولي العزم أنّهم كانوا أصحاب شرايع وعزائم وأن كلاً منهم ثبتت شريعته ومنهاجه إلى صاحب العزم الذي كان من بعده، وأنّ شريعة الرسول الأعظم باقيةٌ إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.

(٢) بحار الأنوار ٣٢/١١ الباب ١ ح ٢٥.

(٣) بحار الأنوار ٣٤/١١ الباب ١ ح ٢٨.

٣ ـ حديث تفسير الإمام العسكري عليه السلام[1]، المفيد كون معنى أولي العزم أنّهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله وبالنبوة والعزم على الصبر.

٤ ـ حديث جابر الجعفي، عن الإمام الباقر عليه السلام[2]، المفيد كون معنى أولي العزم هي العزيمة والإقرار بالنبي محمّد والأوصياء من بعده إلى الإمام المهدي عليهم السلام.

٥ ـ حديث ابن أبي يعفور، عن الإمام الصادق عليه السلام[3]، المستفاد منه كون أولي العزم هم الذين دارت عليهم رحى النبوّة والرسالة، فهم بمنزلة القطب وسائر الأنبياء هم التابعون.

ولذلك أفاد شيخنا الصدوق في الاعتقادات[4]: انه يلزم الاعتقاد بأنّ سادة الأنبياء خمسة، الذين عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرائع وهم أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا يخفى أنّه لا تنافي بين هذه المعاني الخمسة بالنسبة إلى أولي العزم، بل يمكن أن يكون أولوالعزم من الرسل متّصفين بجميع هذه الخصائص في نبوتهم، والله العالم.

الثاني: عصمة الانبياء

العصمة في أصل اللغة هي: الوقاية والمنع والدفع والحفظ والحماية، كما يستفاد من العين[5]، والمجمع[6]، واللسان[7].

---

(١) بحار الأنوار ٣٥/١١ الباب ١ ح ٣٠.

(٢) بحار الأنوار ٣٥/١١ الباب ١ ح ٣١.

(٣) أصول الكافي ١٧٥/١ باب طبقات الأنبياء ح ٣.

(٤) اعتقادات الصدوق ص ١٢.

(٥) العين للخليل ٣١٣/١.

(٦) مجمع البحرين للطريحي، مادة (عصم).

(٧) لسان العرب ٤٠٣/١٢.

وفي الإصطلاح العلمي: هي القوّة العقلية التى لا يُغلب فيها المعصوم للمعاصي مع كونه قادراً عليها وهي الروحية القدسية التي تمنع عن مخالفة التكليف بدون أن يكون إجبارٌ على عدم العصيان، بل يمتنع المعصوم بلطف الله عن محارم الله تبارك وتعالى.

وهذه الصفة الشريفة موجودة في جميع الأنبياء عليهم السلام قطعاً.. بل هي من معتقداتنا الثابتة يقيناً.

فقد قال الشيخ الصدوق في كتاب الإعتقادات[١]: «اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمّة والملائكة صلوات الله عليهم أنّهم معصومون مطهّرون من كل دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنباً، لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم.

واعتقادنا فيهم أنّهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم إلى أواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل».

وأفاد شيخ الإسلام المجلسي في الاعتقادات[٢] ما مضمونه: يلزم الإعتقاد بحقّانيّة الأنبياء وعصمتهم وطهارتهم، فإنّ انكار نبوّتهم أو سبّهم أو الاستهزاء بهم أو الخدشة بمقامهم مساوقٌ للكفر.

وصرّح أعلى الله مقامه في البحار[٣]: بأنّ مذهب أصحابنا الإماميّة هو أنّه لا يصدر من الأنبياء ذنب، لا صغيره ولا كبيره، لا عمداً ولانسياناً، لا خطاءً ولا إسهاءً.

---

(١) اعتقادات الصدوق ص ٩٦.

(٢) الاعتقادات ص ٢٥.

(٣) بحار الأنوار ١١/٩٠.

ووقت عصمتهم من ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه.

ثم قال قدس سره: والعمدة في ما اختاره أصحابنا من تنزيه الأنبياء والأئمة عليهم السلام من كل ذنب و دناءةٍ ومنقصة قبل النبوّة وبعدها هو قول أئمتنا سلام الله عليهم المعلوم لنا قطعاً بإجماع أصحابنا رضوان الله عليهم، مع تأييده بالنصوص المتضافرة حتى صار ذلك من قبيل الضروريات في مذهب الإمامية.

فعصمة الأنبياء ثابتةٌ بالنقل المتواتر كتاباً وسنةً، وباجماع الفرقة المحقّة، وبقيام الأدلّة العقلية الحقة..

أما الكتاب:

ففي مثل الآيات الشريفة التالية:

١ ـ قوله تعالى فيهم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ...﴾**[١].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[٢].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾**[٣].

أمّا السنة:

فالنصوص الروائية المتضافرة المصرّحة بعصمة الأنبياء، وهي كثيرة جاء بعضها في أمالي الصدوق[٤].. نختار في الإستدلال واحدةً منها ونذكرها بتفصيلها لعموم الفائدة فيها وهو حديث العيون المسند عن الامام الرضا عليه السلام بسند الصدوق القريب عن القرشي، عن النيسابوري، عن علي بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠١.

(٢) سورة الدخان، الآية ٣٢.

(٣) سورة ص، الآية ٤٧.

(٤) **أمالي الصدوق، المجلس العشرون ص ٨٠.**

المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام فقال له المأمون:

« يابن رسول الله! أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى؛ قال: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[١]؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وأشار لهما إلى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٢]، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا ممّا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها وإنّما اكلا من غيرها، لما أن وسوس لهما الشيطان وقال: ﴿مَا نَهَاكُما رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ﴾[٣] وانما يَنهَاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها ﴿إلاّ أنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِيْنَ﴾[٤] ولم يكن آدم وحوا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ﴿فَدَلاّهُمَا بِغُرُورٍ﴾[٥] فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[٦] وقال عز وجل: ﴿إنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٧].

---

(١) سورة طه، الآية ١٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٥.

(٣ ـ ٥) سورة الأعراف، الآيات ٢٠ – ٢٢.

(٦) سورة طه، الآيتان ١٢١ ـ ١٢٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيمَا آتاهُمَا﴾[١]؟

فقال له الرضا عليه السلام: إن حواء ولدت لآدم خمس مئة بطن ذكراً وأنثى وإن آدم عليه السلام وحواء عاهدا الله عز وجل ودعواه وقالا: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً﴾[٢] من النسل خلقاً سوياً برياً من الزمانة والعاهة وكان ما آتاهما صنفين صنفاً ذكراناً وصنفاً أناثاً فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣].

فقال المأمون: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً، فأخبرني عن قول الله عز وجل في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأىٰ كَوْكَباً قَالَ هٰذا رَبِّي﴾[٤]؟

فقال الرضا عليه السلام: إن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفى فيه، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ فرأى الزهرة قال: ﴿هٰذا رَبِّي﴾ على الإنكار والاستخبار ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ الكوكب ﴿قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ لأن الإفول من صفات المحدَث لا من صفات القدم ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هٰذا رَبِّي﴾[٥] على الانكار والاستخبار ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾[٦] يقول: لو لم يهدني ربي لكنت من القوم

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٩٠.

(٢ و٣) سورة الأعراف، الآيتان ١٨٩ ـ ١٩٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٧٦.

(٥ و٦) سورة الأنعام، الآية ٧٧.

الضالين، ﴿فَلَمّا﴾ أصبح و﴿رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذا رَبِّي هٰذا أكْـبَرُ﴾ من الزهرة والقمر على الانكار والاستخبار لا على الاخبار والاقرار ﴿فَلَمّا أَفَلَتْ﴾ قال للأصناف الثلاثة من عبَدة الزهرة والقمر والشمس: ﴿يا قَـوْمِ إنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾[١] وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لمن كان بـصفة الزهـرة والقمر والشمس وإنما تحق العبادة لخـالقها وخـالق السـماوات والأرض وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وأتاه كما قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبْرَاهِيْمَ عَلىٰ قَوْمِهِ﴾[٢].

فقال المأمون: لله درك يابن رسول الله! فأخبرني عن قول إبراهـيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَـلىٰ وَلكِـنْ لِـيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾؟

قال الرضا عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أني متخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته فوقع في نفس إبراهـيم أنه ذلك الخليل فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلىٰ وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على الخلّة قال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيْنَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيْمٌ﴾[٣] فاخذ إبراهيم عليه السلام نسراً وطاووساً وبطاً وديكاً فقطعهن

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

وخلطهن ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله ـ وكانت عشرة ـ منهن جزءاً وجعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماء فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان وجاء كل بدن حتى انضمّ إلى رقبته ورأسه، فخلّىٰ إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهنّ فطِرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحبّ وقلن: يا نبي الله! أحييتنا أحياك الله. فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسىٰ فَقَضَى عَلَيهِ قَالَ هٰذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾؟

قال الرضا عليه السلام: إن موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هٰذا مِنْ شِيعَتِهِ وَهٰذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقضى موسى على العدو بحكم الله تعالى ذكرُهُ فوكزه فمات. قال: ﴿هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني الإقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله ﴿إنّه﴾ يعني الشيطان ﴿عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾.

فقال المأمون: فما معنى قول موسى: ﴿رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفسي فَاغْفِرْ لِي﴾؟

قال عليه السلام: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة فاغفر لي أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُ إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؛ قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَا أنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزة ﴿فَلَنْ أكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ بل أجاهد في

سبيلك بهذه القوة حتى ترضى ﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى عليه السلام ﴿فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُه﴾ على آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ قتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأؤدّبنّك وأراد أن يبطش به ﴿فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ وهو من شيعته ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[١].

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن! فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّيْنَ﴾[٢]؟

قال الرضا عليه السلام: إن فرعون قال لموسى لما أتاه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾ بي، قال موسى: ﴿فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِيْنَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُم فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣]، وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾[٤] يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ﴾ يعني عند قومك ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي هداهم إلى معرفتك ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾. يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً.

قال المأمون: بارك الله فيك يابن رسول الله! فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ

---

(١) سورة القصص، الآيات ١٥ - ١٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢٠.

(٣) سورة الشعراء، الآيات ١٩ ـ ٢١.

(٤) سورة الضحى، الآية ٦.

تَرَانِي﴾[1] كيف يجوز أن يكوّن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تبارك وتعالى ذكُره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال ؟

فقال الرضا عليه السلام : إن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى أعز أن يُرى بالأبصار ولكنه لما كلّمه الله عز وجل وقرّبه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلّمه وناجاه، فقالوا لن نؤمن لك حتى نستمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبع مئة ألف رجل فاختار منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبع مئة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربهم فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تعالى أن يكلّمه ويُسمعهم كلامه فكلّمه الله تعالى ذكرُه وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا: لن نؤمن لك بان هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبرُوا وعَتَوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا ربِّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبتَ بهم فقتلتهم؛ لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك ننظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته ؟ فقال موسى: يا قوم! إن الله تعالى لا يُرى بالأبصار ولا كيفية له وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه. فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

فقال موسى: يا ربِّ! إنك قد سمعت مقالة بني اسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى! سَلني فلن أؤاخذك بجهلم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أرِنِي أنْظُرْ إلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلكِنِ انْظُرْ إلَى الْجَبَلِ فَإنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً فَلَمَّا أفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأنَا أوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] منهم بأنك لا تُرى.

فقال المأمون: لله درك يا أباالحسن!؛ فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[2]؟

فقال الرضا عليه السلام: لقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها كما همّت به لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق (عليه السلام) أنّه قال: همّت بأن تفعل وهمّ بأن لا يفعل.

فقال المأمون: لله درك يا أباالحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقدِرَ عَلَيْهِ﴾[3]؟

فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى عليه السلام ﴿ذَهَبَ مُغَاضِباً﴾ لقومه ﴿فَظَنَّ﴾ بمعنى استيقن ﴿أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي لم نضيّق عليه رزقه ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأمَّا إذَا مَا ابتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[4] أو ضيّق وقتر ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُماتِ﴾ أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت: ﴿أنْ لا إلٰهَ إلّا

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٢) سورة يوسف، الآية ٢٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

(٤) سورة الفجر، الآية ١٦.

أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت فاستجاب الله له وقال عز وجل: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(١).

فقال المأمون: لله درك يا أباالحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾(٢)؟

قال الرضا عليه السلام: يقول الله عز وجل: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم وظن قومهم أن الرسل قدكذبوا جاء الرسلَ نصرُنا.

فقال المأمون: لله درك يا أباالحسن! فاخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾(٣)؟

قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مئة وستين صنماً، فلما جاءهم (صلى الله عليه وآله) بالدعوة إلى كلمة الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هٰذا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾(٤) فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له: يا محمد! ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ مكة ﴿فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾(٥) عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما

---

(١) سورة الصافات، الآيتان ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) سورة يوسف، الآية ١١٠.

(٣) سورة الفتح، الآية ٢.

(٤) سورة ص، الآيات ٥ ـ ٧.

(٥) سورة الفتح، الآية ١.

تقدم وما تأخّر ؛ لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن! فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾[١]؟

قال الرضا عليه السلام: هذا مما نزل بـ« إياك أعني واسمعي يا جاره » خاطب الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته وكذلك قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٢] وقوله عز وجل: ﴿وَلَولا أنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِم شَيئاً قَلِيلاً ﴾[٣].

قال: صدقت يابن رسول الله! فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾[٤]؟

قال الرضا عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الذي خلقك! وإنما أراد بذلك تنزيه الباري عز وجل عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله. فقال الله عز وجل: ﴿أفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَولاً عَظِيماً ﴾[٥]. فقال النبي لما رآها تغتسل: سبحان الذي

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤٣.

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٧٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٤٠.

خلقك أن يتخذ له ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والاغتسال فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء رسول الله ﷺ وقوله لها: سبحان الذي خلقك.. فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظنّ أنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها فجاء إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله! إن امرأتي في خُلقها سوء وإني أريد طلاقها. فقال له النبي ﷺ: امسك عليك زوجك واتق الله وقد كان الله عز وجل عرفه عدد أزواجه وأن تلك المرأة منهن، فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد وخشي الناس أن يقولوا: إن محمداً يقول لمولاه: إن امرأتك ستكون لي زوجة يعيبونه بذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ يعني بالاسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ يعني بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ ثم إن زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه فزوجها الله عزّ وجل من نبيه محمد ﷺ وأنزل بذلك قرآناً فقال عزّ وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ ثم علم الله عزّ وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾[1].

فقال المأمون: لقد شفيت صدري يابن رسول الله! وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليَّ فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.

قال علي بن محمد بن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد ابن جعفر بن محمد عليه السلام وكان حاضر المجلس وتبعتهما فقال له المأمون:

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان ٣٧ ـ ٣٨.

كيف رأيت ابن اخيك؟ فقال له: عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم. فقال المأمون: إن ابن أخيك من أهل بيت النبي الذين قال فيهم النبي ﷺ: ألا إن أبرار عترتي وأطائب أرومتي أعقل الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً فلا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلالة[1].

وانصرف الرضا عليه السلام إلى منزله فلما كان من الغد غدوت عليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له فضحك عليه السلام ثم قال: يابن الجهم! لا يغرّنـّك ما سمعته منه فإنه سيغتالني والله تعالى ينتقم لي منه»[2].

ويستفاد من هذا الحديث الشريف عصمة الأنبياء، كما يستفاد منه أن ما يتوهم كونه ذنباً صادراً منهم ليس هو بذنب ولا عصيان بل هو من ترك الأولى فلا يضر بعصمتهم، ولا ينافي نزاهتهم.

وأمّا حكم العقل بعصمة الأنبياء عليهم السلام:

فبتقارير متعددة كثيرة نظير ما يلي:

١ ـ أنّه لو لم يكن النبي معصوماً لا نتفى الوثوق بقوله، فلا يُطاع ولا يَقبل أحدٌ منه قولاً، ويصير نصبه عبثاً.

٢ ـ أنّه لو جاز عليه الخطأ خارجاً، مع لزوم اتّباعه عقلاً، كان الأمر باتباعه قبيحاً بفطرة العقل، بل يلزم اجتماع الضدّين فيه بوجوب متابعته مع وجوب مخالفته.

٣ ـ أنّه لو جاز عليه الخطاء لاحتاج إلى من يسدّده، وذلك المسدِّد إمّا أن يكون

---

(١) إحقاق الحق ٤٧٦/٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٥٥/١ الباب ١٥ ح ١.

معصوماً وهو المطلوب، وإما أن لا يكون معصوماً فيحتاج إلى مسدِّدٍ آخر وهكذا وهلمّ جرّاً، فيلزم التسلسل الباطل.

٤ ـ أنّ من أغراض النبوّة إقامة العدل و منع الظلم، فلو صدرت من النبي معصية لانتفى غرض النبوّة.

٥ ـ أنّ النبي أُسوة، فلو عصى لسقط محلّه من القلوب وحُرِمَ انقياد الناس له فتنتفي فائدة البعثة.

٦ ـ أن النبي حافظ للشرع، وحجة لله، فلو جاز عليه الخطاء، لأدّى ذلك إلى التضليل، فكان نصبه قبيحاً.

٧ ـ أنّه إن جاز صدور المعصية منه أمكن صدور أيّ ذنب عظيم منه حتى القتل والنهب، وهو فساد يأباه العقل ولا يقبله عاقل.

٨ ـ أنّ النبي راعٍ لأمّته وصدور الذنب من الراعي أفحش من ذنب الرعيّة، فيصير بذنبه أسوء حالاً من رعيّته، ولا يليق للرئاسة الشرعية عليهم، والعاصي خائن فلا يؤتمن.

٩ ـ أنّه لو كان النبي يمكن عليه الخطاء أو السهو أو النسيان أو العصيان، لكانت رئاسته على الأمّة من هذه الجهة ترجيحاً بلا مرجح، وهو قبيح مع أنّه يمكن أن يأمر حينئذٍ بما لم يوح إليه، أو يترك شيئاً ممّا أوحي إليه.

١٠ ـ أنّه لوعصى النبي صار ظالماً وبطلت نبوّته الّتي هي عهد الله ولا ينال عهد الله الظالمين.

وعليه يحكم العقل قطعاً بلزوم عدم معصية النبي حتماً وعدم خطأه في شيء أبداً، بل لزوم عصمته الغرّاء في جميع الأشياء.

الثالث: اختيار النبيّ المعصوم

لا شك أن منصب النبوّة رئاسة دينيّة وحفظ للشريعة القدسيّة، وإقامة للأحكام وإدارة للمهام.. وهذا يستلزم كون النبي هو الأعلم من الباقين، والأصلح من الآخرين والجدير لهذا المقام العظيم واللائق بهذا الشأن الكريم.. لئلا يلزم ترجيح المرجوح على الراجح، وتقديم المفضول على الفاضل.

ومن المعلوم أنّ معرفة الأعلم والأصلح، والأليق الأرجح واقعاً وحقيقةً وبنحو الإصابة وعدم المخالفة، لا يمكن إلا لمن هو علّام الغيوب والضمائر، ومطّلع على جميع البواطن والسرائر، وواقف على جميع العواقب والأواخر.

وهذا علماً ووجداناً منحصرٌ بالله الخبير، والمولى العلّي القدير بالبداهة.

هذا مع دليل الإنحصار، وكون الإختيار بيد الله تعالى الملك الجبّار، بـالكتاب والسنة والعقل:

أما الكتاب:

فآيات كثيرة يكفي منها قوله تعالى: **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[1].

وأما السنّة:

فأحاديث متظافرة نكتفي منها بما يلي:

حديث سعد بن عبد الله القمي قال: سألت القائم عليه السلام في حجر أبيه فقلت: أخبرني يا مولايَ عن العلّة الّتي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم؟

قال:

---

(١) سورة القصص، الآية ٦٨.

« مصلح أو مفسد ؟

قلت : مصلح .

قال : هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد ؟

قلت : بلى .

قال : فهي العلّة ، أيّدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك ؟

قلت : نعم . قال : أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله ، وأنزل عليهم الكتب ، وأيّدهم بالوحي والعصمة إذ هم أعلام الأمم ، وأهدى أن لو ثبت الاختيار ، ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام ، هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذا همّا بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنّان أنّه مؤمن ؟

قلت : لا .

قال : فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم ، فوقعت خيرته على المنافقين ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَاخْتَارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾[١] الآية ، فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد علمنا أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصّدور ، وما تكنّ الضّمائر ، وتنصرف عنه السّرائر ، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار ، بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لمّا أرادوا أهل

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٥٥ .

الصّلاح»[١].

وأمّا العقل:

فإنّه حاكم بالبداهة بلزوم كون اختيار منصب خطير كالنبوّة من قبل الله الخبير العلّام المحيط بكل شيء حتى لايعقب الظلم والفساد، أويحصل أمر خلاف السداد.

ومن المعلوم أنّ خبرويّة الله تعالى لا يدانيها خبرويّة أحد، حتى يمكن لأحد سدّ المسدّ، فينحصر به الإختيار ويكون من خصوصه الإرسال.

مع أنّ نفس مقتضى الرساليّة هو أن يكون تعيين الرسول بيد المُرسِل، إذ لا معنى لأن يكون النبي رسولاً لأحد بإرسال غيره.

فيُعلم بالقطع واليقين كون اختيار النبي بيد ربّ العالمين، فيكون اختيار النبوَّة وتعيين النبي بيد الله تعالى الحق المبين.

الرابع: طريق معرفة الأنبياء عليهم السلام

بعد أن عرفت في هذا البحث لزوم أهليّة النبي بالعصمة، ثمّ لزوم تعيينه من الله تعالى يلزم البحث عن طريق معرفته للخلق حتى يقتدون به ويهتدون بهدايته.

لاشك أنّ أيّ رسول أو مبعوث أو سفير، يحتاج إلى برهان ودليل وعلامة تكشف عن صحة نسبته إلى من أرسله أو بَعَثه أو جعله سفيراً حتّى تنكشف حقيقة دعوى المحق، وتنقطع تسويلات المدلِّس المبطل، ولابدّ في التصديق من حصول اليقين.. وهذا أمر معقولٌ معمول في جميع المجالات الحياتيّة الخطيرة واليسيرة.

ومنصبٌ إلهيٌ دينيٌ مرموق كالنبوّة، لا ريب في احتياجه إلى برهان قطعي يُمضي

(١) بحار الأنوار ٦٨/٢٣ الباب ٣ ح ٣.

صحّة النسبة فيه، ويقطع الأهواء المزيفة على مدّعيه.

وطريق معرفة الواسطة بين الله وخلقه، وتشخيص النبي المبعوث عن ربّه، هي أمور ثلاثة:

١ ـ الإعجاز: فإنّ إتيان النبي في مقام التحدّي بالمعجزة الخارقة للعادة، المطابقة لدعواه، المتعذّر مثلها من الخلق، المبيّنة لكونها فعل الله تعالى، يوجب القطع بأنّه من عمل الله تعالى، وصاحبها صادق عن الله عزّ وجلّ فيما يخبر عنه، ومحقّ في دعواه النبوّة والرسالة من قِبَلِ الله عز اسمه.

وتلاحظ تحقيق ذلك موسعاً في إرشاد الطالبين(١).

٢ ـ تنصيص النبي السابق، الثابتة نبوّته، على النبيّ اللاحق الذي يراد معرفته كتنصيص النبيّ موسى، والنبي عيسى عليهما السلام، على نبوّة نبيّ الإسلام وصفاته العظام صلوات الله عليه وآله الكرام.

فحيث يلزم تصديق النبي السابق في نبوّته، يلزم أيضاً تصديقه في بشارته ومقالته، فتثبت به نبوّة النبي اللاحق بالضرورة والبداهة.

٣ ـ ملاحظة نفس الرسالة التي جاء بها الرسول، ومطالعة مفاد الأحكام التي جاء بها النبي، ودراسة حيثيّة المواعظ والإرشادات والمعالم التي أتى بها صاحب الرسالة.

حيث إنّ حقيقة رسالته المعقولة، وأحكامه المقبولة، ومواعظه النافعة، وإرشاداته البارعة، وحثّه على المعالم الحسنة، ونهيه عن الأمور القبيحة، وصدقه في أقواله، وعمله بمقاله، ومطابقة إنبائاته مع الحقيقة، وملائمة كلماته مع العلوم الحقّة، تكشف عن صدقه في دعوته، ومحقّيته في رسالته، فإنّه تُعرف نزاهة المحقّ بحقّه وينكشف زيف المبطل بباطله.

---

(١) إرشاد الطالبين للفاضل المقداد ص ٣٠٦.

وهذا طريق يحكم به الوجدان ويوجب القطع والإيقان، ويستفاد من الدليل العيان، وهو حديث أمير المؤمنين عليه السلام:

إعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالمعروف والعدل والاحسان»[١].

فهذه طرقٌ ثلاثة لمعرفة النبوّة أساساً، وغير خفي أن جميع هذه البراهين القطعيّة والقرائن اليقينيّة موجودة في نبوّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بالإضافة إلى حيويّة معجزته القرآنية وبقائها إلى زماننا وإلى يوم القيامة.

لذلك يكون القرآن الكريم دليلاً إعجازياً قطعياً لإثبات رسالة خاتم الأنبياء لجميع البشر، وفي جميع الأزمنة، ومثبتاً لعلمه وعصمته وخاتميّته ومحاسن صفاته.

كما وأنّه يُمضي نبوّة الأنبياء السلف، ويصدّق رسالة أولي العزم من الرسل فهو دليل كامل للنبوّة والأنبياء، ودستور شامل لوحي السماء.

وسنبيّن إنشاء الله وجوه إعجازه في بحث النبوّة الخاصّة ونشير إلى خصوصياته الفائقة في ذلك المبحث.

وأوضح الطرق الثلاثة المتقدّمة لجميع الطبقات من الناس هو الطريق الأوّل، يعني جهة الإعجاز، تلك الجهة التي تثبت نبوّة صاحبها، وتكون مناسبةً لأزمنتها، أي بالنسبة إلى زمان كلّ معجزة، كما تلاحظه في حديث ابن السكيت عن الإمام الرضا عليه السلام[٢] جاء فيه:

«إن الله تبارك وتعالى لما بعث موسى عليه السلام كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وُسع القوم مثله، وبما أبطل به

---

(١) بحار الأنوار ٣/ ٢٧٠ الباب ١٠ ح ٧.

(٢) بحار الأنوار ١١/ ٧٠ الباب ٣ ح ١.

سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم..

وإن الله تبارك وتعالى بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله عز وجل بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيىٰ لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله وأثبت به الحجة عليهم.

وإن الله تبارك وتعالى بعث محمداً في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام... فأتاهم من كتاب الله عز وجل ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم، وأثبت الحجة عليهم...».

الخامس: طبقات الأنبياء عليهم السلام

اعلم أنّ للأنبياء والرسل سلام الله عليهم طبقاتٍ ومراتبَ، كما أنّ بين الرسول والنبي فرقاً من جوانب.

وقد اختلف القول في الفرق بينهما إلّا أنّ المرجع المعوّل، والحق الفيصل هي أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام، فقد بيّنت الأخبار الشريفة ما يلي من الأمور الخمسة:

١ ـ إنّ الأنبياء على أربع طبقات، نبيّ منبؤٌ في نفسه لا يعدو غيره، ونبيٌ عليه نبي آخر، ونبي مرسل أرسل إلى قوم، ونبي هو إمام، كما في حديث هشام بن سالم ودرست بن أبي منصور الوارد في البحار[1].

٢ ـ إنّ الفرق بين النبي والرسول، هو أنّ النبي يرىٰ في منامه ويسمع صوت الملك لكن لا يعاينه ولا يراه، بينما الرسول يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك،

---

(١) بحار الأنوار ١١/٥٥ الباب ١ ح ٥٢.

كما يستفاد من حديث زرارة في أصول الكافي[١] والبحار[٢].

٣ ـ إنّ مجموع الأنبياء المكرمين يبلغ عددهم مئة وأربعة وعشرين ألف نبي، ثلاث مئة وثلاثة عشر منهم مرسلون مع النبوّة، وكتبهم المنزلة التي هي لبعض الأنبياء تبلغ مئة وأربعة كتاب، وهي صحف شيث بن آدم خمسين صحيفة، وصحف إدريس ثلاثين صحيفة، وصحف إبراهيم عشرين صحيفة، وتوراة موسى، وزبور داود، وانجيل عيسى، وفرقان محمّد ﷺ، كما يستفاد من حديث أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ، الوارد في البحار[٣].

٤ ـ إنّ سادة الأنبياء العظام، هم أولو العزم من الرسل، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليهم، كانوا أصحاب شريعة ومنهاج وكتاب، والشريعة الباقية منها إلى يوم القيامة هي شريعة رسول الله ﷺ كما في حديث الحسن بن فضّال عن الإمام الرضا عليه السلام الوارد في البحار[٤][٥].

٥ ـ إنّ أفضل الأنبياء والمرسلين، وأرفع الأولياء المقربين، ومن هو الأشرف من الملائكة المكرّمين ومن الناس أجمعين، هو نبيّنا الأمين مع آله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين، وذلك بدليل تظافر الأخبار

---

(١) أصول الكافي ١٧٦/١ باب الفرق بين الرسول والنبي و... ح ١.

(٢) بحار الأنوار ٥٤/١١ الباب ١ ح ٥١.

(٣) بحار الأنوار ٣٣/١١ الباب ١ ح ٢٤.

(٤) بحار الأنوار ٣٤/١١ الباب ١ ح ٢٨.

(٥) لا يخفى أن كتاب نوح في الحديث، لعلّه بمعنى مواريث العلم التي دفعت إلى ابنه سام ووصلت إلى الأنبياء من بعده، كما في حديث عبد الحميد بن أبي ديلم في البحار ٢٨٩/١١ الباب ١ ح ١١، أو أنّ الكتاب هنا بمعنى الفرض من قبيل «كتب عليكم الصيام» أي فُرض، فتُفسر الرواية بالتبعيّة لفرائض نوح وواجباته إلى النبي صاحب العزم الذي جاء بعده.

بذلك، بل تواترها فيما هنالك، كما أحصاها وصرّح بها العلامة الشبر في حق اليقين[(١)(٢)].

وقد تضمّنت المتواترات من النصوص، أفضليّة النبي الأكرم وأشرفيته وأولويته وأقدميّته على جميع الأنبياء والمرسلين لما ورد فيها، من أنّه ﷺ سيد ولد آدم وأوّل من تنشقّ عنه الأرض، وأوّل شافع وأول مشفّع، والخطيب المبشّر، وصاحب لواء الحمد والمقام المحمود، والأسبق من الأنبياء، والمفضل على جميع الأوصياء، والمقدّم على الملائكة المقربين، والأعلم من جميع الأنبياء والمرسلين، ونور الله الذي خلقه قبل آدم، وسيّد أهل البيت الذين هم سادة الخلق أجمعين من الأولين والآخرين.. والأحاديث في ذلك كثيرة جزيلة، ويكفيك ملاحظة ما أعطاها الله تعالى لنبيه ولأهل بيته من الخصوصيّات والدرجات والفضائل والمكرمات و جمع فيه كل خير أضعافاً مضاعفة ممّا لم يجمعه لأيّ رسول أو نبيّ أو وصيّ، كما تلاحظه في حديث الإرشاد المرويّ عن مولانا الإمام الحسين عليه السلام الوارد في البحار[(٣)]، والحديث يستوعب صفحات كثيرة لاحظه في الأصل.

---

(١) حق اليقين ١/١٠٥.

(٢) ومن ذلك ما رواه الصدوق في إكمال الدين بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: «.. يا علي! إنّ الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك..». [حق اليقين ١/١٠٦].

(٣) بحار الأنوار ١٦/٣٤١ الباب ١١ ح ٣٣.

الثاني :

النبوّة الخاصّة

يقع البحث الثاني من أصل النبوّة، في إثبات النبوّة لنبينا الأكرم والرسول الأعظم، وأفضليته وخاتميته ومعجزاته ومختصّاته صلوات الله عليه وعلى آله.

فإنّ هذا من الأركان الدعائم والأصول القوائم في العقائد الحقّة، والمعتقدات الصادقة.

قال الشيخ الصدوق في الاعتقادات فيما يجب الإعتقاد به: «وأنّ محمداً سيّدهم وأفضلهم، وأنّه جاء بالحقّ وصدّق المرسلين، وأنّ الذين كذبوا لذائقوا العذاب الأليم، وأنّ الذين **﴿آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[1] الفائزون.

ويجب أن نعتقد أنّ الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد والأئمة، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله، واكرمهم عليه، وأوّلهم إقراراً به لمّا أخذ الله ميثاق النبيين **﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَىٰ﴾**[2]»[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٣) إعتقادات الصدوق ص ٩٢.

وقد عرفت ذلك من الأحاديث المتواترة المتقدّمة المفيدة للعلم، فتثبت أفضليّته وأشرفيّته من جميع الجهات على جميع الخلق بالأدلّة العلمية.

ولاحظ لمزيد علمك بذلك وأهليّتهم لذلك، الأحاديث التالية:

١ ـ حديث داود الرّقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«لما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلّق خلقهم ونشرهم بين يديه ثم قال لهم: مَن ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا: أنت ربنا، فحمّلهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي على خلقي...»[١].

٢ ـ حديث صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بأي شيء سبقت ولد آدم؟

قال: إنّي أوّل من أقرّ ببَلىٰ، إن الله أخذ ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى، فكنت أوّل من أجاب»[٢].

هذا، ويقع بحث النبوة الخاصّة في بيان الفوائد الخمسة التالية بعون الله تعالى:

الأولى: شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية: نبوّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالثة: سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابعة: عصمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

الخامسة: خاتمية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) بحار الأنوار ١٦/١٥ الباب ١ ح ٢٢.

(٢) بحار الأنوار ١٦/١٥ الباب ١ ح ٢٣.

الأولى: شخصيّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

ينتمي نسب الرسول الأعظم، وينتهي أباً وأمّاً إلى أشرف الأنساب، وأعلاها وأطهرها وأفخرها، فهو أعظم شخصية في عالم الوجود.

ينتسب إلى سيّدنا آدم بسلسلة الأجداد الانبياء، والآباء الأزكياء، والأمّهات الطاهرات والأرحام المطهّرات.

قال شيخنا المفيد قدس سره في التصحيح: «آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم عليه السلام كانوا موحّدين على الإيمان بالله،... وعليه إجماع عصابة الحقّ. قال الله تعالى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِيْنَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِيْنَ**﴾[1] يريد به: تنقّله في أصلاب الموحّدين.

وقال نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم:

« ما زلتُ أتنقّل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات، حتّى أخرجني الله تعالى في عالمكم هذا».

فدلّ على أنّ آباءه كلّهم كانوا مؤمنين، إذ لو كان فيهم كافر لما استحقّ الوصف بالطّهارة، لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾[2] فحكم على الكفار بالنجاسة، فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطهارة آبائه كلّهم ووصفهم بذلك، دلّ على أنّهم كانوا مؤمنين»[3].

فلقد كان والده عبد الله سيدالحرم الأزهر، وصاحبالوجه الأغر، وحليف الإيمان الأكبر، كما تلاحظ شرح حاله الزكي في البحار[4].

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان ٢١٨ و٢١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٨.

(٣) تصحيح اعتقادات الإماميّة ص ١٣٩.

(٤) بحار الأنوار ١٥/١٠٨.

وقد كان جدّه عبدالمطلب من أوصياء إبراهيم عليه السلام، وكذلك سائر آبائه إلى إسماعيل كلّهم كانوا أوصياء.

كما كان عمّه وكفيله أبوطالب عليه السلام وصياً بعد أبيه عبدالمطّلب، عاش حليف الإيمان ولم يسجد لصنم قطّ، ولذا ورد عنهم عليهم السلام: «**ليس مِن شيعتنا مَن لم يقبل بإسلام أبي طالب**»[١]، كما في حق اليقين[٢].

وقد أفاد العلّامة المجلسي في البحار[٣]: «إجماع الشيعة على إسلام أبي طالب وأنّه قد آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أوّل الأمر ولم يعبد صنماً قطّ، بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام... وتواترت الأخبار من طرق الخاصّة والعامّة بذلك، وصنّف كثير من علمائنا ومحدثينا كتاباً مفرداً في ذلك كما لا يخفى على من تتبع كتب الرجال...» ثم ذكر انه قال الطبرسي رحمه الله: «قد ثبت اجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجّة لأنّهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهما».

وقد ذكر العلّامة الأميني في الغدير[٤] أربعين حديثاً في ذلك، فلاحظ.

وكفى لأبي طالب فخراً أنّه والد الأمير وذرية إبراهيم الخليل وشيخ الأبطح وكفيل الرسول وسيد القوم، عاش النبي في كفالته وترعرع في بيته واستقام الإسلام بسيف ابنه.

ونعود إلى النسب السامي لنبيّنا الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم كما تلاحظه في البحار وهو: محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣١١/١.

(٢) حق اليقين ١٣٤/١.

(٣) بحار الأنوار ١٣٨/٣٥.

(٤) الغدير ٣٨٥/٧.

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان... والمشهور أنّ عدنان هو ابن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن حَمَل بن قيدار بن إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام بن تارخ بن ناخور بن شروع بن أرغو ـ وهو النبي هود عليه السلام ـ ابن قالع بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن النبي نوح عليه السلام ابن مالك بن متوشلح بن أخنوخ ـ وهو النبي إدريس عليه السلام ـ ابن البارز بن مهلائيل ابن قينان بن أنوش بن شيث ـ وهو هبة الله عليه السلام ـ ابن النبي آدم عليه السلام.

وأمّه السيّدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف أخي هاشم عليه السلام جدالنبي صلوات الله عليه وآله.

الثانية: نبوّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

ثبتت نبوة الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلم بجميع الطرق الثلاثة المتقدّمة لمعرفة الانبياء وإثبات نبوّتهم، وذلك:

أوّلاً: الإعجاز، فقد تحقق إعجازه الباهر بالنقل المتواتر لجميع الملل، وبعيان البيان في نص القرآن.

ثانياً: تنصيص النبيّ السابق الثابتةنبوّته عليه، كما بَشّر به كليم الله موسى ونبيّ الله عيسى عليهما السلام، وجاء في كتبهم المقدّسة أعني التوراة والانجيل، كما تلاحظ نصوصها المترجمة بالعربية في أنوار الهدى والرحلة المدرسية، وبالفارسية في ميزان المطالب[1].

---

(١) ميزان المطالب ـ الطبعة الرابعة ـ ص ١٣٦ نقلها عن التوراة السفر الأول الباب ١٧ الآية ٢٠، والسفر الخامس الباب ١٨ الآية ١٧، ١٨، ١٩، والباب ٣٣ الآية ١ ـ ٢.

ثالثاً: حقيقة رسالته، وعلوّ أحكامه، وجامعيّة شريعته، ونزاهة شخصيته، وصدق لسانه وبيانه وأخباره وأنبائه وأعماله وفعاله ومواعيده.. فدارسة كلها شاهد قطعيّ على صدقه في إظهار نبوته.

وجميع الطرق المتقدمة تسلك بنا وتوضح لنا نبوة خاتم الأنبياء من قبل رب السماء، إلّا أنّا نتابع اختصاراً المسلك الأوّل فقط في الإستدلال، يعني طريق الإعجاز الذي هو أوضح الطرق، ونقول: إنه صلوات الله عليه وآله أخبر بنبوّة نفسه وعقّبه بمعجزة ربّه، فكان كاشفاً عن صدقه في نبوّته، وطريقاً إلى العلم برسالته، وموجباً لليقين بكونه مؤيداً من قبل مُرسِله..

وقد ثبتت نبوته بالإعجاز من طريقين:

الف ـ طريق القرآن الكريم، وهي المعجزة الخالدة التي ليست لأحد من الأنبياء معجزة مثلها، باقية سواها.

ب ـ طريق الخوارق الإلهية الأخرى، وهي المعجزات الثابتة المتواترة التي كانت من الآيات الباهرات والدلائل الواضحات الدالة على صدقه وصحة نبوته.

فلنشرح هذين الطريقين بعونه تعالى:

الطريق الأوّل: القرآن الكريم

وكفىٰ به معجزاً عظيماً مدىٰ الدهر، ودليلاً على نبوّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في كل عصر.

قال الشيخ الصدوق في الاعتقادات: «اعتقادنا في القرآن أنّه كلام الله، ووحيه، وتنزيله، وقوله، وكتابه.

وعن انجيل برنابا الفصل ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٧٢، ٩٦، ٩٧، ١١٢، ١٦٣ فلاحظ.

وأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأنّه القصص الحقّ، وأنّه قول فصل، وما هو بالهزل.

وأنّ الله تعالى مُحدثه، ومنزله، وحافظه، وربّه»[١].

وإعجاز القرآن ثبت لكل العلماء وجميع العقلاء وكافّة البشرية جمعاء، في كلّ زمان ومكان وبكل لغة للإنسان.

فالقرآن الكريم تحدّى العرب العرباء ومصاقع الخطباء، وقَرَع بالعجز أهل البلاغة والفصاحة على أن يأتوا بمثله، بل بعشر سور مثله، بل بإتيان سورة واحدة مثله، فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً ولن يستطيعوا على الإتيان به أبداً إلى زماننا هذا والأزمنة الآتية تلواً، بالرغم من أن جزيرة العرب وبلدانهم كانت مملوءةً بالفصحاء ومشحونة بالبلغاء وواجدةً لأرفع الشعراء، ممّن امتاز بالكلمات المليحة، والأشعار الفصيحة إلى حد إنشاد الأشعار المعلّقة والخطب البليغة.

وبالرغم من ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، وهم الآن ناكصون عن معارضته ومعترفون بالعجز عن مماثلته، كما أخبر به مُنزله الكريم في آيات الذكر الحكيم:

١ ـ قال عز اسمه: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾**[٢].

٢ ـ وقال تبارك وتعالى: **﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٣].

٣ ـ وقال تعالى شأنه: **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن**

---

(١) اعتقادات الصدوق ص ٨٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٣) سورة هود، الآية ١٣.

مِثْلِهِ...﴾[١].

ومع توفّر دواعيهم وكثرة مساعيهم على المعارضة، عجزوا عن الإتـيان بـمثله واعترفوا بعدم إمكان معارضته، كما تلاحظه في الحديث التالي:

روي أنّ ابن أبي العوجاء وثلاثة نفر من الدّهرية اتفقوا على أن يعارض كلُّ واحد منهم ربع القرآن. وكانوا بمكّة عاهدوا على أن يجيؤوا بمعارضته في العام القـابل، فلمّا حال الحول واجتمعوا في مقام إبراهيم عليه السلام قال أحدهم: إنّي لمّا رأيت قـوله: **﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ﴾**[٢] كففت عن المعارضة، وقال الآخر: وكذا أنا لمّا وجدت قوله: **﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً﴾**[٣] أيست من المعارضة، وكانوا يسرُّون بذلك إذ مرَّ عليهم الصادق عليه السلام فـالتفت إليـهم وقـرأ عليهم: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾**[٤] فبهتوا[٥].

وقد تمّت الحجّة وثبتت المحجّة في الإعجاز على غير العرب أيضاً بألفاظ القرآن الكريم من حيث نقل لهم إعجاز القرآن في ألفاظه تواتراً مضافاً إلى أنه ثبت الإعجاز في معاني القرآن الحكيم أيضاً في ترجمته عياناً، بما اشتمل عليه من عوالي المعاني ورفيع المباني، وإخباراته الغيبيّة ومداليله الزكيّة.

ومن لم يقبل الإسلام بعده فإنّما أنكره لعنادٍ فيه، وعصبيّة منه، وقد جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣.

(٢) سورة هود، الآية ٤٤.

(٣) سورة يوسف، الآية ٨٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٥) بحار الأنوار ٩٢/ الباب ١ ح ١٥.

ولذلك عدل المعاندون والمشركون إلى الحرب والمشاقة مع النبي الأكرم ﷺ حين أبوا من قبول الحقّ منه.

ونفس حربهم كان دليلاً على عجزهم، وإلّا فالانسان لا يختار في المقابلة مع خصمه مع أحد الطريق الأصعب مع وجود الطريق الأسهل الأرغب.

ولو كان يسعهم ويمكنهم مماثلة القرآن والإتيان بسورة مثله، لكانوا يقابلوه بالقرآن المماثل بدل أن يختاروا الحرب القاتل الذي أفناهم وأخزاهم وقد ظهر الحقّ على كل حال والحمد لله.

وحين ثبت العجز في جميع القرون الطويلة بعد التحدّي المُبين ثبت أنّه ليس كلام الآدميّين والمخلوقين، بل هو كلام الله تعالى، وإعجاز نبيّه، وتنزيل الله الخالق العظيم الذي أنزله على وليّه..

وثبوت نبوّة نبيه ورسوله يكون بنصّ كلام خالقه ومُنزله.

فقد شهد القرآن صريحاً برسالته ونصّ على نبوته ودلّ على خاتميته في آيات عديدة من الذكر الحكيم مثل:

١ ـ قوله تعالى: **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّيْنَ﴾**[١].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾**[٢].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ و٤٦.

بَيْنَهُمْ...﴾[١].

هذا، والإعجاز القرآني باقٍ ببقاء الدهور وخالد على مرّ العصور..

كما يستفاد خلوده مضافاً إلى الحس الوجداني من الدليل الروائي بل القرآني.

فمن الكتاب الكريم:

نفي الاستقبال المفيد للاستمرار في قوله تعالى: **﴿لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾**[٢] بل اللام في (لئن) في أول الآية موطّئة للقسم ودالة عليه، والتقدير: فوالله لا يأتون بمثله.. كما أفاده المفسرون.

ومن الروايات الشريفة:

أحاديث عديدة مثل:

١ ـ ما رواه محمّد بن موسى الرازي، عن أبيه قال: ذكر الرّضا عليه السلام يوماً القرآن فعظّم الحجّة فيه والآية المعجزة في نظمه، فقال:

«هو حبل الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدي إلى الجنّة، والمنجي من النّار، لا يخلق من الأزمنة، ولا يغثُّ على الألسنة، لأنه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان، وحجة على كلِّ إنسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[٣].

٢ ـ حديث إبراهيم بن العبّاس عن الامام الرّضا، عن أبيه عليهما السلام أنّ رجلاً سأل

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٣) بحار الأنوار ٩٢/١٤ الباب ١ ح ٦.

أباعبد الله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدّرس إلّا غضاضة؟ فقال:

«لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلِّ زمان جديد، وعند كلِّ قوم غضٌّ إلى يوم القيامة»[1].

ثمّ إنّ إعجاز القرآن الكريم محقق من جهات عديدة كثيرة، نذكر منها عشرة كاملة وهي:

الأولى: إنّ القرآن الكريم معجزٌ من حيث اختصاصه بمرتبة عليا في الفصاحة والبلاغة خارقة للعادة، لا يمكن لأحد من البشر أن يأتي بمثلها، أو أن يدانيها.

الثانية: من حيث كونه مركباً من نفس الحروف الهجائية التي يَقْدر على تأليفها كلّ أحد، ومع ذلك عجز الخلق عن تركيب مثله بهذا التركيب العجيب والنمط الغريب.

الثالثة: من حيث امتيازه عن غيره من الكلام العربي بامتياز مليح، فإنّ أيّ كلام في هذه اللغة مهما كان فصيحاً وبليغاً إذا زيّن بالقرآن الكريم، تجد القرآن ممتازاً عنه، متفوّقاً عليه.

الرابعة: من حيث اتّصافه بنظم فريد، وأسلوب وحيد، غير معهود في جميع الأزمنة لا شعراً ولا نثراً، لذلك نسبه أدباء الكفّار إلى السحر وذلك لأخذه بمجامع القلوب، واتصافه بالجاذبية الخاصة.

الخامسة: من حيث إنّه مع طوله ووفرة آياته، وكثرة سوره، خالٍ عن الإختلال والتناقض والتهافت **﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾**[2].

فلا تجد فيه كلمة خالية عن الفصاحة، ولا آية مخالفة لآية أخرى، بل جميعه

---

(١) بحار الأنوار ١٥/٩٢ الباب ١ ح ٨.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٢.

موصوفٌ بغاية الجودة، ومتّصف بما لم تجر بمثله العادة.

السادسة: من حيث اشتمال القرآن الكريم على أحسن الآداب، وأمتن الحِكَم وأكمل المواعظ، وأصوب القوانين، وأتمّ الأحكام في العبادات والمعاملات والمعاشرات، في أمور الحياة في الأسرة والإجتماع، وفي جميع الحدود والأقضية في السفر والحضر، والأمن والخوف، والحرب والسلم، والعُسرة والغلبة، وكل ما يحتاجه الإنسان في أصوله وفروعه، بشكل ليس فيها أدنى خلل، ولا يحتاج إلى أقل تصحيح، علماً بأنّ ما كان فيه من النسْخ فهو مفيد لموقّتيّة الحكم المنسوخ لا تصحيحاً لأصل الحكم.

فجعل الله تعالى هذا القرآن مشتملاً على كل ما يحتاج إليه الأمم، وهادياً إلى التي هي أقوم، كما جعل بيانه وتبيانه عند مهابط وحيه وخزان علمه، وترجمانه في خلقه النبي الأمين وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

السابعة: من حيث ما تضمّنه من الأخبار والآثار في قضايا الأمم السالفة، وخفايا القصص الماضية، ودقائق القرون الخالية، مثل نبأ النبي آدم ومسائل نوح وأمور إبراهيم وقصّة أصحاب الكهف وقضايا موسىٰ وأمور الخضر ومسائل ذي القرنين وحياة يوسف عليه السلام ممّا لم يطّلع عليها أحد إلّا خواصّ الأحبار والرهبان الذين لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاشراً معهم، بل كان بعيداً عن مخالطتهم.

فكتابٌ كهذا من هذا النبي الكريم الذي لم يتعلم عند أحد، يكشف قطعاً عن كونه من الله العالم بجميع الأمور.

علماً بأنّ ما بيّنه النبي، من أخبار القرآن لم يكن اقتباساً من كتبهم، بل نقلاً لحقيقة الأمر، وواقعه الموجود عندهم، و إلّا لكانوا يرمونه بالسرقة من كتبهم وهم غير آبين عن توجيه التهمة.

الثامنة: من حيث اشتماله على الإخبار عن ضمائر المنافقين، وبواطن الكافرين ونوايا المشركين الخفيّة التي لم يطلع عليها أحد.. حتّى أنّهم كانوا يحذرون من أن تنزل فيهم آية تفضحهم وتكشف نواياهم.

بل أخبر عن الأمور المستقبلة والحوادث المقبلة، والغيب الصادق، والنبأ المطابق، ممّا لم يطّلع عليه إلّا علّام الغيوب، مع كمال المطابقة والصدق، كما في قوله تعالى: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾[3] وقوله عزّ اسمه: ﴿**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[4] وقوله عزّ شأنه: ﴿**لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[5] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾[6] وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

هذا، مضافاً إلى إخباراته عن الأمور العلميّة التي لم تنكشف إلّا في الآونة الأخيرة والقرون المتأخرة ممّا كانت آنذاك غيباً لم يطّلع عليها أحد، وهي كثيرة تجدها في الكتب المؤلفة لبيانها.

التاسعة: من حيث خواصّه المعنوية، وخصائصه الذاتيّة، وشفائه للأرواح، وعلاجه للأجسام، واطمئنانه للقلوب، وبركاته في النفوس.

العاشر: من حيث طراوته وحلاوته وعدم الملل منه عند تلاوته وقراءته مهما

---

(١) سورة القمر، الآية ٤٥.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٧.

(٣) سورة الروم، الآية ٣.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٦) سورة الكوثر، الآية ٣.

زادت وتكرّرت.

ولا يخلق على طول الأزمان، ولا يبلىٰ في طول الدهر، بل يستفاد منه في كلّ قراءة جديدة، نكتةٌ جديدة.

فهو كلام الله البالغ، وحكمه الساطع، وهو نورٌ لا يُطْفأ، وسراج لا يخبو، كما تلاحظه في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة[١].

الطريق الثاني: الخوارق الإلهية الأخرىٰ...

وهي الخوارق الإلهية والمعجزات الربانيّة، الجارية على يد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ممّا كانت في أفعاله وأقواله وشمائله وأحواله ونعوته وأوصافه وشخصيّته وشأنه وما كان يختص به منذ بداية ولادته إلى نهاية شهادته.

وقد كانت شاهدة على حقيقة نبوّته، وصدق مبعوثيّته، ومصدقةً لرسالته، وكاشفةً عن اتصاله بالقوّة الإلهيّة والتأييدات السماويّة.

وقد ذكر الشيخ الجليل ابن شهرآشوب السروي المازندراني في المناقب[٢]: «أنّه كانت له أربعة آلاف وأربعمائة وأربع وأربعون معجزة، ذكرت منها ثلاثة آلاف، والمشهور منها التي ذكرها المؤرخون ألف معجزة، وقد تواتر منها الكثير الوفير».

وقد أُحصيت هذه المعجزات الشريفة في مدينة المعاجز للسيد البحراني، والجزء السابع عشر من البحار للعلامة المجلسي، والمجلّد الأوّل من إثبات الهداة للمحدث الحرّ العاملي، ناقلاً إياها من ثمانية وخمسين كتاباً، والمجلّد الأوّل من كشف الغمّة للشيخ الإربلي، وباب النبوّة الخاصّة من حق اليقين للسيد الشبّر.

---

(١) نهج البلاغة ص ٢٠٢ رقم الخطبة ١٩٣ من الطبعة المصرية.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب ١/١٠٦ - ١٤٤، باب معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ذكرت الأحاديث المتضافرة شرح معجزاته الكريمة وبيان مختصّاته العظيمة، نشير إلى بعضها والتفسير في محلّها مما تقدم ذكرها آنفاً، علماً بأنّ كثيراً مما نذكرها من المتواترات...

وسنبيّن إنشاء الله تعالى ما ذكر منها في القرآن الكريم وكلام ربّ العالمين الذي لا يأتيه الباطل أبدا.

من المعجزات ما ظهر حين ولادته، وظهور نوره المبارك، حيث ولد حينما ولد طاهراً من الدم، نقيّاً من القذارات، ساقطاً على رجليه، ساجداً إلى الكعبة، ثمّ رفع رأسه الشريف إلى السماء شاهداً بتوحيد الله، ونبوّة نفسه، فأضاء بنوره المشرق والمغرب، فنوديت أمّه المعظمة سيدتنا آمنة بنت وهب: «وَلَدتِ خير الناس فسمّيه محمداً» صلى الله عليه وآله وسلم.

ومُنعت الشياطين ليلة ولادته من الصعود إلى السماء.

وبطل عمل الكهانة وسحر السحرة.

وانكبّ كل صنم في العالم على وجهه.

وانفطر سقف ايوان كسرى مع نهاية استحكامه، وأثره باقٍ إلى اليوم.

وجفّ بحر ساوه الذي كان يُعبد فانقلب ملحاً.

وخمدت نيران فارس التي لم تنطفئ منذ ألف سنة.

ونُكس سرير كل سلطان، وخرسوا ولم يقدروا على الكلام في ذلك اليوم.

وظهر نور ساطع من طرف الحجاز وانتشر في العالم.

وجرى الماء في نهر سماوة وكان يابساً منذ أعوام كثيرة فكان بركةً للناس.

ومن ذلك ما كانفي بدنه المبارك من المعجزات الباهرات والآيات الكريمات:

فقد كان جبينه الشريف يضيء كالقمر المنير.

وكان يرفع يديه في بعض الأحيان فتُضيء أصابعه كالشموع.

وكان عَرَقه الشريف أطيب عطر وله أزكىٰ رائحة.

وكان إذا قام في إشراق الشمس أو القمر لم يظهر له ظلٌّ.

وكان إذا مشىٰ مع أحدٍ لم يظهر لأحد عليه علوّ قامة.

وكانت الطيور لا تعلوه ولا تطير على رأسه.

وكان لا يقع على بدنه الشريف بَقّ ولا ذباب.

وكان حين النوم غير معطّل الحواسّ، بل نومه ويقظته سواء.

وكان خاتم النبوّة منقوشاً على كتفه الشريفة، له ضوء ونور، كلما أبداه علا نوره.

وكان في لحيته الشريفة سبعة عشر شعرة بيضاء تلمع كالشمس.

وكان له مع حسن أخلاقه وبشاشته وتواضعه ومحبوبيته، مهابة عظيمة في القلوب، وأثر في النفوس بحيث لم يقدر أحد من إمعان النظر في وجهه المنير.

ومن ذلك ما أجرى الله من المعجزات على يديه، كرّات ومرّات في حياته فشقّ الله له القمر حينما سألته قريش آية.

وسُخّر له الشمس في التوقف عن الغروب مرّةً، والطلوع بعد الغروب مرّة أخرى.

وأطعم النَفَر الكثير من طعام قليل في منزل جابر، ودار أبي طلحة.

ونَبَع الماء من بين أصابعه فشرب أهل العسكر كلّهم وهم عطاشى.

وتوضّأ من قدح صغير ضاق أن يبسط فيه يده، ثم أهرق في عين تبوك ولم يكن فيها ماء، فجرت بماء كثير شرب منه الجيش وهم ألوف.

وأهرق ماء وضوئه مرّة أخرى في بئر الحديبيّة فجاشت بالماء وشرب منها ألف وخمس مئة.

وكان في اجتماعه مرةً كومة[١] تمر فأمر أن يزوّدوا منها أربع مئة راكب فزوّدوهم وبقي بحسبه لم ينقص منه شيء.

ورمىٰ جمعاً من الأعداء يوم بدر بقبضة تراب فعميت عيونهم.

وحنّ له الجذع الذي كان يخطب النبي ﷺ، مستنداً إليه في مسجد المدينة، حينما صنع له المنبر حتى سمع حنينه جميع أصحابه فكان ذلك من الكرامات التي حصلت لأجله، ثم التزَمَ الجذع فسكن.

وأخبر صلوات الله عليه وآله، أمير المؤمنين بشهادته وخضاب لحيته المباركة بدم رأسه، وأخبر ابنته الزهراء عليها السلام بأنّها أوّل أهله لحوقاً به، والإمام الحسن بصلحه، والإمام الحسين بشهادته، فكان كما أخبر غيباً، وكذلك أخبر عمّاراً بأنّه ستقتله الفئة الباغية، وأخبر بشهادة جعفر وزيد وابن رواحة ساعة قُتلوا.. وأخبر بموت النجاشي بأرض الحبشة، فكان كما أنبأ.. إلى غير ذلك من الإخبارات الغيبيّة المحققة.

ودعا شجرتين فأتَياه واجتمعتا ثمّ أمرهما فافترقتا.

وأخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش واحداً واحداً قبل الحرب فلم يتعدّوا ذلك الموضع.

ومَسَح ضرع شاة حائل، لا لبن فيها فدرَّت باللبن، وكان ذلك سبب إسلام عبد الله بن مسعود.

وبَدَرَت عين بعض أصحابه وسقطت، فردّها بيده فصارت أصحَّ عينيه وأحسنهما.

وألقى ماء فمه المبارك في عين عليّ عليه السلام لمّا رمدت يوم خيبر، فصحّت من وقتها ولم ترمد بعد ذلك أبداً.

---

(١) الكومة بضم الكاف هي القطعة والمجموعة من الشيء.

وأخبر الناس أنّه سيظفر عليّ عليه السلام في ذلك اليوم الرهيب بعد هزيمة غيره فكان كما بَشّر.

وحكى الحكم بن العاص عليه اللعنة مشيه مستهزءاً فقال له: كذلك فكن، فلم يزل على حاله يرتعش حتّى مات.

وأمرّ يده الشريفة على رؤوس الأقرعين من الأطفال فنبتت شعورهم.

وأعطى رجلاً عُرجوناً في ليلة مظلمة فأضاء له الطريق.

وأعطى آخر قطعة من جريد النخل حين شكا انقطاع سيفه، فصارت سيفاً في يده.

وألقى بُصاقه المبارك على كفّ ابن عفر المقطوعة فلصقت من ساعته.

ودعا آية للدّوسي حتى يدعو قومه إلى الإسلام ويصدّقوه، فحصل مصباح على رأس سوطه.

وارتضع من حليمة السعديّة، فظهرت لها البركات ودرّ لبنها من ثديها الأيمن بعد ما كان يابساً.

وتناول الحصى فسبّح في كفّه الشريفة.

وظلّل عليه الغمام دون القوم في طريق الشام، فكان هذا من عظيم شأنه.

وشهد له الذئب برسالته في قضية وهبان بن أسفى.

.. إلى غير ذلك من المعجزات الأخرى التي يتعذّر على الخلق إتيانها، وتكشف عن صدق صاحبها، وعن عدم إمكان تقوّله على مولاه، وتثبت رسالته من ربّه ونبوّته من قبل خالقه، وقد شاهدها الناس عياناً، وسمعها بياناً، ونُقلت لنا ولجميع من جاء بعده بطريق الناقلين تواتراً علمياً، بشكل يُؤمن من تواطئهم على الكذب، ويحصل بنقلهم القطع من حيث بلوغه أعلى حدّ التواتر، من نقل المحبّ والمبغض، والصديق والعدوّ، فثبتت النبوّة بالعلم.

بل إن بعض المعجزات النبوية وارد في الآيات القرآنية التي هي قطعية ويقينيّة ومعلوم الصدور من الربّ الغفور من قبيل المعراج الشريف، وشق القمر العظيم، وفتح مكّة بأمن وأمان.

وقد ذُكرت تلك الآيات القرآنية في أبواب معجزات الرسول في بحار الأنـوار المجلّد السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، وخصوصاً في كلام الشيخ الجليل ابن شهرآشوب السرَوي المنقول في البحار[1]، فلاحظ.

الثالثة: سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

إذا لاحظنا وتأمّلنا سيرة النبيّ الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلم، وحياته الكريمة، نرى أنّ نفس سيرته وسريرته وأخلاقه وآدابه وعشرته ورويّته، تدلّ على أنّه آيةٌ إلهيّة عظمى، وحجّة ربّانيةٌ كبرى، وأهل لأن يكون رسولاً من قِبَل الله رب العالمين، وقدوة لأهل الدنيا أجمعين، بل جامعيته تدل على أفضليته.

فقد كان صلوات الله عليه وآله، أجودالخلق يداً، وأجرء الناس صدراً، وأصدقهم لهجةً، وأوفاهم ذمّةً، وألينهم عريكةً، وأكرمهم عشيرةً، مَن رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفةً أحبّه، ولقد كانت أمانته مقبولةً عند الجميع حتى لقّب بالأمين.

وكان أخشى الناس لربّه، وأتقاهم لخالقه، وأعلمهم بالله، وأقواهم في طاعة الله، وأصبرهم على عبادته، وأكثرهم حباً لله، وأزهدهم فيما سواه.

وكان يقوم في صلاته حتى تنشق بطون أقدامهمن طول قنوته وقيامه، وكان إذا قام إلى صلاته تتساقط دموعه إلى الأرض من صدره، ويسمع من صدره أزيزٌ كأزيز

---

(١) بحار الأنوار ١٦/٤٠٢.

المرجل[١].

وكان ذا خُلُق عظيم، وابتهال دائم، وضراعة كثيرة، وأدب فائق.

وكان أحلم الناس، وأشجعهم، وأعدلهم، وأسخاهم، بحيث لم يبق عنده دينارٌ ولا درهم إلّا أنفقه.

وكان أكثر الناس تواضعاً، يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في أهله.

وكان أشدّ الناس حياءاً، ولم يُثبت بصره في وجه أحدٍ استحياءاً.

وكان يجيب دعوة الحرّ والعبد، ويقبل الهديّة ويكافئ عليها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين.

وكان غضبه لربّه ولا يغضب لنفسه.

وكان يشيع الجنازة، ويعود المرضى، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل، ويتألّف أهل الشرف بالبرّ لهم، ويصل ذوي رحمه، ولا يجفو على أحد، ويقبل معذرة المعتذر، ولا يقول إلّا حقّاً، ولا يتكلّم إلّا صدقاً.

وكان ضحكه من غير قهقهة، بل تبسماً إلى أن تبدو نواجذه.

وكان لايترفع على عبيده، ولايحقّر مسكيناً، ولايهاب من ملك، ولايخاف منه.

ويبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة، ويسلّم على الصبيان.

وكان لا يقوم ولا يقعد إلّا بذكر الله تعالى، وأكثر ما يجلس مستقبل القبلة، ويجلس حيث انتهى المجلس، ولم يُرَ قط مادّاً رجليه.

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط له ثوبه، ويُؤْثر الداخل عليه بالوسادة، ويعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه، ويقضي دين كلّ ميّت فقير.

وكان دائم البِشر ليس بفظٍّ ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مدّاح.

---

(١) المرجل: القدر، يعني له صوت من خشية الله تعالى كصوت القدر حين غليانه.

وكان يدعو أصحابه بكُناهم إكراماً لهم، ولا يتنازع في الحديث.

وكان أفصح الناس منطقاً، وأحلاهم كلاماً، إذا نطق ليس بمهذار، وإذا أوجز ليس في إيجازه إخلال، أحسن الناس نغمة، وأنفع الناس للناس.

وقد شرّف بسيادته على ولد آدم، وكانت أمّته التابعة له خير الأمم.

وسيرته في جميع حياته سيرة علياء، تكشف عن أنّ صاحبها متصلّ بربّ السماء، وأنّه أصلح من وُجد على وجه الأرض لأن يكون أسوة وقدوة[١].

هذا مضافاً إلى أنّه تواترت السنة، واتفقت الأمّة على أنّه ﷺ أفضل من جميع الأنبياء الذين كانوا قبله، وأن كل كرامة وفضيلة أعطيت للأنبياء أعطي هو أفضل منها، كما استفاضت الأخبار بنطقه بالحكمة والصواب هو وأولاده الطاهرين الأطياب، من حين صغرهم، وفي جميع حياتهم، كما أفاده في حق اليقين[٢].

هذا، بالإضافة إلى انفراده ببعض الفضائل كعظيم سيرته، وحقيقة سيره في معراجه إلى العوالم الملكوتيّة العُليا، ممّا لم يكن له مثيل في ذلك، وقد حاز أقرب قرب معنوي أسنىٰ، حتّى كان قاب قوسين أو أدنى.

وقد نطق بمعراجه القرآن الكريم، والأحاديث المفيدة لليقين التي تلاحظها في بابه من البحار[٣].

بل جاء في حديث المزني عروجه إلى السماء مئة وعشرين مرّة كما تلاحظها في الخصال[٤].

---

(١) فلاحظها بالتفصيل في كتب سيرته، وأحاديث صفته سلام الله عليه وآله، مثل المجلد السادس عشر من كتاب بحار الأنوار ص ١٤٤ ـ ٤٠١ الأبواب ٨ - ١١.

(٢) حق اليقين ١/١٣٥.

(٣) بحار الأنوار ١٨/٢٨٢ الباب ٣ الأحاديث

(٤) الخصال للصدوق ص ٦٠٠ ح ٣.

هذا، مع خصائصه وما أعطاه الله تعالى وتفضّل به عليه وعلى أهل بيته مما تلاحظه في أحاديث البحار[١].

وجميع ذلك يُثبت أنّ الرسول ﷺ أسوة وقدوة، وأنه أفضل النبيين والمرسلين.

الرابعة: عصمة الرسول الأعظم ﷺ

قد عرفت في بحث عصمة الأنبياء من النبوّة العامّة أنّ ممّا لا شك فيه ولاريب يعتريه لزوم عصمة الأنبياء ونزاهتهم عن كل ذنب ومعصية، صغيرة أو كبيرة، بعمد أو سهو، قبل النبوّة وبعدها، للزوم أن يكون الواسطة بين الله وخلقه معصوماً حتّى يبلّغ ما أوحى إليه الله بصدق وأمانة، ولا يصدر منه كذب ولا خيانة، فيُسلب وثوق الأمّة به واعتماد الخلق عليه.

كما ويقبح أن يأمر الحكيم بإطاعة من يجوز عليهِ الخطاء، فتنتفي فائدة البعثة، ويسقط غرض الرسالة، فيحتاج إلى من يسدّده ويمنعه عن الخطاء، وهكذا متسلسلاً.

فيلزم في كل شريعة إلهية أن يكون رسولها معصوماً حتى يتم الوثوق به وتصح الإطاعة له، خصوصاً الشريعة الإسلامية الباقية إلى يوم القيامة لِعظم أهميتها ومزيّتها فمن اللازم الضروري أن يكون رسولها معصوماً عن جميع الخطايا، بل يلزم أن يكون متّصفاً بالعصمة الكبرى التي سنذكرها ونبيّنها..

وقد أفاد شيخنا المفيد في تصحيح الإعتقادات[٢]: «إن نبيّنا والإئمة عليهم السلام من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب والمفترَض قبل حال إمامتهم وبعدها، وأمّا الوصف

---

(١) بحار الأنوار ٣١٧/١٦ الباب ١١، الأحاديث خصوصاً الحديث السابع.

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية ص ١٢٩.

لهم بالكمال في كل أحوالهم، فإن المقطوع به كمالهم في جميع أحوالهم التي كانوا فيها حججاً لله تعالى على خلقه، وقد جاء الخبر بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من ذرّيته كانوا حججاً لله تعالى منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم، ولم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص وجهل، وأنّهم يجرون مجرى عيسى ويحيى عليهما السلام، في حصول الكمال لهم مع صغر السن وقبل بلوغ الحلم».

وقد قامت البراهين ودلّت الأدلة على مزيّة عصمة النبيّ الأكرم ونزاهته وسموّ شأنه وجلالته من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، بما نذكره ونفصله في مبحث الإمامة، كما سيأتي إنشاء الله تعالى، مضافاً إلى ما قدّمناه في بحث عصمة الأنبياء بالأدلّة الثلاثة.

ونكتفي هنا بذكر الإشارة فقط إلى عصمة نبيّنا الأكرم، وتأويل ما يوهم خلاف ذلك ممّا عقد له العلّامة المجلسي باباً في البحار[1]، ذكر فيه للعصمة آيات وأحاديث كثيرة نتبرّك بذكر واحدةٍ من كلّ دليل من أدلّتها:

فمن الكتاب:

قوله عز اسمه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

والذي لا يكون نطقه عن الهوى والميول الطبيعية لا تكون أفعاله عن الهوى بالأولوية، خصوصاً مع الحصر الملحوظ في الآية الشريفة.

ومن الأحاديث:

ما رواه عمر بن يزيد بيّاع السابريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

---

(١) بحار الأنوار ١٧/٣٤ - ٩٧ الباب ١٥.

(٢) سورة النجم، الآيتان ٣ و٤.

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله في كتابه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَـقَدَّمَ مِـنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[١]؟

قال عليه السلام: ماكان له ذنب ولا همَّ بذنب ولكنّ الله حمّله ذنوب شـيعته ثـمّ غفرها له»[٢].

وهذا تصريح وتأكيد بعدم الذنب ولا نية الذنب.

وينبغي ملاحظة دليل العصمة في حديث علي بن محمّد بن الجهم في عـيون أخبار الرضا عليه السلام[٣].

ومن العقل:

ما يأتي من الأدلة العقلية العشرة الآتية في مبحث العصمة من الإمامة[٤].

الخامسة: خاتمية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

يلزم الإيمان بأنّ رسولنا الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلّم خاتم الأنبياء، كما صرّح به الدليل القطعي:

١ ـ من الكتاب الكريم:

قوله تعالى: **﴿مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَـالِكُمْ وَلٰكِـنْ رَسُـولَ اللهِ وَخَـاتَمَ النَّبِيِّيْنَ﴾**[٥].

---

(١) سورة الفتح، الآية ٢.

(٢) بحار الأنوار ٧٣/١٧ الباب ١٥ ح ١.

(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١٥٥/١ الباب ١٥ ح ١.

(٤) يأتي في ص ٣٣٢ من هذا الكتاب.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

٢ ـ من السنة المتواترة:

مثل قوله ﷺ في حديث المنزلة، المتفق عليه بين الفريقين الذي ورد فيه: «**إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي**» كما في إحقاق الحق[1].

٣ ـ أنّ الخاتمية من ضروريات الدين المبين:

فقد أصبح من بديهيّات الدين المبين أن الرسول الأكرم خاتم النبيين.

ثم إنه يجب الإيمان أيضاً بأنّ دينه ناسخ لجميع الأديان، وأنّه مبعوث إلى العرب والعجم، والإنس والجنّ، وكذا أوصياؤه المعصومون حجج الله على الخلق أجمعين، كما في حق اليقين[2]. فهو صلوات الله عليه وآله أفضل من جميع النبيين، ودينه ناسخ لكل دين..

والنسخ لغةً هو النقل، ورفع حكم شرعيٍ بحكم آخر شرعي أيضاً متراخٍ عنه على وجهٍ لولا الثاني لبقي الأوّل.. ويكشف الناسخ أنّ الحكم المنسوخ كان موقتاً بوقته الخاص.

وقد بيّنت السنّة الشريفة أنّ الشرايع السابقة كانت إلى زمن نبيّنا الأكرم ﷺ، وأنّ شريعة محمّد لا تنسخ إلى يوم القيامة، كما تلاحظ ذلك في الحديث التالي:

ما رواه علي بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن الامام أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال:

«**إنّما سمّي أولو العزم اولي العزم لأنّهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أنّ كلّ نبيّ كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكلّ نبيّ كان في أيّام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى، وكلّ نبيّ كان في**

---

(١) إحقاق الحق ٧٨/٤.

(٢) حق اليقين ١٣٣/١.

زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيّام عيسى، وكل نبيّ كان في أيّام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمّد ﷺ فهؤلاء الخمسة أولو العزم وهم أفضل الأنبياءِ والرّسل عليهم السلام، وشريعة محمّد لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، فمن ادّعى بعده نبوّة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباحٌ لكلّ من سمع ذلك منه»[١].

ويدلّ على النسخ عقلاً أنّ الأحكام الشرعيّة تابعة للمصالح، والمصالح قد تختلف باختلاف الأزمان والأشخاص بحيث يصير ما كان مصلحة في وقتٍ مفسدةً في آخر.

ففي وقت صيرورته مفسدة يجب أن يتغيرالحكم المتعلق به في وقت مصلحته وإلّا لزم من التكليف على تقدير صيرورته مفسدة فعلٌ قبيح، وهو محالٌ على الله تعالى، كما أفاده في إرشاد الطالبين[٢]، مع ذكره وقوع النسخ في الأديان السابقة أيضاً، فلاحظ.

وأما شريعةالرسول الأعظم ﷺ فقد جاءت للبقاء، ولوحظت فيها المصلحة إلى يوم اللقاء، فكانت الحكم الأفضل والشرع الأمثل، وصارت ناسخة غير منسوخة.

ثم بعد معرفة ناسخيّة وأكمليّة دينه وأفضليّة شخصه يتضح لك أن الحق المحقق هو أنّه ﷺ كان متعبداً بنفس شريعته المقدسة الفضلى للأدلة القائمة في هذا المجال مما أفاده السيد الشبر في حق اليقين[٣] ومنها:

---

(١) بحار الأنوار ٣٤/١١ الباب ١ ح ٢٨، وسائل الشيعة ١٢٤/١٨ الباب ١٢ ح ٤٧.

(٢) إرشاد الطالبين ص ٣١٨.

(٣) حق اليقين ١٣٥/١.

١ ـ قوله ﷺ المستفيض بين الخاصة والعامة:

«كنتُ نبياً وآدمُ بين الماء والطين».

٢ ـ ما استفاض في الأخبار الصحيحة من أنّه كان مؤيداً بروح القدس من حين ولادته فلم يحتج إلى الأنبياء الذين كانوا قبله.

٣ ـ إن مقتضى أفضليته من الأنبياء قبله هو أن يكون كيحيى الذي أوتي الحكم صبياً، وعيسى الذي كان في المهد نبيّاً.

وأما اقتداؤه بمن سلف قبله في قوله تعالى: **﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾**[1] فهو محمول على هداهم في أصول الدين، أو صبره على مشاق النبيين لا الإقتداء بأحكامهم وشريعتهم.

هذا تمام الكلام في مبحث النبوة.. ويليه بحث الإمامة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٠.



أصل الإمامة

أصل الإمامة

الإمامة هي خلافة الرسول و وصاية النبي بعد سيدنا محمّد ﷺ.

وعرّفها الشيخ المفيد قدس سرّه بقوله: «الإمامة هي التقدّم فيما يقتضي طاعة صاحبه، والإقتداء به»[1].

وقال العلّامة الحلّي أعلى‌الله مقامه: «الإمامة رئاسة عامّة لشخص من الأشخاص في أمور الدين والدنيا»[2].

وقال السيد البهبهاني قدس سره: «الإمامةعبارة عن الخلافة عن الرسول ﷺ، في امور الدين والدنيا، وافتراض طاعته على الأمّة فيما أمر به أو نهى عنه»[3].

وأوضح في الدائرة[4]، بأنّ الإمامة منصب إلهي، ورئاسة عامّة في أمور الدين والدنيا يختارها الله تعالى لفرد كامل من البشر، ويأمر النبي ﷺ بأن يرشد الأمّة إليه، ويقوم مقام النبي ﷺ في إرشاد الناس، وحجّة الله على خلقه.

هذا بالنسبة إلى تعريف الإمامة.

وأما الإمام فهو المقتدى والمتَّبَع.

---

(١) الإفصاح في الإمامة ص ٢٧.

(٢) نهج المسترشدين ص ٦٢.

(٣) مصباح الهداية في إثبات الولاية ص ٤٨.

(٤) دائرة المعارف الشيعية ٢٤٥/٤.

قال الشيخ الطريحي في المجمع: «قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[١] أي يأتمّ بك الناس، فيتبعونك ويأخذون عنك، لأنّ الناس يؤمّون أفعاله أي يقصدونها، فيتّبعونها»[٢].

وزاد في المفردات: «أنّ الإمام يُقتدى بأقواله وأفعاله»[٣].

وأفاد الشيخ الطبرسي[٤]: أنّ المستفاد من لفظ الإمام أمران:

أحدهما: أنّه المُقتدى في أفعاله وأقواله.

والثاني: أنّه الذي يقوم بتدبير الأُمّة وسياستها والقيام بأمورها وتأديب جُناتها وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقّيها، ومحاربة من يكيدها ويعاديها.

هذا بالنسبة إلى تعريف الامام والإمامة، وسيأتي بيان مدلولها الشرعي الجامع في هذا المنصب الرفيع.

ولا شك أنّ من أشرف معارف أصول الدين، هي معرفة إمامة الأئمة المعصومين، وخلافة أوصياء الرسول الميامين، و ولاية حجج الله في السماوات والأرضين التي تعود إلى معرفة الله تعالى بالحقّ واليقين.

وذلك لأنّهم سفراؤه إلى خلقه، ووسائل لطفه إلى عباده، فتكون معرفتهم من شؤون معرفته.. يوجب فعلها الهداية، وتركها الضلالة، كما في الحديث التالي:

عن أبي حمزة قال: قال لي أبو جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام:

«إنَّما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنَّما يعبده هكذا ضلالاً.

قلت: جعلت فداك! فما معرفة الله؟

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٢) مجمع البحرين ص ٥٠٣ مادة (أمم).

(٣) المفردات للراغب ص ٢٠٤.

(٤) مجمع البيان ٢٠١/١.

قال: تصديق الله عزّ وجلَّ وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وموالاة عليّ عليه السلام والإيتمام به وبأئمّة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عزّ وجلَّ من عدوّهم، هكذا يُعرف الله عزَّ وجلّ»[١].

وإمامة آل محمّد الربانيّة وولايتهم الإلهيّة، من الأصول الدعائم والأركان العظائم للدين الإسلامي الحنيف.. وترك معرفتهم يوجب الرّدى وكفر الجاهليّة الأولى، لما ورد في الحدِيث المتواتر بين الفريقين:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»[٢].

وفي حديث عيسى بن السري[٣] قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدّثني عما بُنيت عليه دعائم الإسلام.. ـ وسيأتي ذكر الحديث[٤] ـ صرّح بكون الولاية من دعائم الإسلام.

فيلزم على كل من أراد معرفة الله تعالى معرفتهم، والدخول في ولايتهم التي هي من دين الله عز وجلّ كما صرّحت به الأحاديث الآنفة مثل حديث أبي الجارود زياد ابن المنذر[٥]، الذي سيأتي ذكره[٦]، وصرح بكون الولاية من الدين.

---

(١) أصول الكافي ١٨٠/١ باب معرفة الإمام والرد إليه ح ١.

(٢) لاحظ أصول الكافي ٣٧٦/١ باب من مات وليس له امام من ائمة الهدى، وبحار الأنوار ٧٦/٢٣ الباب ٣ الأحاديث.

ولاحظ من مصادر العامة مسند أحمد بن حنبل ٩٦/٤، وصحيح مسلم ١٠٧/٨، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢٢٤/٣، وكنز العمال للمتقي الهندي ٢٢٠/٣، وينابيع المودة للقندوزي ص ١١٧، ومسند الحافظ الطيالسي ص ٢٥٩.

(٣) أصول الكافي ٢١/٢ باب دعائم الإسلام ح ٩.

(٤) في الصفحة ٣٥٤ ـ ٣٥٥ من الكتاب.

(٥) أصول الكافي ٢١/٢ باب دعائم الإسلام ح ١٠.

(٦) في الصفحة ٣٥٦ من الكتاب.

هذا مضافاً إلى أن نفس وجوب إطاعتهم تقضي بلزوم معرفتهم لأن تحقق الطاعة يستلزم معرفة المُطاع، تلك الطاعة التي أمر الله بها في قوله عز اسمه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**[1]، وقد نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام بأخبار الخاصّة والعامّة المتضافرة التي تلاحظها في غاية المرام[2].

فيلزم معرفتهم وإطاعتهم والإقتداء بهم والتصديق بإمامتهم الكبرى المتسمة بالمزايا العظمى.

والبحث الآتي شمّة بيان، وخلاصة برهان لتلك الإمامة الحقّة والولاية المطلقة في الفصول الخمسة التالية:

١ ـ احتياج البشر إلى الإمام وضرورة الإمامة.

٢ ـ أنّ الإمامة كالنبوّة انتصابيّة وليست بانتخابية، وتعيينها بيد الخالق لاالمخلوق.

٣ ـ في بيان انحصار الإمامة في الهداة الغرر المعصومين الإثني عشر.

٤ ـ معرفة شرائط وخصوصيات الإمام والإمامة.

٥ ـ وظائف الامة اتجاه أهل بيت العصمة عليهم السلام.

ومن الله تعالى نستمدّ العون ونسأل التوفيق، وهو الهادي إلى الحق الحقيق.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) غاية المرام ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ الباب ٥٨ ـ ٥٩ الأحاديث.

الفصل الأوّل:

في احتياج البشر إلى الإمام وضرورة الإمامة

البشر بنحو عام محتاج إلى إمام يَقتدي به، ويَستضيء بنور علمه، و وليٍّ يلجأ إليه ويستفيد منه، كاحتياجه إلى النبي والرسول.. إذ الإمامة إتمام وامتداد للنبوة الباقية والرسالة الخالدة.

وهذا أمر فطري وحقيقة ارتكازيّة يحكم بها العقل السليم والوجدان المستقيم وتشهد البداهة بأنّه لابدّ لكلّ قوم، بل لكل عالَم من عوالم الوجود من إمامٍ ورئيس يهديهم إلى سبيل الصلاح، ويقودهم إلى الخير والفلاح، ويرفع عنهم النزاع والخلاف، ويكون داعياً إلى الله ومصلحاً لعباد الله.

وكلّ ما يتصدّى له النبي الأكرم في حياته من الوظائف والقوانين والأحكام والشؤون الدينيّة والاجتماعيّة والعلميّة والقضائيّة والأخلاقية والإداريّة والإرشاديّة وغيرها يلزم أن يتصدّى له من بعده مَن يكون نموذجاً له، ومظهراً من مظاهره، وزعيماً للدين مثلَه.. حذراً من زوال الدين واضمحلال الرسالة التي جاءت للدوام، وأسست للبقاء، وإلّا كان شأن هذا الدين شأن سائر المبادئ التي تزول بزوال أصحابها..

وشريعة الإسلام نزلت لتكون باقيةً بجميع أحكامها وحلالها وحرامها إلى يوم القيامة، كما في حديث سلام بن المستنير عن الإمام الباقر عليه السلام[١].

وهذا الدين الإسلامي أبديٌّ في بقائه، خاتم للأديان في رسوله، ولا يُقبل من أحد غيره.

قال تعالى: **﴿إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾**[٢]، وقال عزَّ وجل: **﴿ومن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾**[٣].

فالإسلام إذاً رسالة سماويّة خالدة أُريد لها ـ بواسطة اكمليتها ـ أن تبقى بقاء السماوات والأرضين.. وامتداد الدنيا والآخرة.

فلو كان بناء هذا الدين على عدم الحافظ والوصي والإمام بعد نبيّه الكريم لكان نقضاً لغرض البعثة النبوية الشريفة الّتي بَشَّرت بها الأنبياء، وكانت أشرف الغايات، وخاتمة الرسالات.

ولا يُعقل أن يكون جميع البشائر والمقدمات لأجل ثلاثة وعشرين سنة مدّة نبوّة سيّدنا الرسول الأمين صلوات الله عليه وآله الطاهرين.

لذلك كان لابدّ لبقاء أشرف الأديان بعد أشرف الرسل من أشرف شخص يكون خليفته ويقوم مقامه ويتصدّى لمناصبه ـ سوى النبوّة ـ ليأتمّ الناس به، ويهتدون بهداه، ويسلكون الطريق القويم بنوره حتى تستمرّ شؤون الرسالة، وتتم فائدة البعثة، ولا تحرم الأجيال الآتية من الهداية.

فلابدّ لهذا الغرض من تصدّي الوصيّ لشؤون النبي.

---

(١) وسائل الشيعة ١٢٤/١٨، الباب ١٢ ح ٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

وشؤون النبي التي صرّح بها القرآن الكريم هي:

١ ـ الولاية التامّة المطلقة للنبي على جميع الناس، كما في قوله تعالى: **﴿اَلنَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾**(١).

٢ ـ القدوة التي تُطاع في جميع الأمور، كما في قوله تعالى: **﴿أَطِيْعُوا اللهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**(٢).

٣ ـ الحكم الحق بين الناس ورفع الخلاف عنهم، كما في قوله تعالى: **﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾**(٣).

٤ ـ التذكير بالله تعالى، كما في قوله عزّ اسمه: **﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾**(٤).

٥ ـ الهداية للخلق، كما في قوله عز شأنه: **﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**(٥).

٦ ـ الشاهديّة على الناس، كما في قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾**(٦).

٧ ـ الدعوة إلى الله والبشارة بالثواب والانذار بالعقاب، كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيْراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾**(٧).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) سورة ص، الآية ٢٦.

(٤) سورة الغاشية، الآية ٢١.

(٥) سورة الشورى، الآية ٥٢.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٧) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ و٤٦.

٨ ـ الحرص على سعادة المؤمنين وصلاح شأنهم والرأفة والرحمة بهم، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[١].

.. إلى غير ذلك من المقامات والمراتب الرفيعة النبويّة التي يأتي ذكرها في الأحاديث الشريفة والتي لابدّ أن تتمثّل في وصي الرسول لبقاء الرسالة.

وعلى الجملة؛ فالإمامة أمر فطريّ، واحتياج ضروري، وحاجة لازمة كفى بارتكازيّتها دليلاً لها، بالإضافة إلى أنّه يدلّ عليها الكتاب والسنة والعقل بالبيان التالي:

أمّا الكتاب أولا:

فقول الله تعالى شأنه: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[٢] فإنه قد ذكرت الخاصّة والعامّة، أنّ الهادي في هذه الآية الشريفة، هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد جاءت فيه ثلاثة وعشرون حديثاً من طرق الخاصّة، وسبعة أحاديث من طرق العامّة، كما تلاحظها في كتاب غاية المرام[٣].

وللنموذج نختار من أحاديث الخاصة ما رواه عبدالرحيم القصير، عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ فقال:

« **رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنذر، وعلي الهادي، أما والله ما ذهبت منّا وما زالت**

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٢) سورة الرعد، الآية ٧.

(٣) غاية المرام ص ٢٣٥ الباب ٣٠ ـ ٣١، الأحاديث، وتلاحظ استقصاء احاديث العامة في إحقاق الحق ٨٨/٣ و ١٦٦/١٤ و ٥٩/٢٠.

فينا إلى الساعة»[١].

ومن أحاديث العامّة ما رواه عبدالله بن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«بي أنذرتم، وبعليّ بن أبي طالب اهتديتم ـ وقرأ ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢] **ـ وبالحسن أعطِيتم الإحسان، وبالحسين تسعُدون وبه تشقون. ألا وإنّ الحسين بابٌ من أبواب الجنّة من عانده حرّم الله عليه ريح الجنة»**[٣].

وأمّا السنة ثانيا:

فمثل حديث نهج البلاغة في كتاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى عامله على البصرة، عثمان بن حنيف الأنصاري قال عليه السلام:

«ألا وإنّ لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه»[٤].

ممّا يستفاد منه هذه القاعدة الجارية، والسنة الماضية، والضرورة القاضية بوجود الإمام الصالح لكلّ مأموم، وحبّذا لو رجعنا في المقام إلى حديث الفضل بن شاذان في بيان علة جعل أولي الأمر والأمر بطاعتهم[٥].

وسيأتي ذكر الروايات الشارحة لذلك بالتفصيل.

---

(١) غاية المرام ص ٢٣٥ الباب ٣١ الحديث الرابع.

(٢) سورة الرعد، الآية ٧.

(٣) غاية المرام ص ٢٣٥ الباب ٣٠ الحديث السادس.

(٤) نهج البلاغة، الرسائل، ص ٧٨ من الطبعة المصرية، الكتاب ٤٥.

(٥) عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢/٩٩ الباب ٣٤ ح ١.

وأمّا العقل ثالثاً:

فدليل العقل وحكمه بلزوم الإمام يقرّر بوجوه أربعة:

١ ـ ما قرّره شيخ الطائفة الطوسي طابت تربته من أنّ العقل يحكم بوجوب الإمامة بدليل اللطف، لما ثبت من كون الإمامة لطفاً من الله تعالى ولا يتمّ التكليف بدونها، فمقتضى كرمه تعالى أن يهيّئ لعباده وسائل الطاعة، ويصرفهم عن طرق الفساد، وهو لطف، والله لطيف بعباده.

والإمامة من الألطاف الإلهيّة التي لا يحسن التكليف بدونها فجرت مجرى سائر الألطاف الإلهية، إذ الأمّة محتاجة إلى أخذ معالم دينها من الإمام، والإمام لا يكون عندنا إلّا من هو عالم بجميع ما تحتاج إليه الرعية[1].

٢ ـ ما قرّره الشيخ الكبير كاشف الغطاء طاب مثواه من أنّ العقل يشهد بوجوب وجود المبيِّن للأحكام، كما حكم بلزوم وجود المؤسّس للحلال والحرام، لمساواة الجهتين، وحصول الجهالة عند فقد كلٍّ من الأمرين، ولكثرة المجملات في القرآن وفي الأخبار الواردة عن سيد ولد عدنان[2].

٣ ـ ما قرّره السيّد الشبّر أعلى الله مقامه من أن الغرض والحكمة في إيجاد الخلق هي المعرفة والعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُوْنِ﴾[3]، وهذا الغرض الشريف يتوقّف على الواسطة بين الخلق والخالق لاستحالة المشاهدة والمكالمة، وتكون الواسطة بالرسالة أو الإمامة.

فغرض الخلقة يقتضي الإمامة بعد الرسالة[4].

---

(١) تلخيص الشافي ١/٦٩.

(٢) كشف الغطاء ص ٥، المبحث الخامس في الإمامة.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٤) حق اليقين ١/٨٤.

٤ ـ ما قرّره شيخنا الأُستاذ قدس سره، من أنّ كتاب الله العظيم الذي هو كتاب الهداية ودستور البشرية الذي فيه آيات محكمات وأُخر متشابهات، كيف يمكن التوصّل والوصول إلى مراداته، ومعرفة محتوياته، وفهم مجملاته ومتشابهاته، حتى يتسنّى العمل بآياته بدون معلّم ومبيِّن لها وهادٍ بهداية الله فيها؟!

ومن الواضح أنّ كتب الدراسات العلميّة والموسُوعات الجامعيّة بالرغم من كونها من نتائج العقول البشريّة لا يمكن فهمها بدون معلّم وأستاذ، مع دراسات متواصلة في سنوات عديدة..

فكيف بكتابٍ يعجز عن مثله الجنّ والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟!

من المستحيل أن نستغني في فهم أعظم الكتب عن تعليم من نزل في بيتهم الكتاب، فالضرورة تقتضي بلزوم الإمامة بعد الرسالة، والإمام في جنب القرآن.. وقول عمر: (حسبُنا كتاب الله) هو كذب وخداع وتزوير وبهتان، قد كَذَّبه حتى هو نفسه حينما كان يرتطم في الإشكال ويقول: (لولا عليّ لهلك عمر) ويقول: (لا أبقاني الله لمُعضلةٍ ليس لها أبوالحسن).. فهلّا كان يكتفي بكتاب الله لحلّ المسائل الواردة عليه..

وتلاحظ اعترافه بهذا الكلام في موارد كثيرة أحصاها شيخنا الأميني في كتاب الغدير في باب نوادر الأثر في علم عمر عند بيان مأة خطأ من أخطائه وجهالاته[1].

وعليه فالبشريّة محتاجة في جميع مجالات حياتها إلى كتاب الله مقروناً مع حجّة الله.. وهما توأمان لا يفترقان وتكون الهداية بهما معاً حتى يردا على الحوض يوم القيامة.

وقد أخبر النبي ﷺ بعدم افتراقهما، وفرَض التمسك بهما، وحصر الهداية

---

(١) الغدير ٦/٨٣ – ٣٢٥.

فيهما بالدليل القطعي المقبول بين الفريقين في حديث الثقلين الذي نصّ عليه الرسول الأعظم في المواطن الأربعة: يوم عرفة على ناقته القصوى، وفي مسجد الخيف، وفي خطبة يوم الغدير في حجّة الوداع، وفي خطبته على المنبر يوم قُبض.

وقد رويت نصوص أحاديثه من طرق الخاصّة والعامّة بأسانيد كثيرة وروايات متواترة تلاحظها في مثل كتاب إحقاق الحق للقاضي التستري قدّس سرّه[١].

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا من بعدي أبداً، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عَليَّ الحوض، فانظرواكيف تخلفوني فيهما».

ثمّ إن الحق الصريح والبيان المليح الذي يفهمه كل ذي حجىٰ هو ما بيّنه أهل بيت الهُدى في أحاديثهم الشريفة التي بيّنت أهميّة الإمامة و وجه الاحتياج إلى الإمام، والتي هي أدلّة قطعيّة وبراهين يقينيّة على لزوم الإمامة الحقّة ووجوب وجود الإمام المعصوم في جميع الأزمنة إلى قيام الساعة مثل:

١ ـ ما رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمر الفُقيمي، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام ...[٢]

٢ ـ ما رواه أيضاً عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم، عن الإمام أبي عبد لله عليه السلام ...[٣]

---

(١) إحقاق الحق ٤٣٦/٤ و٧/٥ و٤/٦ و٣٠٩/٩ و٤٠٥/١٦ و٢٦١/١٨.

(٢) أصول الكافي ١٦٨/١ باب الإضطرار إلى الحجة ح ١، وقد تقدم هذا الحديث في ص من الكتاب فلا نكرر.

(٣) أصول الكافي ١٦٨/١ باب الاضطرار إلى الحجة ح ٢، وقد تقدم هذا الحديث في ص من الكتاب فلاحظ.

٣ ـ ما رواه أيضاً عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام...[١]

٤ ـ ما رواه يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فورد عليه رجلٌ من أهل الشام فقال: إنّي رجلٌ صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة أصحابك، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك؟ فقال: من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عندي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فأنت إذاً شريك رسول الله؟ قال: لا، قال: فسمعت الوحي عن الله عزّوجلّ يخبرك؟ قال: لا، قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليَّ فقال: يا يونس بن يعقوب! هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلّم، ثم قال: يا يونس! لو كنت تُحسن الكلام كلّمته، قال يونس: فيالها من حسرة! فقلت: جُعلت فداك! إنّي سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويلٌ لأصحاب الكلام يقولون: هذا ينقاد وهذا لا ينقاد[٢]، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ ما قلت: فويل لهم، إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون، ثمّ قال لي: اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلّمين فأدخله.

---

(١) أصول الكافي ١٦٩/١ باب الاضطرار إلى الحجة ح ٣، وقد تقدم هذا الحديث في ص من الكتاب فراجع.

(٢) إشارة إلى قولهم في مناظراتهم: سلّمنا هذا ولا نسلم ذاك، كما أن هذا ينساق وهذا لا ينساق إشارة إلى قولهم بالنسبة إلى خصمهم: له أن يقول كذا، وليس له أن يقول كذا.

قال: فأدخلت حمران بن أعين ـ وكان يحسن الكلام ـ وأدخلت الأحول[١] ـ وكان يُحسن الكلام ـ وأدخلت هشام بن سالم ـ وكان يُحسن الكلام ـ وأدخلت قيس بن الماصر ـ وكان عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلّم الكلام من عليٍّ بن الحسين عليهما السلام ـ.

فلمّا استقرّ بنا المجلس وكان أبوعبدالله عليه السلام قبل الحج يستقرُّ أياماً في جبل في طرف الحرم في فازة[٢] له مضروبة، قال: فأخرج أبوعبدالله عليه السلام رأسه من فازته فإذا هو ببعير يخبُّ[٣] فقال: هشام وربِّ الكعبة! قال: فظننا أنّ هشاماً رجلٌ من ولد عقيل ـ كان شديد المحبة له ـ قال: فورد هشام بن الحكم وهو أوّل ما اختطت لحيته وليس فينا إلّا من هو أكبر سنّاً منه، قال: فوسّع له أبوعبدالله عليه السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثمّ قال: يا حمران! كلّم الرّجل، فكلّمه فظهر عليه حمران.

ثمّ قال: يا طاقي! كلّمه، فكلّمه فظهر عليه الأحول.

ثمّ قال: يا هشام بن سالم! كلّمه، فتعارفا.. ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام لقيس الماصر: كلّمه، فكلّمه.

فأقبل أبو عبدالله عليه السلام يضحك من كلامهما مما قد أصاب الشامي، فقال للشامي: كلّم هذا الغلام ـ يعني هشام بن الحكم ـ ، فقال: نعم، فقال لهشام: يا غلام! سلني في إمامة هذا، فغصب هشام حتى ارتعد، ثم قال للشامي: يا هذا! أربُّك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل

---

(١) أي أبوجعفر محمد بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق.

(٢) الفازة: هي الخيمة الصغيرة.

(٣) يخبّ: أي يسرع في مشيه.

ربّي أنظر لخلقه، قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال، أقام لهم حجة ودليلاً كي لا يتشتتوا أو يختلفوا بتألفهم، ويقيم أَوَدَهُم[١] ويخبرهم بفرض ربهم، قال: فمن هو؟ قال: رسول الله ﷺ، قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ؟ قال: الكتاب والسنة، قال هشام: فهل نفعنا الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم، قال: فلم اختلفنا أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا اياك؟ قال: فسكت الشامي.

فقال أبوعبدالله عليه السلام للشامي: مالك لا تتكلّم؟ قال الشامي: إن قلت لم نختلف كذبت، وإن قلت إنّ الكتاب والسنة يرفعان عنّا الإختلاف أبطلتُ لأنهما يحتملان الوجوه، وإن قلتُ قد اختلفنا وكلٌّ واحد منا يدَّعي الحقّ فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنة إلّا أنَّ لي عليه هذه الحجة[٢].

فقال أبوعبدالله عليه السلام: سله تجده ملياً، فقال الشامي: يا هذا! من أنظر للخلق أربّهم أو أنفسهم؟ فقال هشام: ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم، فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودَهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله ﷺ والساعة مَن؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشدُّ إليه الرّحال[٣] ويخبرنا بأخبار السماء والارض، وراثة أبٍ عن جدٍ، قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال هشام: سله عمّا بدالك، قال الشامي: قطعتَ عذري[٤] فعليَّ السؤال.

---

(١) الأَوَد بفتح الهمزة والواو هو الإعوجاج.

(٢) أي تلك الحجة التي كانت له عليّ.

(٣) أي يأتيه الناس من كل مكان ويقبلون عليه في مواسم الحج.

(٤) أي لا عذر لي بعد هذا.

فقال أبوعبدالله عليه السلام : يا شامي! كيف كان سفرك وكيف كان طريقك؟ كان كذا وكذا، فأقبل الشامي يقول: صدقت، أسلمت لله الساعة، فقال أبوعبدالله عليه السلام : بل آمنت بالله الساعة، إن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون والإيمان عليه يثابون[١]، فقال الشامي: صدقت فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنك وصي الأوصياء»[٢].

٥ ـ الحديث الرضوي الشريف الجامع الذي رواه عبد العزيز بن مسلم قال: كنّا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مَقْدمنا فأرادوا[٣] أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيّدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام ثمَّ قال:

« يا عبد العزيز! جهل القوم وخُدعوا عن آرائهم، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى أكمل له الدّين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلِّ شيء، بيَّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٤] وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿اَلْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[٥] وأمر الإمامة من تمام الدِّين، ولم يمض صلى الله عليه وآله وسلم حتى بيَّن لأُمّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم

---

(١) لمزيد المعرفة لاحظ بيان ذلك في أحاديث أصول الكافي ٢/٢٤ – ٢٨.

(٢) أصول الكافي ١/١٧١ باب الإضطرار إلى الحجة ح ٤.

(٣) في عيون اخبار الرضا عليه السلام : فأداروا.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٥) سورة المائدة، الآية ٣.

على قصد سبيل الحق وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً وما ترك [لهم] شيئاً يحتاج إليه الأمة إلّا بيّنه. فمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ومن ردّ كتاب الله فهو كافرٌ به.

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم، إنّ الإمامة أجلُّ قدراً وأعظمُ شأناً وأعلا مكاناً وأمنعُ جانباً وأبعدُ غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم.

إنَّ الإمامة خصَّ الله عزَّ وجلَّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرَّفه بها وأشاد بها ذكره فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِيَ الظَّالِمِيْنَ﴾[1].

فأبطلت هذه الآية إمامة كلِّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة، ثمَّ أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِيْنَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيْتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِيْنَ﴾[2] فلم تزل في ذريته يرثها بعضٌ عن بعض قرناً فقرناً حتى ورَّثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله، فقال جلَّ وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيْمَ لَلَّذِيْنَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾[3].

فكانت له خاصة فقلّدها صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام، بأمر الله تعالى على رسم ما فرض

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان ٧٢ و٧٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٨.

الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾[1] فهي في ولد عليّ عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة؛ إذ لا نبيّ بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟!

إنَّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء.

إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام.

إنَّ الإمامة زمامُ الدِّين ونظامُ المسلمين وصلاحُ الدُّنيا وعزُّ المؤمنين.

إنّ الإمامة أُسُّ الإسلام النامي وفرعه السامي[2].

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف[3].

الإمام يُحلُّ حلال الله ويحرّم حرام الله ويقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة.

الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالَم وهي في الأُفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير والسراجُ الزَّاهر والنور الساطع والنجمُ الهادي في غياهب الدُّجى[4] وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار.

الإمام الماءُ العذب على الظما والدالُّ على الهدى والمنجي من الرَّدى.

---

(١) سورة الروم، الآية ٥٦.

(٢) الأُسّ والأساس هو أصل البناء، والسامي هو العالي المرتفع.

(٣) فالإمام هو الآمر بها، ومبين أحكامها، وشرط صحتها.

(٤) أي الظلمات الشديدة كظلمات الفتن والشبهات.

الإمام النار على اليفاع[١]، الحار لمن اصطلى به، والدَّليل في المهالك، من فارقه فهالك.

الإمام السحابُ الماطر والغيثُ الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرَّفيق والوالدُ الشفيق والأخُ الشقيق والأُم البرَّة بالولد الصغير ومفزعُ العباد في الداهية النآد[٢].

الإمام أمين الله في خلقه وحجّتُه على عباده وخليفته في بلاده والدَّاعي إلى الله والذَّاب عن حُرَم الله.

الإمام المطهَّر من الذُّنوب والمبرَّا عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدِّين وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين[٣].

الإمام واحدُ دهره، لا يدانيه أحدٌ ولا يعادله عالمٌ ولا يوجد منه بدلٌ ولا له مثلٌ ولا نظيرٌ، مخصوصٌ بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهابّ.

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟!

هيهات! هيهات!! ضلّت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وخسئت العيون وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الألباء وكلّت الشعراء وعجزت الأُدباء وعييت البلغاء عن

---

(١) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٢) أي الأمور العظيمة.

(٣) البوار بمعنى الهلاك.

وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله وأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكلّه أو ينعت بكنهه أو يُفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه؟!

لا، كيف وأنى وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين!

فأين الإختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟!

أتظنون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟!

كذّبتهم والله أنفسهم ومنّتهم الأباطيل[1]، فاتّقوا[2] مرتقاً صعباً دحضاً تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً، [قاتلهم الله أنى يؤفكون] ولقد راموا صعباً وقالوا إفكاً وضلّوا ضلالاً بعيداً ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة وزيّن لهم الشيطان أعمالهم، فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين.

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3] وقال عزّ وجلّ: ﴿و ما كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[4] - الآية، وقال: ﴿ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُون * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ

---

(١) أي أوقعت في أنفسهم الأماني الباطلة، والدحض هو الزَلَق.

(٢) في عيون اخبار الرضا عليه السلام: فارتقوا.

(٣) سورة القصص، الآية ٦٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شَرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِيْنَ ﴾[١] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٢]؟! أم طبع الله على قُلوبهم فهُم لا يفقهون؟! أم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِيْنَ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[٣] أم ﴿ قالُوا سَمِعْنَا وَعَصَينا ﴾[٤] بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالمٌ لا يجهل وراعٍ لا ينكل[٥]، معدنُ القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة، مخصوصٌ بدعوة الرَّسول ﷺ ونسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب، فالبيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من الرَّسول ﷺ والرِّضا من الله عزَّ وجلَّ، شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، نامي العلم، ملُ الحلم، مضطلعٌ بالإمامة، عالمٌ بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عزَّ وجلَّ، ناصحٌ لعباد الله، حافظٌ لدين الله.

إنَّ الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه مالا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزَّمان في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلّا أَنْ

---

(١) سورة القلم، الآيات ٣٦ - ٤١.

(٢) سورة محمّد، الآية ٢٤.

(٣) سورة الانفال، الآيات ٢١ ـ ٢٣.

(٤) سورة البقرة، الآية ٩٣.

(٥) أي لا يضعف ولا يجبن.

يُهدَى.فَمَا لَكُمْ كَيفَ تَحْكُمُونَ ﴾[١]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾[٢] وقوله في طالوت: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] وقال لنبيّه ﷺ: ﴿وأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[٤] وقال في الأئمة من أهل بيت نبيِّه وعترته وذرّيته صلوات الله عليهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ＊ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيْراً ﴾[٥]، وإن العبد إذا اختاره الله عزَّ وجلّ لأمور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً فلم يغي[٦] بعده بجواب ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصومٌ مؤيّدٌ مسدَّدٌ، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصُّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدِّمونه؟ تَعَدُّوا ـ وبيتِ الله ـ الحقَّ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم،

---

(١) سورة يونس، الآية ٣٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٤) سورة النساء، الآية ١١٣.

(٥) سورة النساء، الآيتان ٥٤ و ٥٥.

(٦) أي لم يعجز.

كأنّهم لا يعلمون وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبذوه واتبعوا أهواءهم، فذمّهم الله ومقّتهم وأتعسهم فقال جلَّ وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِـمَّنِ اتَّـبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ ﴾[١] وقال: ﴿فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٢] وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِيْنَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٣] وصلى الله على النبي محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً»[٤].

٦ ـ حديث جابر، عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

« قلت: لأي شيء يحتاج إلى النبيّ والإمام؟

فقال: لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبيّ أم إمام، قال الله عزّ وجـلّ: ﴿وَمَـا كَـانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾[٥]، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: « النجوم أمان لأهل السّـماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النّجوم أتى أهـل السّـماء مـا يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون» يعني بأهـل بيته الأئمة الذين قرن الله عزّ وجلّ طاعتهم بطاعته فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا أَطِيْعُوا اللهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم ﴾[٦].

وهم المعصومون المطهّرون الذين لا يذنبون ولا يعصون، وهم المؤيّدون

---

(١) سورة القصص، الآية ٥٠.

(٢) سورة محمّد، الآية ٨.

(٣) سورة غافر، الآية ٣٥.

(٤) اصول الكافي ١٩٨/١ باب نادر ح ١.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

(٦) سورة النساء، الآية ٥٩.

الموفّقون المسدّدون، بهم يرزق الله عباده، وبهم يعمر بلاده، وبهم ينزل القطر من السّماء، وبهم تخرج بركات الأرض، وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجّل عليهم بالعقوبة والعذاب، لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه، ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم صلوات الله عليهم أجمعين»(١).

٧ ـ حديث سليمان بن جعفر الجعفري قال: سألت الرّضا عليه السلام فقلت:

« تخلو الأرض من حجّة؟

فقال: لو خلت الأرض طرفة عين من حجّة لساخت(٢) **بأهلها»**(٣).

٨ ـ إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرّضا عليه السلام:

« نحن حجج الله في أرضه وخلفاؤه في عباده، وأُمناؤه على سرّه، ونحن كلمة التقوى، والعروة الوثقى، ونحن شهداء الله وأعلامه في بريّته، بنا يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، وبنا ينزّل الغيث، وينشر الرّحمة، لا تخلو الأرض من قائم منّا ظاهر أو خافٍ، ولو خلت يوماً بغير حجّة لماجت بأهلها كما يموج البحر(٤) **بأهله»**(٥).

وكلامهم الشريف هذا إرشاد إلى نور العقل وإثارة لدفائن العقول.. وبتدبّر ذوي الألباب يدرك العقل صدق كلامهم، ويصدق اللبّ حقيقة بيانهم، ويستيقن بنعمة الإمامة وفيض الإمام.

---

(١) بحار الأنوار ٢٣/١٩ الباب ١ ح ١٤.

(٢) ساخت الأرض أي خسفت.

(٣) بحار الأنوار ٢٣/٢٩ الباب ١ ح ٤٣.

(٤) يقال: ماج البحر أي اضطرب موجه.

(٥) بحار الأنوار ٢٣/٣٥ الباب ١ ح ٥٩.

الفصل الثاني:

الإمامة انتصابيــة لا انتخابية
وتعيينها بيد الخالق لا المخلوق

من الواضح أن من يُنصب لأجل إمامة الخلق بعدالرسول، ولتصدّي رئاسة الدين، وزعــامة الدنـيا، وحـفظ الشـرع، وإصـلاح المـجتمع، وإقـامة الأحكـام، وتـربية المسلمين، وتنظيم شؤون البشر، وإدارة أمورهم، وتـهذيب نـفوسهم، وتـضمين سعادتهم يلزم أن يكون أفضلهم وأعلمهم وأعقلهم والأرجح منهم.. معصوماً من الخطأ، ومحفوظاً عن الزلل، حتى لا يلزم أن يعطى الشيء فاقده، أو يهب الفضيلة من هو متخلٍ منها.. ولئلّا يكون مخطئاً فيلزم من خطأه انحطاط المجتمع البَشرَى وانهيار معالم الإنسانية.

وإذا حصلت هذه المزايا والملاكات في شخص كان لائقاً وجديراً بأن يتصدّى هذه الأمور، وطبيعيّ أنّ الفوز والنجاح يكون حليفه في هذه الشؤون.. وهنا نسأل أنّه من هو الذي يعرف الأفضل والأعلم والأعقل والأرجح والأصلح من الخلق حتى يختاره وينصبه لهذا الأمر الجليل لتحمّل أعباء هذه الأمور الجسيمة ؟

من الذي يعلم السرائر ويطلع على الضمائر حتى يعرف عواقب الأشخاص ؟

ومن الذي يعرف المصلِحَ من المفسد حتى يختار من يكون فيه الصلاح الدائم

بحيث لا يعتريه فساد تفسد به الطبقات البشريّة الموجودة معه والأجيال الآتية بعده ؟

وأخيراً هل يستطيع البشر العاجز المخطئ الظلوم تعيين ذلك ؟

كلّا! ثم ألف كلّا!! لا يقدر على ذلك إلّا الله تعالى الذي هو الخالق للبشر، والعالم بسرائرهم وضمائرهم، والخبير بمطاوي نفوسهم، والمالك لأمرهم، والحكيم في تدبيرهم، والعارف باحتياجاتهم.. **﴿والله يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾**[١].

ومن المعلوم أنّ ديناً كدين الإسلام الذي تقرّرت فيه جميع الأحكام والشرعيات حتى السنن والمرغّبات، وكل جانب من جوانب الحياة لا يمكن أن يكون أهمل مسألة تعيين الإمام والخليفة بعد الرسول على أهميّتها، أو يكون أوكلَها إلى اختيار الأمة بما فيها الحثالة الجاهلة، كأبي عبيدة الجراح الذي لا يميز الهرّ من البرّ، ولا يعرف خير نفسه فكيف بخير الآخرين.

وقد تضمنت أخبار السقيفة من كتب السيرة والحديث شناعة حاله، كما أفاده في التنقيح[٢]، وهو من أعداء امير المؤمنين عليه السلام[٣]، وحديث حسّان الجمال في الفقيه[٤] يدلّ على ذمّه ونفاقه، فلاحظ.

لا يمكن من الله الحكيم في تدبيره، ولا من الرسول الرؤوف بأمّته أن يكون أهمل الخلافة بعده.

ومن الحوار اللطيف أنه سأل أبوالحسن الرّفا من ابن رامين الفقيه ـ وكلاهما من علماء العامة ـ أنه: لمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وآله من المدينة ما استخلف عليها أحداً؟ قال: بلى استخلف علياً، قال: وكيف لم يقل لأهل المدينة اختاروا فأنكم لا تجتمعون على

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٠.

(٢) تنقيح المقال ١١٤/٢ عند ترجمته تحت عنوان عامر بن الجرّاح.

(٣) معجم رجال الحديث ٢١٦/١٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٥٥٩/٢ الحديث رقم ٣١٤٤.

الضلال! قال: خاف عليهم الخلف والفتنة، قال: فلو وقع بينهم فساد لأصلحه عند عودته، قال: هذا أوثق، قال: فاستخلف أحداً بعد موته؟ قال: لا، قال: فموته أعظم من سفره، فكيف أمن على الأُمّة بعد موته ما خافه في سفره وهو حيّ عليهم؟ فقطعه[1].

البشر ليس بقادر على التشخيص المصيب لمن هو اللائق لهذا المنصب العظيم..

ويشهد لذلك عدم قدرتهم على نصب اللائق من جميع الجهات في الأمور الدنيوية، والمناصب الموقتة اليسيرة، فكيف يمكنهم التصدّي لذلك المنصب الديني الدائمي الحسّاس؟

وكم رأينا أهل العقل والتدبير اتّفقوا على تعيين شخصٍ لإنجاز أمرٍ تبيّن لهم بعد ذلك خطأهم في تعيينه فغيّروه وبدّلوه.

بل الأعاظم الكُمّلين لا يمكن أن يكون اختيارهم ـكخيرة الله تعالى.. ألا ترى أن النبي موسى عليه السلام مع جلالة قدره وعزيميّة رسالته اختار من قومه لميقات ربّه سبعين رجلاً، ثمّ قالوا له: أرِنا الله جهرة.

سلّمنا قدرتهم على انتخاب اللائق، لكن الأُمّة لا تتّفق في الإختيار لزعم كل جماعة منهم أنّ هذا هو الأصلح دون ذاك، فلا يتسنى لهم اتفاق الآراء مع اختلاف الأهواء.

فكيف يمكن تفويض اختيار الإمام إليهم، ألا يؤدي ذلك إلى التشاجر والتنافر المنتهي إلى الفتنة والفساد؟!

ثمّ إنّ الإمامة كما تقدّم هي منصب إلهي يكون بجعل الله وتشريعه، كالرسالة، وليست اعتباراً عرفياً أو عقلائياً حتى يجعلها العرف والعقلاء، كما وأنّها ليست مرتبة

---

(١) بحار الأنوار ٢٣/٧٥ نقلاً عن كتاب المناقب لابن شهرآشوب.

علميّة مجرّدة حتى يحوزها العلماء، فلابدّ أن ينتهي تعيينها إلى من له التشريع فيقلّدها من اصطفاه من خلّص عباده الصالحين، وأوليائه المقرّبين.

ثمّ إنّ نفس مقتضى منصب الخلافة والوصاية والولاية في الإمام هو أن يكون بجعل الله تعالى، إذ لا تتحقق الخلافة بدون استخلاف، ولا تكون الوصاية بدون إيصاء، ولا تكون الولاية بدون التولية.. ولا معنى أن يكون أحدٌ خليفةً لشخص مع استخلافه من قِبَل الآخرين.

وحيث كانت الرسالة من الله فلايصح أن تكون خلافتها ووصايتها والتولي عنها إلّا من قِبَل الله تعالى..

على أنّه بالإضافة إلى ذلك يدل على كون تعيين الإمام بيد الله تعالى: الكتاب والسنة والعقل؛

١ ـ أمّا الكتاب فمثل:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[١].

حيث يستفاد منه أنّ المختار في أمور الدين والدنيا هو الله تعالى دون خلقه، ولا اختيار للعباد في التصرّف في ذلك.. خصوصاً مع تقديم الربّ بقوله: **﴿وربُّك﴾** في نسبة الخلق والإختيار إليه ونفيه عن المخلوقين.

إذ الاختيار يلزم أن يكون مع العلم بأحوال من يقع عليه الإختيار.. ولا يعلم غير الله تعالى جميع أحوال المختار حتى يكون له الخيرة.

ويستفاد هذا الملاك من تلو هذه الآية التي قالت بعد ذلك **﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ**

---

(١) سورة القصص، الآية ٦٨.

صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[١]، وفي هذا دلالة على أنّ من لا يعلم السرّ والجهر فلا اختيار له، كما أفاده الشيخ الطبرسي في مجمع البيان[٢].

وقد روى العلّامة المجلسي في بحار الأنوار[٣] حديث أنس بن مالك، عن النبي الأكرم ﷺ في تفسير هذه الآية الشريفة بقوله:

«إنّ الله اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فانتجبنا، فجعلني الرسول، وجعل علي بن أبي طالب عليه السلام الوصيّ، ثمّ قال: «ما كان لهم الخيرة» يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا، ولكنّي أختار من أشاء، فأنا وأهل بيتي صفوة الله وخيرته من خلقه».

٢ ـ قوله تعالى: **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾**[٤].

حيث يستفاد منه أنّ جاعل الإمامة هو الله تعالى، وأنّها عهد من الله تعالى، وأنّ هذا العهد لا ينال الظالم، ومن المعلوم أنّ العهد يكون بين الطرفين المتعاهدين فقط دون غيرهم.. وتقديم «إنّي» في الخطاب بقوله: «إني جاعلك»، لا «جعلتك» يفيد انحصار الجعل به تعالى.

وقد فسّر هذا العهد بالإمامة من قبل الخاصّة والعامة، فقد روي ذلك عن الإمامين الهمامين أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام، كما فسّره بها مجاهد بن جبر المكّي من العامة، فيما حكاه الشيخ الطوسي في التبيان[٥].

---

(١) سورة القصص، الآية ٦٩.

(٢) مجمع البيان ٢٦٣/٧.

(٣) بحار الأنوار ٧٤/٢٣ الباب ٣ ح ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٥) تفسير التبيان ٤٤٨/١.

٣ـقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيْفَةً**﴾[١] حيث يستفاد منه أيضاً أن الخلافة الإلهيّة تكون بجعل الله تعالى ونصبه، وأنّ هذا الجعل من شؤون الله تعالى شأنه، مع أن مقتضى نفس الإستخلاف هو أن لا يكون إلّا من المستخلف لا من غيره.. وخليفة الرب يلزم أن يُنصب من جانب الرب لا من جانب الناس، وهذا معنى ظاهر، لا شك فيه ولا رادّ عليه.

٢ - وأمّا السنّة:

فهي دالّة أيضاً على كون تعيين الإمام من الله الملك العلاّم، في أحاديث مثل:

١ ـ حديث عبد العزيز بن مسلم، عن الإمام الرضا عليه السلام الذي ورد فيه:

«**إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول... فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟! هيهات! هيهات! ضلّت العقول وتاهت الحلوم..**»[٢].

٢ ـ حديث سعد بن عبد الله القمّي عن الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه[٣].

٣ـ حديث عمرو بن الأشعث قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول، ونحن عنده في البيت نحو من عشرين رجلاً، فأقبل علينا وقال:

«**لعلّكم ترون أنّ هذا الأمر في الامامة إلى الرّجل منّا يضعه حيث يشاء، والله إنّه لعهد من الله نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجال مسمّين رجل فرجل حتّى ينتهي إلى صاحبها**»[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٢) اصول الكافي ١/١٩٨ ح ١، وقد تقدّم تفصيله في ص من الكتاب.

(٣) بحار الأنوار ٦٨/٢٣ الباب ٣ ح ٣، وقد تقدم هذا الحديث في ص من الكتاب.

(٤) بحار الأنوار ٧٥/٢٣ الباب ٣ ح ٢٥.

٣ ـ وأمّا العقل:

فإنّه حاكم بتعيّن نصب الإمام والخليفة والوصيّ ممن هو العارف بالأفضل ومن يؤمَن في اختياره من الخطأ والزلل، ومن له الحقّ الأكمل، وهو الله البصير الخبير.

وقد ثبت أنّ الإمامة من المناصب الإتخاذيّة كالرسالة، لا من المراتب الادراكية كالعلم، والعقل يحكم في هكذا منصب أن يكون جعله بيد الجاعل.

على أنّ العقل يرى بداهة لزوم تعيين امام الشريعة من قبل صاحب تلك الشريعة، وتعيين الخليفة من قبل نفس المستخلِف، وتعيين الوصيّ من قبل شخص الموصي.. ولا معنى عقلاً لتصدّي الغير للنصب فضولة.

بل يقبح أن ينصب الغير أحداً إماماً، ثمّ يسلّطه على رقاب المسلمين، لما عرفت من وقوع الظلم والفساد وحصول التنافر والتشاجر المبغوض عند العقل والعقلاء.

فيتعيّن أن يكون نصب الإمام والخليفة والوصيّ بيد الله تعالى العالم الخبير، والقادرالبصير، والعارف بصلاح أمرهم وسبيل خيرهم.. وقد خلق الخلق ليرحمهم.

واللابديّة الشرعيّة والعقليّة تقضي بأنّ الله تعالى قد عيّن الإمام للخليقة ونصبه للرعيّة بواسطة نبيّه الأمين صلوات الله عليه وآله أجمعين.. شأن سائر الأُمور التي يحتاجون إليها ممّا قد بلّغ النبي إيّاها.. وإلّا لكان الدين ناقصاً من هذه الجهة، وحاشا الدين الكامل عن النقص الذي هو بديهيّ البطلان ومخالف لقول ذاته المقدّسة **﴿اَلْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيْناً﴾**(١).

فالحقّ المحقّق هو أنّ الله تعالى قد أتمّ الحجّة البالغة وأكمل النعمة السابغة بنصب أمير المؤمنين ثمّ من بعده أولاده الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم وعلى أُمّهم الصدّيقة الطاهرة وعلى أبيها سيّد العترة الغرر الميامين.. كما تعرفه في الفصل الآتي.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

الفصل الثالث:

في بيان انحصار الإمامة في الهداة الغرر المعصومين الإثني عشر سلام الله عليهم أجمعين

بعد أن ثبت احتياج الخلق إلى الإمام، وثبت كون تعيينه بيد الخالق العلّام، فالحقيقة الحقّة التي لا يعتريها ريب ولا يدانيها شك، هي انّ الذين اصطفاهم الله تعالى للإمامة، واختارهم للخلافة، وعيّنهم للوصاية هم السادة الغرر الأئمة الإثنا عشر الذين أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ثمّ الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام، ثمّ الإمام السجاد عليّ بن الحسين عليه السلام، ثمّ الإمام الباقر محمّد بن عليّ عليه السلام، ثمّ الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، ثمّ الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام، ثمّ الإمام الرضا عليّ بن موسى عليه السلام، ثمّ الإمام الجواد محمّد بن عليّ عليه السلام، ثمّ الإمام الهاديّ عليّ بن محمّد عليه السلام، ثمّ الإمام العسكري الحسن بن عليّ عليه السلام، ثمّ خاتمهم الإمام الثاني عشر والوليّ المنتظر الحجة بن الحسن المهدي صلوات الله عليهم.

وقد دلّ على ذلك الدليل القاطع والبرهان الساطع، كتاباً وسنةً وعقلاً وإعجازاً بالبيان التالي ذكره.

مضافاً إلى قاعدة السنخيّة الثابتة، وملاحظة الحكمة البارعة، ولزوم المسانخة بين

الخليفة والمستخلف، وبين النبي ووصيّه الذي هو قائم مقامه..

فالسنخيّة موجودة في جميع الأشياء، وواضحة في الأمور بلا خفاء، في الأفعال والأقوال وفي كل مجال.

لذلك قال الله تعالى: ﴿**وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ**﴾[1].

وقال عز اسمه: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[2].

وهذه السنخيّة نحسّها بوضوح فيما نشاهدها في حياتنا الطبيعية، والعلاقات البشرية..

ومما لا شك فيه أنّ الذي هو مسانخٌ لرسول الله ﷺ في ذاته وصفاته، وعلمه واخلاقه، وشجاعته ونزاهته، ومكارمه وفضائله، وأخوّته وقرابته هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا غيره.. فهو الذي يليق بوصاية الرسول الأعظم، ويتعين لخلافة النبي الأكرم، ويجدر أن يكون سيد الأمم.

وأما الأدلة الأربعة على إمامة الأئمة المعصومين فهو كما يلي:

١ ـ دليل الكتاب:

وقد دلّت منه آيات بيّنات ودلائل واضحات على إمامة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام والأئمة المعصومين من أولاده الطاهرين، باتفاق الفريقين، نقتطف منها زهرة واحدة بها الكفاية والحجة البالغة وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[3].

وقد اتّفقت الأمّة ولم تختلف منها الكلمة في نزول هذه الآية المباركة في

---

(١) سورة النور، الآية ٢٦.

(٢) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٥.

أمير المؤمنين علي بن إبي طالب أرواحنا فداه.

وهذه الآية الشريفة صريحة في اختصاص الإمامة الكبرى والولاية العظمى بـه صلوات الله عليه.

بيان ذلك: أنّ الوليّ وإن أُطلق في اللغة على المحب والناصر والصديق وغيرها أيضاً من المعاني إلّا أنّ المعنى الشائع المنصرف إليه هو المعنى اللغوي والعـرفي المعهود فيه، وهو مالك الأمر، والأولى بالتصرف، والأحق بـالشيء، والذي يـلي تدبير الأمر، ومنه قولهم: وليّ اليتيم، أي الذي يلي أمره ويقوم بكفايته، ووليّ المرأة: أي الذي يلي عقد النكاح عليها، وولي الدم: أي الذي له حق المطالبة بالقصاص..

وحقيقة الولاية هو معنى تولّي الأمر كما في المفردات[١].

والمولى حقيقة في الأولى كما في العُمدة[٢].

وقال أبوعبيدة معمّر بن المثنّى في كتاب المجاز: «أنّ معنى مولاكم: أولى بكم» كما حكاه في التلخيص[٣].

وقال المبّرد في كتاب العبارة: «أصـل الوليّ الذي هـو أولى أي أحـقّ، ومـثله المولى» كما حكاه عنه في مجمع البيان[٤].

وذكر الزمخشري في الأساس: «أنّ الوليّ بمعنى وليّ الأمر والسيد والمولى»[٥].

ونقل الزبيدي في تاج العروس عن ابن الأعرابي: «أنّ الوليّ هو الذي يلي عليك

---

(١) المفردات للراغب ص ٥٣٣.

(٢) العمدة لابن بطريق ص ٥٥.

(٣) تلخيص الشافي ١٧٧/٢.

(٤) مجمع البيان ٢٠٩/٣.

(٥) أساس البلاغة ص ٦٨٩.

أمرك»[١].

وذكر ابن الأثير في النهاية: «أنه كأنّ الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيه لم ينطلق عليه إسم الوالي، ثمّ تعرّض إلى أنّه قد تكرّر ذكر المولى في الحديث وهو اسم يقع على جماعة كثيرة: الربّ والمالك والسيّد والمُنعِم والمعتِق والناصر والمحبّ والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد ـ أي المعاقد المعاهد ـ والصهر والعبد والمعتَق والمنعَم عليه، ثمّ ذكر الحديث «**من كنت مولاه فعليّ مولاه**» ونصّ بكلامه الآتي: (وقال الشافعي رضي الله عنه: يعني بذلك ولاء الإسلام كقوله تعالى: ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِيْنَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِيْنَ لا مَوْلَى لَهُم**﴾[٢])[٣]».

ونقل ابن منظور في لسان العرب عن الفرّاء: «أنّ الوليّ والمولى واحد في كلام العرب»، ثم قال ما نصّه: «وروى ابن سلام، عن يونس قال: المولى له مواضع في كلام العرب منها: المولى في الدين وهو الوليّ، وذلك قوله تعالى: ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِيْنَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِيْنَ لا مَوْلَى لَهُم**﴾ أي لا وليّ لهم، ومنه قول سيّدنا رسول الله ﷺ: (**من كنت مولاه فعليّ مولاه**) أي من كنت وليّه»[٤].

وقال الصاحب بن عباد في المحيط: «المولى: الوليّ، والله تعالى مولاه أي وليّه»[٥].

ولا يصحّ في الآية المباركة بالنسبة إلى ولاية الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة

---

(١) تاج العروس ١٠/٣٩٩.

(٢) سورة محمّد ﷺ، الآية ١١.

(٣) النهاية ٥/٢٢٨.

(٤) لسان العرب ١٥/٤٠٨.

(٥) المحيط في اللغة ١٠/٣٨٠.

ويؤتون الزكاة وهم راكعون، بل لم يجز شيء من المعاني سوى الولاية بمعنى مالكيّة الأمر، كما أفاده في المجمع[1]، وكما يظهر لك بالتدبّر فيه وسيأتي مزيد تحقيقه.

وإذا تبيّن أنّ المعنى الحقيقي المتعيّن المنصرف إليه المعهود هنا هي الأحقّيّة والأولويّة وولاية الأمر.. قلنا إنّ الآية الشريفة، حصرت هذه الولاية الحقّة بالذوات المقدّسة الثلاثة، الله ورسوله والمتصدّق في ركوعه بكلمة (إنّما) المفيدة للحصر باتّفاق أهل العربية.

وفي مجمع البيان: لفظة إنّما مخصّصة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت، يقول القائل لغيره: انما لك عندي درهم، فيكون مثل أن يقول: إنه ليس لك عندي إلّا درهم، وقالوا: إنّما السخاء حاتم، يريدون نفي السخاء عن غيره والتقدير: إنّما السخاءُ، سخاءُ حاتم[2].

فتنحصر الولاية بمن ذكر في الآية وتنتفي عما عداهم، وتتعيّن في الله ورسوله والمزكّى في ركوعه.

ونفس ذكر ولاية الثلاثة في آيةٍ واحدة في سياق متّصل قرينة ظاهرة على سنخيّة ولاية المزكّى في ركوعه مع ولاية الله ورسوله.

بل إنّ نفس حصر الولاية فيمن ذكر في الآية والإخبار عنها بخبر واحد قرينة قطعيّة على تعيّن معنى الولاية بما يرجع إلي أولويّة الأمر والإمامة والتدبير.

وذلك لأنّ ما تحتمله لفظة (وليّ) من المعاني الأُخرى كالمحبّ والصديق وغيرهما ممّا تقدّم إما لا تناسب المورد، وإمّا لا تنحصر بالله ورسوله والذين يقيمون الصلاة ويعطون الزكاة وهم راكعون فلا يكون وجهٌ لحصرها.

---

(١) مجمع البحرين ص ٩٧ مادّة (ولا).

(٢) مجمع البيان ٢٠٩/٣.

حيث إنّ المؤمنين كلّهم مشتركون في هذه المعاني، وقد عبر الكتاب بذلك في قوله عز اسمه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[١].

وإذا بطل الحمل على تلك المعاني تعيّن الحمل على المعنى الظاهر المسانخ المنصَرف وهي الأولويّة والأحقيّة وولاية الأمر.

وإذا عرفت تعين الآية الشريفة بولاية الأمر ثمّ حصرها فيمن خصّهم الله بالذكر..

قلنا: إنّ الأمّة على اختلافها مجتمعة، وأخبار الخاصّة والعامّة على كثرتها مطبقة على نزولها في أمير المؤمنين ومولى الموحدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عند تصدّقه بخاتمه في حال ركوعه، كما أفاده شيخ الطائفة في التلخيص[٢].

وقد أحصى شيخنا الأميني في كتابه الشريف الغدير[٣]، ستّة وستّين مصدراً من مصادر العامّة ذكرت نزول هذه الآية المحكمة في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ثم اعلم أنّه إنما عبّر عنه عليه السلام في الآية بلفظ الجمع إمّا للتفخيم والتعظيم فانّه يعبر عن الواحد بلفظ الجمع إذا كان معظّماً عالي الذكر نظير قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٤]، كما أفاده شيخ الطائفة في التبيان[٥]، أو لشموله سائر الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، كما أفاده السيّد الشبَّر في حقّ اليقين[٦].

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٢) تلخيص الشافي ١٨/٢.

(٣) الغدير ١٥٦/٣.

(٤) سورة الحجر، الآية ٩.

(٥) التبيان ٥٦٢/٣.

(٦) حق اليقين ١٤٤/١.

ويظهر من بعض الأحاديث الشريفة[١] أنّ المراد به جميع الأئمةعليهم السلام، وأنّهم قد وفّقوا جميعاً لمثل هذه الفضيلة، كما أفاده شيخنا العلّامة المجلسي أعلى الله مقامه[٢].

وأضاف الزمخشري في الكشاف بعد التنصيص على نزولها في علي عليه السلام: «إنما جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله، وليُنبّه على أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان»[٣].

فهذه الآية الكريمة إذاً هي من أوضح الأدلة، وأجلى البراهين على أنّ الإمام والحجّة والوليّ الذي عيّنه الله تعالى هو أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد رُوي هذا من طرق الخاصّة بتسعة عشر حديثاً، ومن طرق العامّة بأربعة وعشرين حديثاً تجدها في غاية المرام لسيدنا البحراني طاب ثراه[٤] وغيره.

وللنموذج نذكر من أحاديث الخاصّةالمفسّرة، حديث العيّاشي بإسناده عن عمّار بن ياسر أنّه قال: وقف لعلي بن أبي طالب سائل وهو راكع في صلاة تطوّع فنزع خاتمه فاعطاه السائل فأتى رسول الله فأعلم بذلك، فنزل على النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٥].. إلى آخر الآية، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله علينا، ثمّ قال:

---

(١) تفسير البرهان ٢٩٣/١.

(٢) بحار الأنوار ٢٠٦/٣٥.

(٣) تفسير الكشاف ٤٢٢/١.

(٤) غاية المرام ص ١٠٣ ـ ١٠٩ الباب ١٨ و١٩، وجاءت في إحقاق الحق ٣٩٩/٢ و٥٠٢/٣ و٦٠/٤ و٢/١٤ و٢/٢٠.

(٥) سورة المائدة، الآية ٥٥.

«من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهم والِ مَن والاه وعادِ من عاداه»[١].

ومن أحاديث العامّة حديث ابن المغازلي بسنده عن ابن عباس في قوله: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾** قال: نزلت في عليّ عليه السلام[٢].

وترى أحاديث أهل بيت العصمة، المتضافرة في بحار الأنوار[٣] وغيرها من كتب الشيعة الأبرار التي تؤكد هذه الحقيقة وهي نزولها في شأن أمير المؤمنين عليه السلام.

هذه زهرة عطرة، وآية زاهرة من رياض آيات الله الباهرة اقتطفناها نموذجاً حيّاً ودليلاً قطعيّاً من أدلة الإمامة..

وآيات الذكر الحكيم في هذا الأصل كثيرة جدّاً تراها في مواردها مذكورة مفصّلة مثل آية الإطاعة، وآية التطهير، وآية الصادقين، وآية إكمال الدين، وآية الشاهد وغيرها من الآيات المباركات، النازلة في شأن خليفة سيد الكائنات صلوات الله عليه وآله المعصومين والمفسرة بالأئمة الطاهرين عليهم سلام الملك الحق المبين؛ ممّا اعترف بها القوم وأحصيت في المجلد الثاني من إحقاق الحق للسيد القاضي التستري أعلى الله مقامه، والمجلّد الثامن من دلائل الصدق للشيخ المظفر طيّب الله رمسه في فصل إمامة عليّ والآل عليهم السلام في القرآن.

وأضاف السيد شرف الدين قدّس الله روحه أنّه تكفي آية التطهير في دليليتها لإمامة أمير المؤمنين عليه السلام بتصديق أهل البيت المعصومين في بيانهم إمامتهم من قِبَل ربّ العالمين[٤].

---

(١) غاية المرام ص ١٠٨ الباب ١٩ ح ١٠.

(٢) غاية المرام ص ١٠٤ الباب ١٨ ح ٥ و٦.

(٣) بحار الأنوار ١٨٣/٣٥ الباب ٤.

(٤) الكلمة الغرّاء ص ٣١٧.

٢ ـ دليل السنّة:

الأحاديث الشريفة الدالّة على إمامة الهداة الإثني عشر أكثر من أن تُحصى، إلّا أنّا نتيّمن بذكر لؤلؤة باهرة من تلك اللئالي الفاخرة، وهي حديث الدعوة الإلهيّة والعزيمة الربانيّة، حديث إكمال الدين وإتمام النعمة، حديث الغدير الأغر، الذي نزل به الكتاب المبين، وتواترت فيه أحاديث النبيّ الأمين.. بأنه ألقى وأجاد رسول الله بخطبته المباركة، وناشد فيه القوم قائلاً:

«ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، ثم أخذ بيد علي عليه السلام ورفعه وقال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصُر من نصره، واخذل من خذله..».

وقد اعترف المؤالف والمخالف حتى الخوارج والنواصب بصحّته وتواتره والتسالم عليه.

ففي نزل الأبرار للبدخشي ما نصّه: «هذا حديث صحيح مشهور ولم يتكلم في صحّته إلّا متعصّب جاحد ولا اعتبار بقوله»[1].

وفي روح المعاني للآلوسي حكى عن الذهبي أنّه قال: «(**من كنت مولاه**) متواتر يُتيّقن أنّ رسول الله قاله»[2].

وفي سرّ العالمين المنسوب إلى الغزالي: «أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خم باتّفاق الجميع وهو يقول: **من كنت مولاه فعلي مولاه**»[3].

وفي المناقب للشافعي: «وهذا الخبر قد تجاوز حدّ التواتر، فلا يوجد خبر قط

---

(١) نزل الأبرار ص ٢١.

(٢) تفسير روح المعاني ٢/٣٥٠.

(٣) سرّ العالمين ص ٩.

نقل من طرق كهذه الطرق»[١].

وقد جاءت نصوص الحديث من طريق الخاصّة في ثلاثة وأربعين حديثاً ومن طريق العامّة في تسعة وثمانين حديثاً تلاحظها بأسنادها ومتونها في غاية المرام وغيرها[٢].

وللنموذج نذكر من طرق الخاصّة، حديث علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«لمّا أمر الله نبيّه أن ينصب أمير المؤمنين للناس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[٣] في عليّ بغدير خم فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فجاءت الأبالسة إلى إبليس الأكبر وحثوا التراب على وجوههم، فقال لهم إبليس: ما لكم؟! قالوا: إنّ هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يحلّها شيء إلى يوم القيامة، فقال لهم إبليس: كلّا! إنّ الذين حوله قد وعدوني فيه عِدة لن يخلفوني، فأنزل الله على رسوله ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾[٤] الآية»[٥].

ومن طرق العامّة حديث أحمد بن حنبل بإسناده قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفره فنزلنا بغدير خم ونودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرة، فصلى الظهر وأخذ بيد عليّ عليه السلام فقال:

---

(١) المناقب لعبد الله الشافعي ص ١٠٨.

(٢) غاية المرام ص ٧٩ ـ ١٠٣ الباب ١٦ و ١٧ وإحقاق الحق ٢/٤٢٦ و٣/٣٢٢ و٦/٢٢٥ و١٦/٥٥٩ و٢١/١.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٤) سورة سبأ، الآية ٢٠.

(٥) غاية المرام ص ٩١ الباب ١٧ ح ٨.

« ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى .
قال : ألستم تعلمون أنّي أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ، وأخذ بيد عليٍّ عليه السلام فقال : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه . قال : فلقيه عمر فقال : هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة »[1] .

وقد أوفى البحث غاية الإيفاء شيخنا العلامة الأميني في موسوعته الغراء الغدير ، فلاحظ استقصاء البحث من حيث الكتاب والسنة والأدب في المجلد الأول منه ، ونحن نشير إلى فَهرَسَة ما فصّل فيه هذا البحث الطيب والحديث المستطاب ، راجعها لمزيد المعرفة :

ففي صفحة ٥ أحصى المحدثين والمؤرخين والمتكلّمين والمفسرين واللغويين الذين ذكروا حديث الغدير .

وفي صفحة ٩ ذكرالمجموعة الكثيرة التي كانت في ركاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حين إلقاء خطبة الغدير وأخذ العهد من الحاضرين وطلب إبلاغه للغائبين . وأقلّ عدد ذكر في إحصاء الحاضرين هو تسعون ألف شخص .

وفي صفحة ١٤ ذكر رواة حديث الغدير من الصحابة مئة وعشر صحابياً ، مع ذكر تواتر جميع الطبقات في القرون الأربعة عشر .

وفي صفحة ٦٢ ذكر رواة حديث الغدير من التابعين وهم أربعة وثمانين تابعيّاً .

وفي صفحة ٧٣ ذكر طبقات رواة حديث الغدير من أئمة الحديث وحفّاظه وهم ثلاث مئة وستين نسمة .

وفي صفحة ١٥٢ ذكر المؤلفين في حديث الغدير وهم ستة وعشرون مؤلّفاً .

---

(١) غاية المرام ص ٧٩ الباب ١٦ ح ١ .

وفي صفحة ٢١٤ ذكر نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[١] في عليٍّ عليه السلام نقلاً عن ثلاثين مصدراً من مصادر العامّة مضافاً إلى مصادر الخاصة المتواترة.

وفي صفحة ٢٣٠ ذكر نزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[٢] يوم الغدير بعد نصب عليٍّ أمير المؤمنين نقلاً عن ستة عشر مصدراً من مصادر العامّة.

وفي صفحة ٢٣٩ ذكر نزول قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[٣] في الحارث بن النعمان الفهري حينما ردّ على النبي صلى الله عليه وآله نصبه عليّاً أميراً، نقلاً عن ثلاثين مصدراً من مصادر العامّة.

وفي صفحة ٢٩٤ تعرّض إلى بيان سند هذا الحديث المتواتر واستغناؤه عن الإثبات.

وفي صفحة ٣٤٠ تطرّق إلى بيان دلالته القطعيّة على إمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالقرائن المتصلة والمنفصلة العشرين المعيّنة للأولويّة مضافاً إلى حقيقة معنى الأولوية للولي..

ويحسن مراجعة تلك القرائن الصريحة التي كان يلزم ذكرها هنا لولا طلب الإختصار.

ثمّ إنّه تلاحظ أخبار الغدير ونصوصه الجليلة المائة وخمسة بمسالك الإستدلال السبعة في بحار الأنوار[٤] مما لا يبقى معها مجالٌ لأدنى شك وأقل ريب في هذه الحقيقة التي هي أظهر من الشمس وأبين من الأمس.. بعد كلماتهم الدرّية، وبعد

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) سورة المعارج، الآية ١ ـ ٣.

(٤) بحار الأنوار ج ٣٧.

اعتراف جميع البريّة من المؤالف والمخالف.

وهذا الحديث الشريف كافٍ في الإستدلال مع أن بجنبه الأحاديث القطعيّة المتواترة الأُخرى المتّفق عليها بين الفريقين كحديث الثقلين، وحديث المنزلة، وحديث المواساة، وحديث السفينة، وحديث الأمان، وحديث العشيرة وغيرها ممّا تلاحظها من الطريقين في غاية المرام، وإحقاق الحق، ودلائل الصدق ومجلدات الإمامة من بحار الأنوار.

ممّا يحصل معها القطع واليقين بانحصار الامامة في أهل البيت الطيّبين صلوات الله عليهم أجمعين.

مضافاً إلى آية إطاعة أولي الأمر النازلة في علي وأولاده المعصومين عليهم السلام في أحاديث الخاصة والعامة كما تلاحظها في غاية المرام[1].

مع التنصيصات على إمامة الأئمة الإثني عشر التي تلاحظها في الارشاد للشيخ المفيد، وإثبات الهداة للحر العاملي بل أسنده أحمد بن حنبل عن ابن عمر في أربعة وثلاثين طريقاً[2] وتلاحظ نصوصها في فرائد السمطين[3].

هذا من جهةٍ.. ومن جهةٍ أُخرى لم يكن ولم يمكن لأحد من شيوخ المخالفين إقامة نصٍّ واحد يذكر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيّنهم لإمامةٍ أو خلافةٍ أو وصاية..

وعمدة ما استدلّوا به على خلافة أبي بكر هو دعوى إجماع أهل الحلّ والعقد.. لكنّه باطل من وجوه ثمانية:

الأوّل: انّه لو كانت مشروعية الخلافة منوطةً بهذا الدليل فلماذا لم يكن إجماع

---

(١) غاية المرام ص ٢٦٣ ـ ٢٦٨ الباب ٥٨ و ٥٩.

(٢) إثبات الهداة ٧٠٦/١.

(٣) فرائد السمطين ٢١٣/٢.

أهل الحل والعقد في خلافة عمر وعثمان أيضاً.

الثاني: انّ الخلافة والإمامة والوصاية هي من الأمور الانتصابيّة كما عرفت، لا من الأمور الإنتخابية حتى تتحقّق بانتخاب أهل الحلّ والعقد.

الثالث: انّ اللازم على دعواهم أن يكون أبوبكر خليفة الناس لاخليفة رسول الله ﷺ كما يدّعونه، فنسأل أنه: أيّ حجّة للناس في اتّباع من اختاروه هم بأنفسهم خليفة؟ وهل يصير بانتخابهم خليفة للرسول؟!

الرابع: فرضنا حصول الإجماع بحسب دعواهم لكن نقول: إنّ من البديهي كون الإجماع على بيعة أبي بكر في كافّة بلاد المسلمين لم يحصل دفعةً واحدة.. بل لابدّ وأنّه بدأ بالآحاد الذين التفّوا حوله ثمّ تدرّج شيئاً فشيئاً إلى البلدان أطراف المدينة، فنورد بأنّه أيّ شيء كان دليلاً ومجوّزاً للطائفة الأولى في إقدامهم على تلك البيعة قبل حصول إجماع مسلمي البلدان أو أهل الحل والعقد منهم؟! فأي كتاب وأيّة سنّةٍ جوّزت لهم ذلك؟!

الخامس: فرضنا تحقق الإجماع على بيعة أبي بكر وانتخابه.. لكن نطالب بالدليل على حجيّة هذا الإجماع؟

لابدّ وأنّهم يدعون كون دليل اعتباره هو ما نسبوه إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله من أنّه قال: «**ماكان الله ليجمع امّتي على ضلال**».

لكن غير خفيٍّ إنّ هذا القول موضوع مجعول مختلق، ويشهد على ذلك ما يلي:

١ ـ إنّه قد دفع صحّته جماعة من أهل النظر والإعتبار من نفس المخالفين وانكره إمام المعتزلة وشيخها إبراهيم بن سيّار النظّام، كما حكاه الشيخ المفيد في الإفصاح[1].

---

(١) الافصاح ص ٤٧.

٢ ـ إنّ عدم اجتماع الأُمّة على الضلال لا يصحّ اطلاقاً، بل يندفع قطعاً بالأخبار الصحيحة المنقولة من الفريقين مثل:

أ) قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، و ذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جُحر ضبٍّ لا تّبعتموهم. فقالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟! قال: فمن إذاً؟»[(١)].

ب) قوله صلوات الله وسلامه عليه وآله في حجّة الوداع لأصحابه:

«ألا لأعرفنّكم ترتدّون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إنّي قد شهدت وغبتم»[(٢)].

ج) قوله عليه وآله الصلاة والسلام:

«إنّكم محشورون إلى الله تعالى يوم القيامة حفاة عراة، وإنّه سيُجاء برجال من اُمّتي فيُؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ! أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنّهم لا يزالون مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم»[(٣)].

وغيرها من الأخبار التي تصرّح بارتداد الأُمة وكفر بعضهم وضلالتهم، فكيف لا يجتمعون على ضلال؟

وتلاحظها مفصلة في أخبار الخاصة الواردة في باب افتراق الأمة وارتدادهم عن الدين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب البحار[(٤)].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥١١/٢.

(٢) صحيح البخاري ١٨٢/٧.

(٣) صحيح مسلم ٥٨/٤.

(٤) بحار الأنوار ٢/٢٨ الباب ١ الأحاديث.

وهذه الأخبار الحجّة عندهم تدفع أيضاً ما افتري على رسول الله ﷺ انّه قال: **« أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم »**.

فكيفِ يُهتدى بهم وفيهم مَن صار من أصحاب الشمال، وارتدّ ارتداد كفر؟!

٣ـ تدفعه أيضاً إخبار الله تعالى عن ردّة الأمّة بعد نبيّها في صريح قوله عزّ اسمه: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾**[1].

أي ارتددتم كفّاراً بعد إيمانكم، فسميّ الإرتداد انقلاباً على العقب وهو الرجوع القهقرى لأنّ الردّة خروج إلى أقبح الأديان كما أنّ الإنقلاب خروج إلى اقبح ما يكون مِن المشي كما أفاده في مجمع البيان[2].

ولايخفى أنّ الإستفهام في المقام إنكاري متضمن للإخبار كما صرح به في مجمع البيان، ويستفاد أيضاً من حديث ابن أبي المقدام في البرهان[3].

السادس: انّه كيف تحقق الإجماع مع إنكار صفوة المسلمين وأرحام الرسول الأمين يعني بني هاشم، ومخالفة الأنصار، وخلاف وجوه الأصحاب كسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص، وحذيفة بن اليمان، وأُبيّ بن كعب، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأخيه عثمان بن حنيف، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبي أيّوب الأنصاري، وقيس بن سعد بن عبادة، وغيرهم مع عدم حضور الجمع الكثير والجمّ الغفير من المهاجرين

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٢) مجمع البيان ٥١٤/٢.

(٣) تفسير البرهان ١٩٧/١.

والأنصار الذين كانوا قد خرجوا مع جيش أُسامة.. خصوصاً مع قول ابن سعد في كتاب الطبقات أنّه لم يبق أحدٌ من وجوه المهاجرين الأوّلين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة[١].

فكيف يتحقق الإجماع مع مخالفة هؤلاء وإنكارهم أو عدم حضورهم..

مع أنّ الإجماع عند اكثر متقدّميهم كالقاضي عبد الجبّار المعتزلي وإمام الحرمين الجويني وأبي حامد الغزالي، هو اتفاق أُمة محمّد ﷺ، كما حكاه في حق اليقين[٢].

السابع: انّه ليس فقط لم يتحقق إجماع الأمّة بل لم يتحقق اختيار أهل الحل والعقد، بل لم يكن التعيين إلّا من الجماعة التي حضرت السقيفة، ثمّ أخذت البيعة من الناس لأبي بكر بالقهر والغلبة، والسوط والسيف.. مع تهديد «من لم يبايع ضربتُ عنقه» فهل هذا هو الإجماع ؟!

الثامن: أنّه حتى نفس شيخ السقيفة الذي حمل السيف وأخذ البيعة اعترف بعدم الإجماع في بيعة أبي بكر ووقوعها فلتة[٣]، في قوله: «كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه»، كما اعترف به جمع من أكابرهم كالبخاري في صحيحه، وأحمد في مسنده، والطبري في تاريخه، وابن الأثير في كامله، وابن هشام في سيرته، وابن أبي الحديد في شرحه[٤].

فالحقيقة المكشوفة أن شيخ السقيفة وأعوانه هم الذين عيّنوا في مقابل الله خليفةً لرسول الله وجعلوا الخلافة فيمن اعترف هو بنفسه بعدم لياقته في قوله: «أقيلوني،

---

(١) أعيان الشيعة ٣٤٦/١.

(٢) حق اليقين ١٤٢/١.

(٣) الفلتة: هي الأمر الفجأة من غير تدبر ولا رويّة.

(٤) صحيح البخاري ٤٤/١٠ ومسند أحمد ٥٥/١ وتاريخ الطبري ٢٠٠/٣ وتاريخ ابن الأثير ١٣٥/٢ وسيرة ابن هشام ٣٣٨/٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٦/٢.

أقيلوني لست بخيركم وعليٌّ فيكم» كما صرَّح به ابن حجر في الصواعق، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة، والطبري في الرياض، والمتقي في الكنز[١].

وعلى الجملة؛ لم يكن أيّ دليل ولو بعنوان جزئي على أدنى استحقاق في تصدّي الخلافة ممّن تصدّاها ظلماً، مضافاً إلى أنّه لا مجال لها أساساً بصريح قوله تعالى: ﴿**لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِيْنَ**﴾[٢] فليست هذه الخلافة من الله في شيء.. ولا من رسول الله في موضع.. ولم يرض بها الخليفة الحق، وأهل بيت العصمة، بل استنكروها أبلغ إنكار عند وفاة الرسول وبعد الوفاة ويوم الشورى وأيّام عثمان ويوم الرُحبة ويوم صفين ويوم الجمل وغيرها ممّا تلاحظها مع احتجاج بني عليّ وبني هاشم والأصحاب، بأحاديث الفريقين في كتاب الغدير[٣]، وبأحاديثنا في كتاب الإحتجاج[٤]، ويكفيك في ذلك خطبته الشقشقية المعروفة[٥].

٣ ـ دليل العقل

العقل يحكم بقبح تقديم المفضول، ولزوم تقديم الأفضل، حتى لا يلزم خفضٌ وانحطاط لمرتبة الفضل والفضيلة والسداد..

ومن الواضح عدم استواء مرتبة من يعلم ومن لا يعلم، وأنّ العقل حاكم بتقديم الأعلم..

ومعلومٌ أنّ الأفضل والأعلم واللائق للإمامة بحكم العقل والعقلاء وباعتراف

(١) الصواعق المحرقة ص ٣٠ والإمامة والسياسة ص ١٤ والرياض النضرة ١٧٥/١ وكنز العمال ١٣٢/٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٣) الغدير ١٥٩/١.

(٤) الإحتجاج ١٥٧/١.

(٥) نهج البلاغة ص ٢٥ من الطبعة المصرية، الخطبة ٣.

الخصماء هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

سُئل الخليل بن أحمد الفراهيدي: ما الدليل على أنّ علياً إمام الكلّ في الكلّ؟ فأجاب: لإحتياج الكلّ إليه، واستغنائه عن الكل[1].

وهذه الأفضليّة ثابتة لجميع الأئمة من أهل البيت فإنهم ورثوا العلم من رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يأخذوا العلم من أحد، ولم يحتاجوا إلى أحد، وفاقوا جميع الخلق وكانوا أفضل الخليقة فيحكم العقل بتقديمهم ولزوم إمامتهم.. بالإضافة إلى النصوص المستفيضة في إمامتهم.

وقد استقصى العلم العلّامة أعلى الله مقامه، الأدلة العقليّة على إمامة أمير المؤمنين في كتاب الألفين، فلاحظ.

٤ ـ دليل الإعجاز

كما كانت المعاجز من أدلّة صدق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن قبله من الأنبياء والمرسلين، كذلك تكون من أدلّة إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

فإنّهم سلام الله عليهم أخبروا بإمامتهم ووصايتهم عن الله تعالى مقروناً بمعاجزهم الساطعة وآياتهم اللامعة التي هي شواهد قطعيّة، ودلائل وجدانية على صدق كلامهم، وصحّة إمامتهم، وحقيقة انتصابهم من قبل ربّهم.. وإلّا لم يكونوا قادرين على إتيان ما لم يقدر عليه إلّا ربّ العالمين.. ولما كانوا مؤيّدين بالآيات التي تكشف عن كونها من آيات الحق المبين.

وقد جمعت تلك المعجزات الباهرات في الأجزاء الثلاثة من كتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للمحدث الحرّ العاملي، وكتاب مدينة المعاجز للسيد

---

(١) تنقيح المقال ١/٤٠٣.

البحراني، وكتاب الثاقب في المناقب للفقيه ابن حمزة الطوسي، والمجلد الحادي والأربعين والثاني والأربعين من بحار الأنوار لشيخ الأسلام المجلسي..

ونحن نختار منها ونتشرف عندها بالإشارة الموجزة إلى بعض معجزات سيد العترة وأبي الأئمة سيد الوصيين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعلى أبنائه الكرام..

من ذلك ما ظهر حين ولادته في الكعبة المعظمة حيث سجد على الأرض وهو يقول:

«أشهد أن لا اله الا الله وأن محمَّداً رسول الله وأشهد أن علياً وصيَّ محمّد رسول الله وبمحمّدٍ يختم الله النبوة، وبي يُتِمُّ الوصية وأنا أميرالمؤمنين».

ثم حينما خرج من الكعبة المشرفة وأخذه والده أبوطالب عليه السلام ثم أخذ بيد أمّه فاطمة بنت أسد عليها السلام وخرج إلى الأبطح ألقي إلى أبي طالب عليه السلام لوح أخضر مكتوب فيه هذان البيتان:

خُصِّصتُما بالوَلَد الزكيِّ ... والطاهر المنتجب الوصيِّ

فاسمُهُ من شامخٍ عليٍّ ... عَليٌّ اشتُقَّ مِنَ العليِّ

ومن ذلك مَظهر الأعجاز في نفس بدنه المقّدس بما منحه الله تعالى من القوّة الإلهية والقدرة الربّانية.. ويكفي في ذلك ما ظهر منه في يوم خيبر حيث ضَرَب عليه السلام بسيفه مرحَب على رأسه بما فيها العمامة والخوذة وما عليه من الجوشن والحِلَق من قُدّام وخلف حتى قدّها بنصفين تماماً..

ثم حمل بعده على اليهود فانهزموا إلى حصن قموص، وأغلقوا على أنفسهم الباب، فتقدّم عليّ عليه السلام إلى باب الحصن وهزّ الباب فارتعد الحصن حتى ظنّوا وقوع زلزلةٍ، ثم هزّه أُخرى فقَلَعه ورمى به في الهواء أربعين ذراعاً، ثم حمله واقتحم

الحصن، وتترّس بالباب وضارَبَ الأقران حتى غلب عليهم.. ثم جَعلَه جسراً على الخندق الذي كان قد حفره اليهود فعبر عليه عسكر المسلمين وكانوا ثمانية آلاف وسبع مئة رجل، وحيث كان طول ذلك الباب أقل من عَرض الخندق جَعَل علي عليه السلام أحد جانبي الباب على حافّة الخندق والجانب الآخر على يده ليعبر عليه المسلمون إلى الحصن..

فقال أحد الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما عجبنا يا رسول الله من قوّته في حمله ورميه وإتراسه وإنما عجبنا من جعله جسراً وإحدى طرفيه على يده. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا هذا! نظرتَ إلى يده، فانظُر إلى رجليه.. فوجدتُهما معلقتين في الهواء.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ليستا على الهواء، وانما هما على جناحَي جبرئيل.

علماً بأن ذلك الباب كان أربعة أذرع في خمسة أشبار في أربع أصابع عمقاً حَجَراً صلداً، وكان لا يقدر على غلقه إلا عشرون رجلاً منهم.

ومن ذلك ما ظهر من إعجازه في الأشياء مثل:

آيته في إحياء الموتى كشمعون بن حمّون وصيّ عيسى بن مريم وتسليمه على الإمام علي عليه السلام في صفّين بقوله الذي سمعَه الأصحاب: «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، مرحباً بوصيّ خاتم النبيين، وقائد الغر المحجّلين، والعالم المؤمن، والفاضل الفائق، ميراث الصديقين، وسيد الوصيين».

وكذلك إحياؤه بإذن الله تعالى امرأةً قُتلت في محبّته تسمى أم فروة، فذهب عليه السلام إلى قبرها وقال: «يا أمة الله! قومي باذن الله تعالى» فخرجت أم فروة من القبر ورُدّت إلى زوجها ووَلدت بعد ذلك غلامين، وعاشت إلى ما بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بستة أشهر..

وكذلك تكلّمه مع جُمجمةِ ميتٍ في أرض بابل وسؤاله منها: من أنت؟ فأجابت:

أنا فلان بن فلان ملك بلد فلان.. وقَصَّت خبرها.

ثم إعجازه في الثمار والأشجار حيث مدَّ يدَه إلى أسطوانة المسجد، ودعا ربَّه، فخرج منها غصن فيها أربع رمّانات، فدفع إلى الحسن عليه السلام اثنتين، وإلى الحسين عليه السلام اثنتين وقال: هذه من ثمار الجنة، فقال بعض الأصحاب: يا أمير المؤمنين! أوَ تقدر عليها؟

فقال عليه السلام: أولستُ قسيم الجنة والنار بين أمة محمد صلى الله عليه وآله؟

ومرةً أُخرى ضرب بيده الشريفة إلى أصل شجرةٍ يابسة وقع لحاؤها، وبقي عودها، وقال: «ارجعي بإذن الله خضراء ذات ثمر» فاذا هي تهتزّ بأغصانها وأخرجت حمل الكمثرى، فقطع منها الأصحاب وأكلوا منها، وحملوا معهم ثمرها.

وأقبل إليه وهو يخطب يوم الجمعة على منبر مسجد الكوفة ثعبانٌ عظيم من باب المسجد يهوي نحو المنبر، حتى صعد المنبر وتطاوَلَ إلى أُذُنِ أمير المؤمنين عليه السلام فأصغى عليه السلام إليه ثم أقبل عليه يُسارّه ملياً في جواب سؤال الثعبان ثم مضى.

وفي جبّانة بني أسد أقبل أسدٌ يهوي إلى علي عليه السلام حتى قام بين يديه، فوضع علي عليه السلام يده بين أُذنَي الأسد وقال: «إرجع بإذن الله تعالى، ولا تدخل في دار هجرة بعد اليوم وبلّغ ذلك السباع عنّي»، فرجع.

وقد رُدّت له الشمس مرّتين في حياة النبي صلى الله عليه وآله مرةً، وبعد وفاته أُخرى.

ومن إعجازه أنّه لما دخل إلى صفّين ونزل بقرية صندوداء ثم سارَ عنها إلى أرض بلقع، قال له مالك الأشتر: يا أمير المؤمنين! أَتُنزِل الناس على غير ماء؟ فقال عليه السلام: يا مالك! إن الله عز وجل سيسقينا في هذا المكان ماءً أعذب من الشَهد، وألين من الزبَد، وأبرد من الثلج، وأصفى من الياقوت.. ثم وقف على أرضٍ وأمر بحفرها فخرجت صخرةٌ سوداء عظيمة، فيها حلقة تبرق كاللجين.. فقال لهم: روموها،

فراموها بأجمعهم وهم مئة رجل فلم يستطيعوا أن يزيلوها عن موضعها..

فدنا هو عليه السلام ودعا الله تعالى ثم اجتذبها ورماها أربعين ذراعاً فظهر لهم ماء بالوصف الذي وَصَفه، فشربوا وسقوا، ثم ردّ الصخرة وأمَرَ بحثّ التراب عليها، وكانت (عين راحوما) من عيون الجنة كما فصّل حديثه في ثاقب المناقب.

ومنها إخباراته عن الغيب في مواضع كثيرة كإخباره حبيب بن جمّاز بحمله رأس الإمام الحسين عليه السلام ودخوله إلى مسجد الكوفة من باب الفيل، وكذا إخباره بحديث رشيد الهجري، وكيفية شهادة ميثم التمار، وواقعة كربلاء، وموضع القتال، ومصارع الرجال، فكان كما أخبر.

ومنها أنّه هتف به يوماً هاتف غيبيّ: يا أمير المؤمنين! خُذ ما عن يمينك، فإذا منديل فيه قميص ملفوف، فأخَذَ عليه السلام القميص ولبسه، فسقطت من جيبه رقعة مكتوبٌ فيها: بسم الله الرحمن الرحيم هدية من الله العزيز الحكيم إلى علي بن أبي طالب، هذا قميص هارون بن عمران ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾[1].

وأصاب البقيع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله رجفة تعدّت إلى حيطان المدينة وعزم أهل المدينة على الخروج منها، فتوسّط عليه السلام البقيع، وضَرَبَ برجلِه الأرض فسكنت.

وقال له بعض أصحابه في مسجد الكوفة: بأبي أنت وأمّي! إنّي لأتعجّب من هذه الدنيا التي في أيدي هؤلاء القوم وليست عندكم، فقال عليه السلام: أترى أنّا نريد الدنيا ولا نُعطاها؟ ثم قبض قبضةً من الحصى فقال: ما هذا؟ قال صاحبه: هذا من أجود الجواهر. فقال عليه السلام: لو أردنا هذا لكان، لكنّا لم نُرد، ثم رمى الحصى فعاد كما كان.

ومنها تسليم الذئب عليه وشهادته بإمارته حينما لاقاه في بعض طرق المدينة، فجَعَل الذئب يُعفّر خدّيه على الأرض أمامَه ويومي بيده إلى علي عليه السلام ثم قال

---

(١) سورة الدخان، الآية ٢٨.

علي عليه السلام: اللهم أَطلِق لسان الذئب فيكلِّمني، فأطلق الله لسان الذئب فإذا هو بلسانٍ طلقٍ ذلقٍ يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين.. إلى آخر الكلام.

ومنها إعجازه حين شكاية أهل الكوفة زيادة الفرات وفَيَضان الماء، فضرب عليه السلام الماء بقضيبه وهو قضيب رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل الماء.

ومنها أنّه تكلّم في أُذن زاذان بكلامٍ وألقى ماء فمه المبارك في فيه، فما زالت قدم زاذان من عنده إلا وهو حافظ للقرآن بإعرابه.

ومنها أنه نزل عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت فاطمة عليها السلام ماء وضوئه في إبريقٍ من الجنة يقطر ماؤه كالجُمان.. وهاتفٌ يهتف به: يا علي! دونَك الماء.. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي! تَدري مَن الهاتف، ومن أين كان الأبريق ؟

فقال علي عليه السلام: الله ورسوله أعلم.

فقال صلى الله عليه وآله: أما الهاتف فحبيبي جبرئيل عليه السلام، وأما الإبريق فمن الجنة، وأما الماء فثُلثٌ من المشرق، وثُلثٌ من المغرب، وثُلثٌ من الجنة. فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: يا رسول الله! الله يقرؤك السلام، ويقول لك: أَقْرِئ علياً السلام منّي.

.. إلى غير ذلك من الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات التي هي أكثر من أن تحصى في هذا الكتاب، وكذلك معاجز سائر المعصومين التي لا يحصرها هذا الخطاب، وقد اقتصرنا على هذا القليل مخافة التطويل.

وعلى الجملة؛ فأدلّة الكتاب والسنة والعقل والإعجاز واضحة الدلالة على إمامة الحجج الطاهرة سلام الله عليهم أجمعين.

الفصل الرابع:

شرائط وخصوصيات
الإمام والإمامة

درجة عالية كإمامة الدين، ومنصب ربّاني كخلافة رسول ربّ العالمين، بديهيّ أن تكون لها شرائط وقيود وخصوصيّات، يلزم توفرها لتحرز اللياقة معها.. وإلّا لكان كلّ أحد نائلاً لكل منصب، وهو خلاف السداد بل معقّب للفساد..

بل دلّ الشرع المبين أنّ عهد الله لاينال الظالمين وبين أنّه **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[1] فخليفة الله والإمام المعهود من الله لابدّ وأن يكون من المعصومين، كما عرفت ذلك من الكتاب والسنة والعقل في مبحث عصمة الأنبياء عليهم السلام.

فالعصمة والأعلمية والإفضليّة ونحوها من الشرائط الآتية لابدّ وأن تكون شرطاً في الإمامة كما يأتي في دليل العصمة في هذا الفصل، ودلّ عليها برهان الأفضلية المتقدّم في الفصل الأوّل، بل يدعو إليها وحي الفطرة القاضية بتقدّم الأفضل وتقديمه.

ومعلوم أن تلك الخصوصيات والشرائط انّما هي متوفّرة بالنحو الأعلى في أئمة الهدى عليهم السلام، بنحوٍ قطعي، معترف به عند صديقهم وعدوّهم، لم ينكر ذلك فيهم ألدّ

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٩.

أعدائهم بشكل صار من الأمور الواضحة التي لا يحتاج إلى إقامة الأدلّة.

ثمّ إنّه قد ذكر السيد الشبر في حق اليقين[1] انّ مجموع مايشترط في الإمام أمورهي:

أولاً: العصمة.. لأن الإمام حافظ للشرع فحاله حال النبي ويلزم عصمته.

ثانياً: الأفضلية من جميع الأمة في جميع الجهات خصوصاً العلم حتى لا يلزم تقديم المفضول على الفاضل المحكوم بالقبح العقلي.

ثالثاً: أن يكون منصوصاً على إمامته لما عرفت من كون تعيين الإمام بيدالله تعالى.

رابعاً: أن يكون هاشمياً لما ثبت من كون الأئمة منهم.

خامساً: العلم بجميع ما تحتاج إليه الأُمّة من أُمور الدين والدنيا لأن الغرض من وجود الإمام لا يحصل بدون وجود ذلك.

سادساً: كونه أشجع الأُمّة لدفع الفتن واستئصال أهل الباطل، ونصرة الحق، ولأن جبن الرئيس يستلزم ضرراً جسيماً ووهناً عظيماً للرعيّة.

سابعاً: أن يكون مبرّءاً من جميع العيوب الخَلقِيَّة الموجبة للنفرة، كالعمى والجذام والبرص، ومن جميع العيوب الخُلقية، كالبُخل والحرص وسوء الخلق، ومن دناءة النسب والتولد من الزنا.. وذلك لمنافاتها مع اللطف، بل منافاة بعضها مع العصمة.

ثامناً: أن يكون أزهد الناس وأورعهم وأطوعهم لله تعالى وأقربهم منه، وأفضلهم في صفات الكمال لئلّا يلزم من تقديمه تقديم المفضول القبيح عقلاً.

تاسعاً: أن يكون صاحب المعاجز التي يعجز عنها البريّة وتكون آية للمنزلته الربانية ودليلاً على إمامته وشاهداً على منصبه.. فيحكم العقل بعد معجزته بصحة إمامته.

---

(١) حق اليقين ١/١٤٠.

عاشراً: أن تكون إمامته عامّة للجميع لا خاصّة بفئة لئلّا يظهر الفساد في سائر الفئات.

وتلاحظ الجامع من صفات الإمام وشرائط الإمام في المجلّد الخامس والعشرين من بحار الأنوار على مؤلفها رحمة الله الغفّار، في أبواب علامات الإمام وصفاته وشرائطه، صفحة ١١٥ إلى ١٧٥، ذكر فيها اشتراط كون الإمام أعلم الناس وأتقاهم وأعرفهم بكتاب الله، منصوصاً عليه معصوماً، له المعجز والدليل.. إلى غير ذلك من الخصوصيّات.

ونحن قد ذكرنا هذه الخصوصيات بالتفصيل في شرح نصوص زيارتهم الجامعة لفضائلهم، ونكتفي هنا رعاية للاختصار بذكر الخصوصية والشرط الأوّل للإمامة وهي العصمة فقط، وبها كمال الميزة، وأتمّ الإمتياز لمنصب الإمامة عن غيرها، ولشخص الإمام عن غيره، ومنه نطلب العون والإعانة.

العصمة

من أهمّ الشروط والمميّزات التي يلزم وجودها في الإمام والخليفة، كما كان يلزم توفرها في النبيّ والرسول، هي ملكة العصمة.

وهي الصفة الأساسيّة الضروريّة التي يحكم بلزومها البرهان، ويؤكدها الوجدان..

فلنذكر دليل اعتبارها كبرويّاً، ثم دليل وجودها في أئمتنا الهداة عليهم السلام صغرويّاً بعد بيان معناها وحقيقتها تفصيلاً بعد الأيجاز، فنقول:

العصمة في أصل اللغة بمعنى الوقاية والمنع والدفع والحفظ والحماية.

قال في العين[1]: «العصمة: أن يعصمك الله من الشرّ، أي يدفع عنك».

وقال في مجمع البحرين[2]: «عصمة الله للعبد، منعه عن المعصية، وعَصَمه الله من المكروه: حفظه ووقاه.. والمعصوم: الممتنع عن محارم الله».

وقال في المفردات[3]: «عصمة الأنبياء: حفظه ـ أي حفظ الله ـ إيّاهم بما خصّهم به».

وقال في لسان العرب[4]: «العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمَة الله عبدَه: أن يعصمه ممّا يوبقه.. عصمه يعصمه عَصْماً: منعه و وقاه».

---

(١) العين ١/٣١٣.

(٢) مجمع البحرين، مادّة (عصم).

(٣) المفردات للراغب ص ٣٣٧.

(٤) لسان العرب ١٢/٤٠٣.

وقال في النهاية[١]: «العصمة: المَنَعَة، والعاصِم: المانع الحامي».

وقال في القاموس[٢]: «عَصَم يَعصِمُ: مَنَع و وقى».

وقال في تاج العروس[٣]: «العصمة بالكسر: المنع.. وقال الزجّاج: أصل العصمة الحبل، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه.. وقال المناوي: العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكّن منها».

وقال في المصباح المنير[٤]: «عصمه الله من المكروه يعصمه من باب ضرب: حفظه و وقاه، واعتصمت بالله: امتنعت به».

والعصمة في الإصطلاح العلمي هي: «قوّة العقل بحيث لا يُغلب مع كونه قادراً على المعاصي كلها».

وليس معنى العصمة أنّ الله تعالى يجبره على ترك المعصية،بل يفعل به ألطافاً يترك المعصوم معها المعصية باختياره.. بواسطة قوّة عقله وكمال فطنته وذكائه ونهاية صفاء نفسه، وشدّة اعتنائه بطاعة الله تعالى كما أفاده السيّد الشبر قدّس سرّه[٥].

وبتعبير آخر في تعريف العصمة أنّها هي: «روحيّة قدسيّة مانعة عن مخالفة التكاليف اللزومية شرعية وعقليّة مع القدرة عليها» كما أفاده في الأنوار[٦].

وبالتعبير المنصوص على هفي حديث هشام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى

---

(١) النهاية الأثيرية ٢٤٩/٣.

(٢) القاموس المحيط ١٥١/٤.

(٣) تاج العروس ٣٩٩/٨.

(٤) المصباح المنير، مادّة (عصم).

(٥) حق اليقين ٩٠/١.

(٦) أنوار الهداية ص ٥٦.

قولكم إنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً؟ فقال عليه السلام:

«المعصوم هو الممتنع بالله عن جميع محارم الله»[1].

هذا معنى العصمة.. وأمّا برهان اشتراطها في الإمامة واعتبارها في الأئمّة فهو ما يأتي في الدليل العقلي، فانّ العقل حاكم بأنّ أهل البيت عليهم السلام معصومون مطهّرون، قد ثبتت عصمتهم الكبرى بالأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

ولعلّ من المستحسن أن نقول بدواً أن العصمة ملكة لها مراتبها العالية الثلاثة كما يستفاد من مجموع أدلة العصمة والمعصومين وهي:

١ ـ **العصمة الثبوتية**: وهي ترك المعاصي وفعل الواجبات استمراراً وعدم مفارقة طريق العدل والطاعة أبداً، وعدم السلوك في طريق القبيح والمعصية إطلاقاً، كما هي موجودة في الذريّة الخاصة للمعصومين عليهم السلام.. ويأتي ذكرها في آخر البحث.

٢ ـ **العصمة الإثباتية**: وهي الروحية القدسية الموجودة في الممتنِع بالله عن جميع محارم الله.. مع إمكان ترك الأولى فيها وعدم منافاته للعصمة، وتكون في الأنبياء الكرام غير أولي العزم منهم، وقد مر بحثها في النبوّة.

٣ ـ **العصمة الكبرى**: وهي نفس العصمة الإثباتية.. مضافاً إلى عدم ترك الأولى وعدم السهو، وعدم الخطأ فيها.. وتكون في المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام..

وهذه العصمة هي عنوان بحثنا هنا في مبحث الإمامة..

وعصمتهم كما قلنا ثابتة بدليل الكتاب والسنة والإجماع والعقل بالبيان التالي:

دليل الكتاب:

أمّا دليل الكتاب على عصمة أهل البيت عليهم السلام، فآيات كثيرة نختار منها آية واحدة

---

(١) معاني الأخبار ص ١٣٢ ح ٢ ومشكاة الأنوار ص ١٦٣.

وهي آية التطهير أي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١].

ولا شبهة في نزول هذه الآية الكريمة في أهل بيت النبي الخمسة الطيّبين باتفاق جميع الأمة المسلمين كما في مجمع البيان[٢].

وقد أجمع عليه المفسرون، كما في دلائل الصدق[٣].

وأما نزولها واختصاصها بأهل البيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصدّيقة الزهراء والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام، فقد نقله من علماء العامة فقط تسعون عالماً في مئة كتاب، كما في إحقاق الحق[٤].

وقد تواترت فيها رواياتالفريقين بطرق عديدة في أحاديث كثيرة، فمن الخاصّة بأربعة وثلاثين طريقاً، ومن العامّة بواحدٍ وأربعين طريقاً تلاحظها في غاية المرام[٥].

فمن طرق الخاصة، مثل حديث ابن بابويه بسنده الى أمير المؤمنين عليه السلام: عن علي عليه السلام قال:

«دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة وقد نزلت عليه هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي! هذه الآية فيك وفي سبطيَّ والأئمة من ولدك فقلت: يا رسول الله! وكم الأئمة بعدك؟ قال: أنت يا علي، ثم الحسن والحسين، وبعد الحسين علي ابنه، وبعد علي محمّد ابنه، وبعد محمّد

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) مجمع البيان ٣٥٦/٨.

(٣) دلائل الصدق ٩٤/٢.

(٤) إحقاق الحق ٥٠٢/٢، ثم أفاد المحشي أنّ الأحاديث في ذلك تربو على الألف.

(٥) غاية المرام ص ٢٨٧ ـ ٣٠٠ الباب ١ و٢.

جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى علي ابـنه، وبـعد عـلي محمّد ابنه، وبعد محمّد علي ابنه، وبعد علي الحسن ابنه، والحجّة من ولد الحسن هكذا أسماؤهم مكتوبة على ساق العرش فسألت الله تعالى عـن ذلك فقال: يا محمّد! هذه الأئمة بعدك مطهّرون معصومون وأعـداؤهـم ملعونون»(١).

ومن طريق العامة، مثل حديث البخاري بسنده عن عائشة:

قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة غدٍ وعليه مَرَط مرجّل من شعر أسود فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال:

«﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»(٢).

مضافاً إلى بيان شأن نزولها في حديث الكساء الشريف المتصل بسند صحيح إلى جابر بن عبدالله الأنصاري، كما تلاحظ السند في الإحقاق والعوالم(٣).

وقد أفادت هذه الآية المباركة، إرادة الله تعالى الذي إذا أراد شيئاً فإنّما يقول له كن فيكون، بالإرادة التكوينية التي لا يتخلف مراده عنه، إذهاب الرجس عنهم عليهم السلام أي مطلق الرجس: القذارات والمآثم والأعمال القبيحة والأمور الشيطانية والشك والأخلاق الذميمة بتصريح أهل اللغة في معنى الرجس مع تفسيره في القاموس بكل ما استقذر من العمل(٤)، وتفسيره في العين بكل قَذَر(٥).. ومعلومٌ أنّ دفع جنس

---

(١) غاية المرام ص ٢٩٣ الباب ٢ ح ٦.

(٢) غاية المرام ص ٢٨٨ الباب ١ ح ١١، واعلم ان المَرَط في الحديث بمعنى الكساء، يكون من صوف، والمرجّل من الترجيل بمعنى التسريح بالمشط أي مسّرح الصوف.

(٣) إحقاق الحق ٥٥٤/٢ والعوالم ١١/ القسم الثاني /٩٣٠.

(٤) القاموس المحيط ٢١٩/٢.

(٥) ترتيب كتاب العين ٦٥٧/١.

الرجس يكون بدفع جميع أفراده.

خصوصاً مع التصريح بعده في نفس الآية بقوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فهذه الجملة تفيد دفع جميع الأرجاس عنهم.. وذلك ضرورة عدم حصول التطهير بدفع بعض الأقذار دون بعض.

فيلزم أن يكون الذاهب جميع الأرجاس خصوصاً مع التأكيد بعد «يطهّركم» بقوله: ﴿تَطْهِيراً﴾ والتطهير هو التنزّه والخلوص عن لوث جميع الأرجاس والأنجاس والمعاصي والخبائث وغيرها من المعايب والنقائص الظاهرية والباطنية، كما أفاده في المشكاة[1].

وخصوصاً مع الإتيان بصيغة المضارع التي تفيد الاستمرارية في عدم الرجس ووجود التطهير في جميع مدّة حياتهم.

فتكون هذه الآية الشريفة صريحة في عصمتهم العظمى، كما بيّنه في مصباح الهداية[2].

علماً بأنّ إذهاب الرجس عنهم عليهم السلام إنما هو بمعنى دفعه والنزاهة عن وجوده لا بمعنى رفعه بعد وجوده وذلك لما يلي:

أولاً: إن المناسب مع غاية التطهير المستفادة من «ويطهركم تطهيراً» هي النزاهة عن الرجس أساساً، لا وجوده ثم رفعه بعداً.. وهذه قرينة داخلية.

ثانياً: إن الثابت بالادلة العقلية، والنصوص المتواترة النقلية هي عصمتهم من أول عمرهم وقد ثبت من طريق الفريقين أن الملكين حافظي علي عليه السلام ليفتخران على

---

(١) مشكاة الأنوار ص ١٥٠.

(٢) مصباح الهداية ص ١٧٢.

سائر الملائكة بأنهما لم يصعدا إلى الله تعالى قط بشيء يسخطه[١] وهذه قرينة خارجية.

ثالثاً: إن باب الإفعال بل خصوص الإذهاب جاء لغةً وشرعاً بمعنى الدفع كقولهم: «أذهب الله عنك كل مرضٍ وسقم» إي صَرَفه عنك.. لا بمعنى ذهاب الأمراض والأسقام بعد وجودها فيك.

والاستعمالات الشرعية للإذهاب بهذا المعنى في أحاديث الفريقين كثيرة وشايعة كما في مثل:

١ ـ قوله ﷺ:

«من أطعم أخاه حلاوةً أذهب الله عنه مرارة الموت».

٢ ـ قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من بدأ بالملح أذهب الله عنه سبعين داءاً ما يعلم العباد ما هو».

٣ ـ حديث الإمام الكاظم عليه السلام:

«إذا أصبحت فتصدّق بصدقة تُذهب عنك نحس ذلك اليوم، وإذا أمسيت فتصدّق بصدقة تُذهب عنك نحس تلك الليلة»

.. إلى غير ذلك من الشواهد التي أحصاها بمصادرها كتاب آية التطهير[٢].

ولنعم ما أفاده شيخنا المفيد قدس سره بقوله: «وليس يقتضي الإذهاب للرجس وجوده من قبل.. والإذهاب عبارة عن الصرف، وقد يُصرف عن الإنسان ما لم يعتره كما يصرف عنه ما اعتراه.. ألا ترى أنه يقال في الدعاء: «صَرَف الله عنك

---

(١) معالم الزلفى ص ٣٢ الباب ٤٣ الأحاديث من الخاصة، وإحقاق الحق ٩٧/٦ الأحاديث من العامة.

(٢) آية التطهير للسيّد الأبطحي ص ٦٠.

السوء»، فيُقصد إلى المسألة منه تعالى عصمته من السوء، دون أن يُراد بذلك الخبر عن سوء به».

كما وأنّ التطهير إنما هو بمعنى الإبعاد والنزاهة عن الرجس لا الطهارة بعد النجاسة كما يشهد به نفس الاستعمال القرآني في مثل قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾[٢].

وقد جاء التصريح بهذا المعنى في اللغة أيضاً كما تلاحظه في مثل العين[٣] والقاموس[٤].

ثم إن هذه الآية الشريفة صريحة في اختصاصها بالأنوار الخمسة الطيّبة، كما هو مقتضى حاصريّة كلمة «إنّمَا»، واختصاصية أهل البيت مضافاً إلى شأن نزولها فيهم باتفاق الأُمّة وبإجماع المفسّرين.

فهي مختصّة به، كما اعترف به أبوسعيد الخدري، وأنس بن مالك، وواثلة ابن الأسقع، وعائشة، وأم سلمة، كما في مجمع البيان[٥].

ثم تجري هذه الآية الشريفة في الأئمة الطاهرين الإثني عشر، كما صرحت به أحاديث تفسيره التي تلاحظها من الفريقين في غاية المرام[٦]، وتلاحظ إحصاءها عن الطرفين في كتاب آية التطهير[٧].

---

(١) سورة البينة، الآية ٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٧.

(٣) ترتيب كتاب العين ١٠٩٧/٢.

(٤) القاموس المحيط ٧٩/٢.

(٥) مجمع البيان ٣٥٨/٨.

(٦) غاية المرام ص ٢٩٣.

(٧) آية التطهير ٢٥١/٢ـ٢٧٦.

مثل حديث الصدوق بإسناده عن عبدالرحمن بن كثير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما عَنى الله بقوله: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[1]؟

قال:

«نزلت في النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فلمّا قَبض الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه وآله كان أمير المؤمنين إماماً ثم الحسن ثم الحسين ثم وقع تأويل هذه الآية ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[2] وكان علي بن الحسين عليه السلام إماماً ثم جرت في الأئمة من ولد الأوصياء عليهم السلام فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله عزّ وجلّ»[3].

كما فسّر الأهل بالأئمّة عليهم السلام في حديث الإمام الصادق عليه السلام في معاني الأخبار[4].

وعليه فأهل البيت في آية التطهير هم الخمسة الطيبة النازلة فيهم الآية ثمّ أولادهم المعصومون، وقد نصبت على الإختصاص، ولا تجري في غيرهم كالزوجات.. بل لا يمكن أن تجري في الزوجات، وذلك لما يلي:

١ ـ لكلمة «إنّما» في صدر الآية التي تفيد الاختصاص، ونفي الحكم عمن عدا من تعلّقت الآية به، كما أفاده السيد المرتضى في الذخيرة[5].

٢ ـ لعدول السياق عن خطاب الجمع المؤنث للزوجات إلى خطاب الجمع المذكر

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٥ وسورة الأحزاب الآية ٦.

(٣) غاية المرام ص ٢٩٣ الباب ٢ ح ٧.

(٤) معاني الأخبار ص ٩٤ ح ٣.

(٥) الذخيرة ص ٤٧٩.

لأهل البيت، ثم العود إلى الجمع المؤنث للزوجات أيضاً، ممّا يفيد أن المخاطب مختلف في الخطابين كما أفاده الشيخ الطوسي في التبيان[١].

٣ ـ لتغيير أسلوب الكلام في الآيات المتقاربة وتبدّل لحن الخطاب والفرق بين آيات الزوجات وبين آية أهل البيت.. فمخاطبة الزوجات مشوبة بالتهديد والتأنيب، بينما مخاطبة أهل البيت مُحلّاة بالتلطف والتكريم، فهذه دقيقة تفيد أنّ أهل البيت في محلٍّ والزوجات في محلٍّ آخر، كما أفاده السيد القاضي نور الله في إحقاق الحق[٢].

٤ ـ لتنصيص النبي الأكرم ﷺ حين نزول الآية على خروج الزوجات في أحاديث الخاصة بل العامة أيضاً كما في مسند أحمد بن حنبل[٣]، وتفسير الطبري[٤]، وقد نقل في تفسير الطبري أحاديث العامة باختصاص الآية بالخمسة الطيّبة في خمسة عشر طريقاً.

٥ ـ لأنّ نفس الرسول الأعظم فسّر العترة بأهل البيت في حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين الذي تقدم مع مصادره.

فقال: «عترتي أهل بيتي»، ولم يجعل العترة بعض أهل البيت فيقول: عترتي من أهل بيتي، ولو كان أهل البيت أعمّ من العترة لكان يلزم التبعيض، فيكون أهل البيت بياناً وتفسيراً للعترة ومبيّناً لتمام معناه، ومعلوم أنّ العترة منحصرة في آل الرسول دون زوجاته.

٦ ـ لعدم ثبوت عصمة الزوجات،بل ثبوت عصيان عائشة وحفصة، ببيان نفس

(١) تفسير التبيان ٨/٣٤٠.

(٢) إحقاق الحق ٢/٥٦٦.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١/٣٣١.

(٤) تفسير الطبري ٢/٥.

القرآن الكريم الذي بيّن مخالفتهما للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: **﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾**[١].

حيث بيّنت الآية الشريفة أنهما صغت قلوبهما أي زاغت ومالت إلى الإثم، وتظاهرا على النبي وتعاونا عليه بالإيذاء له..، كما اعترف بنزول الآية فيهما أكابر العامة في أحاديثهم المتضافرة الواردة في صحيح البخاري[٢]، وصحيح مسلم[٣]، وسنن الترمذي[٤]، ومسند أحمد بن حنبل[٥]، وتفسير الطبري[٦]، والطبقات الكبرى لابن سعد[٧]، وكنزالعمال للمتقي الهندي[٨]، وسنن النسائي[٩]، وسنن البيهقي[١٠]، وسنن الدارقطني[١١]، كما تلاحظ تفصيل الآيات والأسناد المتعلقة بذلك في السبعة من السلف للسيد الفيروزآبادي قدس سره[١٢].

فلا يمكن أن تشمل آية التطهير عائشة وحفصة للزوم التهافت في كتاب الله الذي

---

(١) سورة التحريم، الآية ٤.

(٢) صحيح البخاري ٣٧٧/٦كتاب التفسير الباب ٢ ح ٤٩١٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الايلاء / .

(٤) سنن الترمذي ٢٣١/٢.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣٣/١.

(٦) تفسير الطبري ١٠٤/٢٨.

(٧) الطبقات الكبرى ١٣٨/٨.

(٨) كنز العمال ٢٠٩/١.

(٩) سنن النسائي ١٤٠/٢.

(١٠) سنن البيهقي ٣٥٣/٧.

(١١) سنن الدارقطني، كتاب الطلاق ص ٤٤٢.

(١٢) كتاب السبعة من السلف ص ١٣٥.

لا يأتيه الباطل من بينه ولا من خلفه وحاشاه عن ذلك.

وما ظنك بحكم مَن صدرمنها إيذاء رسول الله ﷺ ؟ هل تكون معصومة ؟ وهل تكون من أصحاب آية التطهير ؟ أم تندرج تحت قوله تعالى: **﴿وَالَّذِيْنَ يُؤْذُونَ رَسُوْلَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ﴾**[1] وعليه فآية التطهير المباركة دالّة بالصراحة على عصمة أهل البيت خاصّة..

مضافاً إلى ما تقدم من دلالتها بالالتزام على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأنّه ذكر الخلافة لنفسه وصدّقته فاطمة الزهراء والحسنان، وهم معصومون ولا يكونون كاذبين أبداً؛ لأن الكذب من الرجس الذي أذهبه الله تعالى عنهم وطهّرهم تطهيراً، فيصدق قولهم في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، كما أفاده السيد شرف الدين قدّس سرّه في الكلمة الغرّاء[2].

هذا من الاستدلال القرآني لعصمة أهل البيت عليهم السلام مضافاً إلى الآيات الأخرى التي تستفاد منها العصمة بالملازمة كآية الإطاعة والكون مع الصادقين؛ فإن الأمر بإطاعة أولي الأمر يلازم عصمة المطاع، كما وأن الأمر بالكون مع الصادقين ملازم لعصمة المتبَع وإلّا كان إغراء بإطاعة ومتابعة العاصي وهو قبيح.

دليل السنّة:

وأمّا دليل السنّة على عصمة أهل البيت عليهم السلام، فمئات الأحاديث ومستفيض الآثار ومتواتر الأخبار التي تدلّ على عصمتهم وطهارتهم ونزاهتهم، ممّا تلاحظها في مثل

---

(١) سورة التوبة، الآية ٦١.

(٢) الكلمة الغراء ص ٢١٧.

أُصول الكافي[١]، وتفسير البرهان[٢]، وبحار الأنوار[٣]، وغاية المرام[٤]، وأبواب فضائل الرسول والآل الطاهرين التي هي غنيّة بأحاديث العصمةوالطهارة، وموجبة لحصول القطع واليقين بعصمة الهداة الطاهرين الأئمة الإثنى عشر، والصديقة الزهراء أم الأئمة الغرر، وسيدهم رسول الله النبي الأكبر ﷺ.

ونحن نتبرك بذكر حديث واحد اختصاراً، وهو ما رواه الفريقان بأسانيدهما المتصلة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»[٥].

.. إلى غير ذلك من الأحاديث التي جاء فيها تصريح الرسول الأعظم بعصمة الأئمة الإثني عشر التي تلاحظها في المصادر المتقدمة والتي رواها جمع من الصحابة فيهم عبدالله بن عباس، وأبوذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأم سلمة، وأبوسعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وأبوأيوب الأنصاري، وسعد بن مالك، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع، وعمران بن حصين..

كما وأن عصمة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام أيضاً ثابتة بالكتاب والسنة مضافاً

---

(١) أصول الكافي ٢٠٢/١.

(٢) تفسير البرهان ٨٤٣/٢.

(٣) بحار الأنوار ١٩١/٢٥ الباب ٥ الأحاديث و٢٠٦/٣٥ الباب ٥ الأحاديث و٦٢/٣٨ الباب ٥٩ الأحاديث.

(٤) غاية المرام ص ٢٨٧ – ٣٠٠.

(٥) جاء في إكمال الدين وعيون اخبار الرضا عليه السلام ورواه عنهما في البحار ٢٠١/٢٥ الباب ٥ في عصمة الأئمة عليهم السلام ح ١٣ وذكره في إحقاق الحق ٦٠/١٣ نقلاً عن الحمويني في فرائد السمطين، والقندوزي في ينابيع المودة، والهمداني في مودة القربى.. ونحوه في الإحقاق ٥٣٠/٢٠ عن المردي الحنفي في «آل محمد».

إلى دليل الاجماع والعقل الآتيين والدالّين على عصمة أهل البيت جميعاً عليهم السلام :

أما الكتاب:

فيكفيك منه آية التطهير[١] المتقدمة التي عرفت اتفاق الخاصة والعامة بأحاديثهم المتواترة على شمولها لها، وتصريحها بإذهاب الرجس عنها، ونزولها في أهل البيت التي هي سيدتهم.. سلام الله عليها، فتدل الآية على عصمتها الكبرى.

وأما السنة:

فمن وجوه عديدة نكتفي منها بعشرة كاملة هي:

١ ـ نصّ حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

« منّا خمسة معصومون، قيل: يا رسول الله! من هم؟

قال: أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ».

ومثله حديث الإمام الباقر عليه السلام وقد روى كليهما القاضي في المناقب[٢].

٢ ـ وجوب إطاعة جميع الخلق لها حتى المعصومين المستلزم لعصمتها كما في حديث الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام:

« ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة »[٣].

٣ ـ أفضليتها وسيادتها على نساء الأولين والآخرين ونساء الجنة حتى مريم عليها السلام وهو يستلزم عصمتها وإلّا لم تكن غير المعصومة أفضل من المعصومة..

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) العوالم ١١/ القسم الأول /٨٦ الباب ٧ ح ١ ـ ٢.

(٣) دلائل الإمامة للطبري ص ٢٨ عنه فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله ص ٨٧.

ففي حديث الإمام الصادق عليه السلام:

«... وإن الله عز وجل جعلكِ سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين»[١].

وفي حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«... وابنتي فاطمة سيدة نساء أهل الجنة من الخلق أجمعين»[٢].

٤ ـ عدم تكافؤ أحدٍ معها إلّا أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن لها كفو غيره حتى من الأنبياء المعصومين.

ففي حديث المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«لولا أن الله تعالى خلق أمير المؤمنين لم يكن لفاطمة كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه»[٣].

وفي حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«... ولولا علي ما كان لفاطمة كفو أبداً»[٤].

٥ ـ كونها حجة على الأئمة المعصومين عليهم السلام المفيدة لمعصوميتها بل كبرى عصمتها كما في حديث الإمام العسكري عليه السلام:

«إنّ فاطمة حجة علينا»[٥].

---

(١) علل الشرائع ص ١٨٢ الباب ١٤٦ ح ١.

(٢) إحقاق الحق ٤١/٥ ح ٦٥ نقلاً عن ابن حسنويه الحنفي في بحر المناقب.

(٣) بحار الأنوار ١٠٧/٤٣ الباب ٥ ح ٢٢.

(٤) إحقاق الحق ١١٧/١٩ نقلاً عن كتاب أهل البيت لتوفيق أبوعلم، ونحوه في أحاديث العامة الأخرى المنقولة في الإحقاق ١/٧ عن ابن شيرويه في الفردوس، والخوارزمي في المقتل، والترمذي في المناقب، والقندوزي في الينابيع، والمناوي في الكنوز.

(٥) تفسير أطيب البيان ٢٣٥/٣.

٦ ـ كونها بضعةً لرسول الله صلى الله عليه وآله المقتضي لأن تكون كالأصل معصومة، بل هي مهجة قلب النبي وروحه التي بين جنبيه في الأحاديث الواردة عن الفريقين:

« فاطمة بضعة منّي، وهي مهجة قلبي، وهي روحي التي بين جنبيّ »[١].

٧ ـ كونها أسوة لحجة الله الإمام المهدي أرواحنا فداه، ومعلوم ان أسوة المعصوم لابدّ أن يكون معصوماً كما تلاحظ ذلك في حديث توقيع الشيخ الجليل العمري:

« وفي إبنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة »[٢].

٨ ـ لزوم معرفتها على القرون الأولى والأنبياء السلف المستلزم لأفضليتها من جميع الجهات ومنها جهة العصمة، وإلّا فلا معنى للزوم معرفة غير المعصوم على المعصوم، ففي حديث أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام:

« ... هي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى »[٣].

٩ ـ أنّ الله تعالى يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، ولا يكون ذلك إلّا فيمن عصمه الله تعالى لا من كان عاصياً أو ساهياً أو مخطئاً، ففي الحديث المتفق عليه بين الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله:

« إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها »[٤].

١٠ ـ شأنها العالي ومقامها الرفيع المستفاد من محوريّتها للمعصومين أبيها وبعلها

---

(١) تلاحظ أحاديثه من طرق الخاصة في بحار الأنوار ٤٣/٣٩ ـ ٨٠ الباب ٣ ومن طرق العامة في إحقاق الحق ٩/١٩٨ و ١٠/١٨٤ و١٣/٧٧.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٨٤ والإحتجاج للطبرسي ٢/٢٧٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٣/١٠٥ الباب ٥ ح ١٩.

(٤) لاحظ الحديث من الخاصة في البحار ٤٣/٥٣ ومن العامة فيما حكاه في إحقاق الحق ١٠/١١٦ و١٢٢، و١٩/٥٤ و٥٦.

وبنيها في حديث الكساء الشريف[١].

وتستفاد العصمة أيضاً من أسمائها عند الله تعالى مثل الطاهرة، وكذا ألقابها المنصوصة مثل المطهَّرة والحوراء[٢].

ومن بدء خلقها وكيفية خلقتها وتكوّنها من ثمرة الجنة[٣].

ومن سدّ الأبواب كلها عن مسجد الرسول إلّا باب بيتها[٤].

.. وغير ذلك من آيات طهارتها ونزاهتها الكاشفة عن عصمتها، والدالة على كونها في أعلى مراتب عصمة الله تعالى.

دليل الإجماع:

وأمّا دليل الإجماع على عصمة أهل البيت عليهم السلام فهوقائم على وجوب عصمة النبي وخليفته صلوات الله عليهما وآلهما، وتحقق عصمة أهل البيت عليهم السلام، ونزول آية التطهير فيهم بلا خلاف بينهم، بل باتفاقهم وقيام الإجماع عندهم، بل هو من معتقدات الإماميّة الحقّة كما تستفيد ذلك من الشيخ الصدوق في الإعتقادات[٥]، والشيخ المفيد في الفصول المختارة[٦]، والسيد المرتضى في الذخيرة[٧]، والشيخ الطوسي في التلخيص[٨] متناً وهامشاً، والعلّامة الحلّي في كشف الحق[٩] في

---

(١) العوالم ١١/ القسم الثاني /٩٣٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٣/١٠ الباب ٢ الأحاديث.

(٣) بحار الأنوار ٤٣/١٨ الباب ٢ ح ١٧.

(٤) إحقاق الحق ٤/٤٠٨ وغاية المرام ص ٦٣٩ ـ ٦٤٢.

(٥) اعتقادات الشيخ الصدوق ص ٩٨.

(٦) الفصول المختارة ص ٥٣.

(٧) الذخيرة ص ٤٧٩.

(٨) التلخيص ١/١٩٤.

(٩) كشف الحق ٢/٣٠.

المطبوع مع دلائل الصدق، والحر العاملي في إثبات الهداة[١]، والعلّامة المجلسي في بحار الأنوار[٢]، والسيّد الشبّر في حق اليقين[٣].

فالاجماع على عصمة أهل البيت عليهم السلام ثابت محقق بلا كلام وفاطمة الزهراء عليها السلام منهم بلا خصام.

دليل العقل:

وأما دليل العقل على عصمتهم فإنّه حاكم بعصمة أهل البيت عليهم السلام وطهارتهم بعد استقراء أحوالهم واستقصاء حالاتهم وتتبع شؤونهم وملاحظة أنه لم يأخذ العقلاء عليهم زلةً قط مدة حياتهم، ولم يسجل عليهم صديقٌ ولا عدوّ خطيئة أبداً في جميع أعمارهم، ولم يَرَ منهم معاشروهم الأقارب والأباعد قبيحاً واحداً في مدى وجودهم..

حتى أنّ عدوهم اللدود معاوية الذي شهر عليهم سيف البغي وشرع عليهم السبّ واللعن لم يستطع أن يحصي عليهم صغيرةً ولا أدنى من صغيرة، وإلّا لكان ينادي بها على المنابر، بل على العكس اعترف بغاية الفضل والتقوى في أمير المؤمنين بعد توصيف عدي بن حاتم علياً، حيث قال معاوية: يرحم الله أبا الحسن كان كذلك[٤].

واعترف أعداؤهم بعصمتهم ونزاهتهم وورعهم مضافاً إلى سائر فضائلهم كما تلاحظه في كلمات ابن أبي الحديد المعتزلي حيث قال في شرح نهج البلاغة:

---

(١) إثبات الهداة ١٤/١.

(٢) بحار الأنوار ٢٠٩/٢٥.

(٣) حق اليقين ٩١/١.

(٤) سفينة البحار ١٨٥/٦.

«نصّ أبومحمد بن متويهفي كتاب الكفاية على أن علياً عليه السلام معصوم... أدلة النصوص دلت على عصمته، والقطع على باطنه ومغيبه»[١].

ومن ذلك قول عمر بن عبدالعزيز: «ما علمنا أحداً كان في هذه الأمة أزهد من علي بن أبي طالب بعد النبي».

وقال ابن عيينة: «أزهد الصحابة علي بن أبي طالب».

وروى سفيان بن عيينة: «﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾[٢] علي ابن أبي طالب عليه السلام خاف فانتهى عن المعصية ونهى عن الهوى نفسه».

وروى قتادة: «علي بن أبي طالب عليه السلام سيّد من اتقى عن ارتكاب الفواحش».

وروى أبويوسف: «من اتّقى الذنوب علي بن أبي طالب والحسن والحسين».

مما يحكم العقل ويقطع العقلاء ويجزم كل ذي مسكة بعد ملاحظة هذا أنهم معصومون طاهرون، وعن الذنوب والخطايا بعيدون.

وحيث كان هذا جارياً في جميعهم ومستمراً في جميع حياتهم ينكشف كون العصمة ملكة فيهم.

وكيف يصدر الذنب ممّن أمر الله بطاعتهم ودعى إلى مودتهم، وعبر عنهم بالصادقين، وجعلهم من المطهّرين؟!

وكيف يمكن الخطأ ممّن جُعلوا على لسان الشارع الأعظم مع الحق وجُعل الحق معهم، يدور معهم الحق حيثما داروا إلى يوم القيامة؟!

وهل يخالف حكم العقل حكم الشرع؟

وكيف يقع الظلم والعصيان ممّن يُقسم بالله وهو الصادق الصدّيق ويقول إنّه:

---

(١) نقلاً عن بحار الأنوار ٣١٨/٤٠ الباب ٩٨ الأحاديث.

(٢) سورة النازعات، الآية ٤٠.

« لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت »[1].

وعلى الجملة ؛ فإنّ العقل حاكم بلزوم عصمة الإمام وكذا النبي ، والعقلاء يقضون بحتميّة عصمة النبي وخلفائه الأئمة ، والبرهان يفضي إلى تأكد وجود العصمة في خلفاء الرسول . .

هذا ، والأدلة العقلية على لزوم عصمتهم ـ التي تجري في البابين ، النبوّة والإمامة ـ كثيرة جداً نختار منها ما يلي :

١ ـ أنّه لو لم يكن النبي أو الإمام معصوماً لانتفى الوثوق بقوله ، والإعتماد على وعده و وعيده فلا يطاع ولا تثمر أقواله . . ويصير نصبه عبثاً .

٢ ـ أنّه يلزم علينا شرعاً وعقلاً اتباعهما للأمربالإطاعة والإمتثال ، فلو جاز عليهم الكذب والخطاء والسهو للزم متابعتهم فيها ، ومن المعلوم أن الأمر باتباع الخطاء والكذب والإشتباه قبيح بفطرة العقل .

٣ ـ أن من الوجوه العقلية للاحتياج إليهما هواللطف وتسديد الخلق . . فلو جاز عليهما الخطاء لاحتاجا إلى من يسدّدهما ويمنعهما من الخطاء ، وذلك المسدِّد إمّا أن يكون معصوماً فيثبت المطلوب ، أو لا يكون معصوماً فيتسلسل إلى ما لا نهاية وهو باطل عقلاً .

٤ ـ أن من أغراض النبوّة والإمامة ومن فوائد النبي والإمام إقامة العدل ومنع الظلم ، وإحقاق الحق وإبطال الباطل ، وحسم مادّة الفتن ، وحمل الناس على الطاعة ، ومنعهم عن المعصية ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . .

فلو جاز صدور المعصية منهما لانتفت تلك الفوائد ، وارتفعت تلك العوائد

---

(١) نهج البلاغة ص ٢٤٣ الخطبة ٢٢٤ من الطبعة المصرية .

وناقضت أفعالهما مع أغراضهما.. وبالتالي سقطت وفاتت المصالح الأساسية المقتضية لنصب النبي أو الإمام بعد النبي.

٥ ـ أنّه لو عصى النبي أو الإمام لأُقيمت عليهما الحدود، ووجب استنكار الرعيّة إيّاهما وسقط محلّهما من القلوب.. فلا ينقاد الناس لهما في الأمور وتسقط فائدة البعثة والوصاية.

٦ ـ أنّ الأنبياء والأئمة حفظة للشرع الأقدس والدين المقدس، وخلفاء الله في أرضه، وحجج الله تعالى على خلقه بأقوالهم وأفعالهم.. فلو جاز عليهم الخطاء والخطيئة والسهو والنسيان لأدى ذلك إلى التضليل والتبديل والإغراء بالجهل وهو قبيح قطعاً.. لا يفعله حكيم أبداً، فلا ينصبهم الله يقيناً.

لذلك أفاد شيخنا الصدوق في الإكمال[1]: «أنّه يجب عصمة الإمام عليه السلام لقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] والله تعالى لا يستخلف إلّا من له نقاء السريرة ليبعد عن الخيانة؛ لأنّه لو اختار من لا نقاء له في السريرة كان قد خان خلقه.. وحاشاه عن ذلك! وهو الذي لا يهدي كيد الخائنين».

٧ ـ أنّه إذا جاز صدور المعصية منهم أمكن صدور أي معصية كانت حتى القتل والنهب والغصب، وذلك فساد عظيم يردّه العقل، ويأباه العقلاء فيمن يكون خليفة الله أو وصياً لخليفة الله.

٨ ـ أنّ صدور الذنب من الراعي أفحش من صدورالذنب من الرعية، وزَلّة العالِم زَلّة العالَم، فيلزم من عصيانه أن يكون الراعي أسوء حالاً من الرعية وأدون مرتبة من آحاد الأمة وهو مستهجن جداً.. لا يمكن أن يكون في مقام النبوة والإمامة.

---

(١) اكمال الدين ص ١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٠.

٩ ـ أنّه لو صار النبي أو الإمام عاصياً صار ظالماً، ولو صار ظالماً لبطلت نبوته أو إمامته اللتين هما من عهد الله.. لصريح قوله عز اسمه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

١٠ ـ لو كان النبي أو الإمام مثل الأمة يمكن عليهما الخطاء والنسيان والسهو والعصيان لكان رئاستهما وترجيحهما على الأمة من هذه الجهة ترجيحاً بلا مرجح وهو قبيح..، بل الأنبياء والأئمة أفضل من الأمم من جميع الجهات.. العلم والحلم، والنزاهة والتقوى، والفضل والفضيلة، والعدل والمروءة..

فيلزم رجحانهم على الأُمة من جميع الجهات ومنها النزاهة والعصمة حتى يكونوا أولياءهم وحجج الله على سائر الطبقات منهم..

فيكون شرط العصمة في النبي والإمام حتمياً إلزامياً..

هذا فيما يخص شرط العصمة في الإمامة كبروياً، مع ما عرفت من وجودها في أئمتنا الطاهرين وأهل البيت صغروياً بالأدلة الأربعة المتقدمة.

وهنا استدلال عقلي آخر جامع أيضاً في عصمة الإمام عليه السلام يحسن بيانه، وقد نقله الصدوق في العلل والعيون والمعاني والامالي بسنده عن ابن أبي عمير أنّه قال: ما استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام، فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم، قلت له: فما صفة العصمَة فيه؟ وبأى شيء تُعرف؟

قال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، فهذه منتفية عنه..

لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه؛ لأنه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

ولا يجوز أن يكون حسوداً؛ لأن الأنسان إنما يحسد من هو فوقه، وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه؟

ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلّا أن يكون غضبه لله عز وجل فإن الله قد فرض عليه إقامة الحدود، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رأفة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل.

ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثرالدنيا على الآخرة؛ لأن الله عز وجل حبّب إليه الآخرة كما حبّب إلينا الدنيا، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا.. فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجهقبيح؟ وطعاماً طيباً لطعام مُرّ؟ وثوباً ليناً لثوب خشن أو نعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟[١]

وعلى الجملة؛ فبالأدلة الأربعة نستنتج بنحو القطع واليقين عصمة أهل البيت الطاهرين وسيدهم الرسول الأمين وأولادهم الأئمة المهديين صلوات الله عليهم أجمعين، وأنهم معصومون مطهرون مبرؤون من كل ذنب وقذارة، وخطأ ومعصية، وإثمٍ وقبيح، وزلّة ورذيلة، وشك وسهو..

حتى بالنسبة إلى الشك والسهو.. لا يشكّون ولا يسهون أبداً، لمنافاتهما للعصمة واستلزامهما المحاذير العقلية المتقدمة، ومنافاة السهو لعلم النبي ﷺ والإمام عليه السلام؛ لأن السهو في الشيء تركه عن غير علم كما فسره في المجمع[٢].

فلا يمكن الموافقة مع القول الشاذ الضعيف القائل بسهو النبي الشريف ﷺ استناداً إلى بعض الأخبار الضعيفة التي لا يمكن العمل بها، كما تلاحظه في كتاب

---

(١) بحار الأنوار ١٩٢/٢٥ الباب ٥ ح ١.

(٢) مجمع البحرين ص ٤٨.

الفقيه[١].

وإنّما لا يمكن قبول هذا القول لاستناده إلى أخبار آحاد لا تثمر علماً ولا توجب عملاً، كما أفاده الشيخ المفيد في رسالة عدم سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

وكذا أبطله العلّامة قدس سره ـ كما تلاحظه في هامش الفقيه ـ من حيث إنّ راوي خبر السهو هو ذو الشمالين الذي قُتل يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة، والراوي عنه هو أبوهريرة الذي لم يدركه؛ لأنه أسلم بعد الهجرة بسبع سنين فكيف يروي عنه؟

بل هذا الخبر يخالف الكتاب الكريم، والسنة الصحيحة، والأدلة العقلية المتقدمة، وضرورة المذهب، وإجماع الشيعة المحقّة، كما أفاده السيد الشبر قدس سره[٣].

وكيف يتلائم هذا القول مع الكتاب العزيز الذي قال في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾**[٤] وقال في شخصه: **﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنْسَى﴾**[٥].

أم كيف يتلائم مع الأخبار الصحيحة والمعتبرة الصريحة التي دلت على نفي السهو والشك والنسيان عنهم عليهم السلام مثل:

١ ـ حديث العيون:

«أنّ الإمام مؤيد بروح القدس... ولا ينسى ولا يسهو»[٦].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١/٣٥٩.

(٢) رسالة عدم سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ص ٢٠.

(٣) حق اليقين ١/٩٣ ومصابيح الأنوار ٢/١٣٣.

(٤) سورة النجم، الآيتان ٣ ـ ٤.

(٥) سورة الأعلى، الآية ٦.

(٦) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١/١٧٠ الباب ١٩ ح ٢.

٢ ـ حديث الكافي:

« أنّ الله عز وجل أدّب نبيّه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١] ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عز وجل: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ * وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٢] وأن رسول الله ﷺ كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزلُّ ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق »[٣].

٣ ـ حديث تفسير النعماني في بيان صفات الإمام:

« ... ولا يسهو ولا ينسى ولا يلهو بشيءٍ من أمر الدنيا »[٤].

ثم إنه يحسن التعرض هنا بالمناسبة لوجه الاستغفار من الذنوب الذي تجده في أدعية الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم مع أنهم أصحاب العصمة الكبرى، ولا يصدر منهم حتى ترك الأولى، ولا يعملون إلّا بما يشاء الله ويرضاه، فقد عصمهم الله من الزلل، وحفظهم من المزالق حتى أنهم لا يتركون مستحباً ولا يفعلون مكروهاً إلّا لوجهٍ مبرّرٍ رافعٍ للحزازة.. فاستغفارهم هذا ليس لفعل الذنب إطلاقاً..

بل إن استغفاراتهم مضافاً إلى كونها في مقام التضرّع الذي هو محبوب ذاتاً وتكون للحياء والرجاء والإنابة والرغبة والرهبة والطاعة والإخلاص والتقوى والتوكل من مقتضيات الإستغفار التي تلاحظها في دعاء الزيارة الرضوية المباركة.. مضافاً إلى هذه الأمور تكون استغفاراتهم لوجوه حكيمة منها:

١ ـ إن الرسول وأهل البيت عليهم السلام هم الذين علّمونا التكلّم مع ملك الملوك وعظيم

---

(١) سورة القلم، الآية ٤.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

(٣) أصول الكافي ٢٦٦/١ ح ٤.

(٤) بحار الأنوار ٣٥١/٢٥.

العظماء (الله جلّ جلاله)، ولولاهم لم نعرف الطريقة المثلى والنهج الأفضل الذي ينبغي للعبد الابتهال به إلى الله تعالى والسؤال منه عزّ اسمه وطلب المغفرة منه جل جلاله.. فإحدى جهات أدعيتهم هو تعليمنا ذلك، فجرى وجوه الاستغفار على لسانهم الطاهر حتى يجري على لساننا نحن العصاة؛ لنستقيل من ذنوبنا ونتوب من خطايانا، وننال برد العفو وحلاوة الرحمة من المولى الغفور الرحيم، كما استفدنا هذا الوجه من شيخنا الأستاذ قدس سره.

٢ ـ إنّ النبي والآل سلام الله عليهم أوقاتهم مشغولة بالله تعالى، وقلوبهم مملوءة بالتوبة إليه، وخواطرهم متعلّقة بالملأ الأعلى، ونفوسهم مقبلة بكلها إليه، كلّ منهم يرى نفسه حاضراً عند الله ويرى الله ناظراً إليه.. فيرون اشتغالهم بالمباحات المحلّلة كالمآكل والمشارب والمناكح انحطاطاً عن تلك المراتب العالية، والمنازل الرفيعة..

فيعدّونه ذنباً ويعتقدونه خطيئة فيستغفرون لأجل ذلك من كل ما جرى على لسانهم، أو سمعوه بآذانهم، أو رأوه بأبصارهم كما ترى في استغفار الإمام الكاظم عليه السلام في سجدة الشكر.. ويستفاد هذا الوجه من الإربلي في كشف الغمة كما نقله في البحار[1].

٣ ـ إنّ رسول الله وآله صلوات الله عليهم لمّا كانوا في غاية المعرفة الإلهيّة لمعبودهم، فكل ما أتوا به من الحسنات وعملوه من الصالحات رأوها قاصرة عن أن تليق بجناب ربّ العزّة.. فعدّوا طاعاتهم من المعاصي، واستغفروا كما يستغفر المذنبون، وعدّوا أنفسهم مقصّرين، كما أفاده العلّامة المجلسي[2] قدس سره.

فعصمة أهل البيت عليهم السلام ونزاهتهم وطهارتهم عن جميع الذنوب والعيوب لا يدانيها

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/٢٠٣.

(٢) بحار الأنوار ٢٥/٢١٠.

ريب ولا يداخلها عيب، بعد ما عرفت ثبوتها بالأدلة الأربعة.

بل لا ينبغي الشك في العصمة الثبوتية بمعنى عدم المفارقة عن طريق العدل والطاعة، وعدم السلوك في طريق القبيح والمعصية في ذريتهم الطاهرة المنتجبة[١] مثل سيدنا أبي الفضل العباس، وعقيلتنا زينب الكبرى، وسيدنا علي الأكبر وكريمة أهل البيت فاطمة المعصومة وأمثالهم سلام الله عليهم كسيدنا حمزة بن عبد المطلب، بل بعض خُلص الأصحاب مثل سلمان المحمدي ممن أدركوا الدرجة العليا في معرفة الله تعالى ولزموا طريق رضاه ومرضاته..

غير أنّ العصمة في الحجج المعصومين عليهم السلام استكفائية، أي غير محتاجة إلى الغير، بينما العصمة في هؤلاء الكرام غير استكفائية، أي محتاجة إلى الحجّة كما سمّي بذلك.

ويشهد لعصمة سيّدنا العبّاس بن أمير المؤمنين بهذا المعنى يعني ملازمة الطاعة وعدم سلوك المعصية أُمور عديدة:

أوّلاً: قول الإمام الصادق عليه السلام في زيارته الشريفة:

« لعن الله أمة استحلت منك المحارم وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام »[٢].

فإن حرمة دين الاسلام لا تنهتك بقتل أي مسلم مهما كان عظيماً إلّا أن يكون سيداً للدين الإسلامي وأماماً معصوماً أو تالياً للمعصوم.

ثانياً: قول الإمام السجاد عليه السلام في الحديث:

« وإنّ لعمّي العباس منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء والصدّيقين يوم

---

(١) غير خفي أن المراد بعصمتهم هو هذا المعنى لا العصمة الإثباتية أو العصمة الكبرى فتنبّه.

(٢) المزار للشيخ المفيد ص ١٢٤.

القيامة»[١].

فإن قوله عليه السلام: جميع الشهداء والصدّيقين خصوصاً بأداة التأكيد الجمعي يشمل كل شهيد وكلّ صدّيق حتى المعصومين من الشهداء والصديقين كالأنبياء الكرام والشهداء من الأنبياء.

ولو لم يكن العباس معصوماً لم يتم غبطة المعصوم لدرجته، لأن المعصوم أعظم درجة من الجميع فلا يغبط غير المعصوم، فلابدّ وأن يكون العباس معصوماً حتى يغبطه الشهداء والصديقون والمعصومون على درجاته العالية ومقاماته الرفيعة.

وثالثاً: تصدي دفنه من قِبل نفس الإمام السجاد عليه السلام كدفن الإمام الحسين عليه السلام وهو من خصوصيات المعصومين مع قول الإمام السجاد عند ذلك: «**ان معي من يُعينني**» في حديث الإيقاد الذي نقله السيد المقرم قدس سره في كتاب العباس عليه السلام[٢].

مضافاً إلى قول الإمام الحسين عليه السلام له لما زَحَف الأعداء على مخيّمه عشيّة التاسع من المحرم:

«**إركب بنفسي أنت يا أخي**»[٣].

الذي يفيد تفدية نفسه المطهرة له، ولا يناسب تفدية المعصوم إلّا للمعصوم.

مع ما ذكر في بعض المقاتل من تقبيل الإمام الحسين عليه السلام يديه الطاهرتين بعد انقطاعهما بل تقبيل أمير المؤمنين عليه السلام لهما حين أجلس أباالفضل على فخذه وشَمَّر عن ساعديه وقبّلهما[٤] مما يكشف عن نزاهة تلك الايدي الطاهرة وترفّعها عن المعاصي والقبائح.

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٦٨ ح ١٠١.
(٢) العباس بن الإمام أمير المؤمنين ص ١٢٩.
(٣) العباس بن الإمام أمير المؤمنين ص ١٢٧.
(٤) كتاب قمر بني هاشم ص ٢١.

ولنعم ما أفاد الشيخ العلم الشيخ محمد طه نجف قدس سره في رجاله حين ذكر العباس عليه السلام حيث قال: «هو أجل من أن يُذكر في المقام، بل المناسب أن يذكر عند ذكر اهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل التحية والسلام»[١].

كما وأنّه يشهد لعصمة سيّدتنا زينب الكبرى سلام الله عليها بالمعنى المتقدم:

أوّلاً: أن الإمام الحسين عليه السلام حمّلها مقداراً من ثقل الإمامة أيّام مرض الإمام السجاد عليه السلام، وأوصى إليها بجملة من وصاياه، وأنابها الإمام السجاد عليه السلام نيابةً خاصّةً لبيان أحكام الدين وآثار الولاية، كما تلاحظه في حديث إكمال الدين للصدوق[٢]، والغيبة للشيخ الطوسي[٣]، الذي جاء فيه: «إنّ الحسين بن علي أوصى إلى أخته زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر وكان ما يخرج من علي بن الحسين يُنسب إلى زينب بنت علي تستراً على علي بن الحسين عليهما السلام»[٤].

وثانياً: قول الإمام السجاد عليه السلام لها بعد خطبة الكوفة في حديث حزيم بن شريك الأسدي في الإحتجاج:

«أنتِ بحمد الله عالمة غير معلَّمة وفَهِمة غير مفهَّمة».

فإنّ هذا العلم غير المحتاج إلى التعليم هو من شأن المعصوم فيكشف علمها عن عصمتها[٥].

كما وأنّه يشهد لعصمة سيّدتنا فاطمة المعصومة سلام الله عليها بالمعنى المتقدم أيضاً:

---

(١) إتقان المقال ص ٧٥.

(٢) إكمال الدين ص ٤٥ ح ٢٧.

(٣) الغيبة ص ١٣٨.

(٤) تنقيح المقال ٧٩/٣.

(٥) الخصائص الزينبية ص ٢٥.

أوّلاً: الحديث الوارد في ناسخ التواريخ عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«من زار المعصومة بقم [كان] كمن زارني»[١].

ومن المعلوم أنّ اسمها سلام الله عليها هي فاطمة فتوصيفها بالمعصومة على لسان المعصوم في هذا الحديث يدلّ على عصمتها.. بناءً على هذه النسخة في الحديث.

وثانياً: علمها في صغر سنّها مع تصديق أبيها وتفدّيه إيّاها، كما تلاحظه في القضية المنقولة عن كشف اللئالي لابن العرندس أعلى الله مقامه على التفصيل الذي جاء في كتاب كريمة أهل البيت عليهم السلام[٢] فراجع للاطلاع.

❊ ❊ ❊

وعلى الجملة؛ نعود إلى شرط العصمة في الإمامة، والعصمة الكبرى في أهل البيت عليهم السلام التى كانت عنوان البحث في شرط الإمامة، وقد تبين في نتيجة الإستدلال أنها ثابتة بالأدلة الأربعة وواضحة بالبراهين العلميّة.

---

(١) ناسخ التواريخ ٦٨/٣.

(٢) كريمة أهل البيت ص ٦٣، ولاحظ ترجمة ابن العرندس وجلالة قدره في الغدير ١٣/٧.

الفصل الخامس:

وظائف الأمّة
تجاه أهل بيت العصمة عليهم السلام

هناك وظائف شرعيّة وحقوق دينية يلزم على الرعية أداؤها لرعاتها ومواليها وأئمّتها دلّت عليها النصوص والأدلّة، كما نوّه بها شيخنا الأستاذ أعلى الله مقامه وجاء أيضاً في ميزان المطالب[1].

فإنّ أعظم حق بعد حق الله تعالى هو حق رسوله والأئمة المعصومين من بعده، حيث إنّه بهم أخرجنا الله من ذلّ الكفر وببركتهم هدانا الله إلى نور الإيمان.

وحقهم على الأمّة كحق الوالد على ولده، بل أعظم من ذلك، وبهم فُسّر قوله تعالى: **﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾**[2]، وتلاحظ تفصيل أحاديث تفسيره في غاية المرام[3].

ومن حقوقهم بالنسبة إلينا، ووظائفنا بالنسبة إليهم ما يلي:

١ ـ معرفة الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، كما دلّ عليها حديث زرارة

(١) ميزان المطالب ص ١٩٥.

(٢) سورة لقمان، الآية ١٤.

(٣) غاية المرام ص ٥٤٤ ـ ٥٤٩ ابواب ٥٠ ـ ٥٣، خصوصاً حديث الإمام العسكري عليه السلام.

الوارد في أصول الكافي[١]، قلت لأبي جعفر عليه السلام : أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق ؟

فقال :

« إن الله عز وجل بعث محمّداً صلى الله عليه وآله إلى الناس أجمعين رسولاً وحجةً لله على جميع خلقه في أرضه فمن آمن بالله وبمحمد رسول الله واتبعه وصدّقه فان معرفة الإمام منّا واجبة عليه ... ».

٢ ـ الإقرار بإمامتهم وولايتهم، كما يستفاد من حديث الصدوق الذي تلاحظه في غاية المرام[٢]، قال الصادق عليه السلام :

« إن أول ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله الصلوات المفروضات وعن الزكاة المفروضة وعن الصيام المفروض وعن ولايتنا أهل البيت، فمن أقرَّ بولايتنا ثم مات عليها قُبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجّه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله جل وعز شيئاً من أعماله ».

٣ ـ التسليم لهم وعدم الإعتراض عليهم، حيث إنّ الاعتراض عليهم يكون ناشئاً من الجهل ويدلّ على هذه الوظيفة حديث الثمالي الوارد في البحار[٣]، قال علي بن الحسين عليه السلام :

« إنّ دين الله لايُصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، ولا يُصاب إلّا بالتسليم، فمن سلّم لنا سلم، ومن اهتدى بنا هُدي، ومن

---

(١) أصول الكافي ١٨٠/١ باب معرفة الإمام والرد عليه ح ٣.

(٢) غاية المرام ص ٢٥٧ الباب ٤٧ ح ٢٨.

(٣) بحار الأنوار ٣٠٣/٢ الباب ٣٤ ح ٤١.

دان بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفَر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم».

٤ ـ التولي لهم والتبرّي من أعدائهم كما يستفاد من حديثي الأعمش[1] حيث جاء في الأول، عن الصادق عليه السلام قال:

«حب أولياء الله واجب والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمد صلى الله عليهم وهتكوا حجابه وأخذوا من فاطمة عليها السلام فدك ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقهما». . إلى آخر الحديث.

وجاء في الثاني، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«... يا علي! والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرّية لو أن عبداً عَبَدَ الله ألف عام ما قَبِلَ الله ذلك منه إلّا بولايتك وولاية الأئمة من وُلدِك، وان ولايتك لا تُقبل إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».

٥ ـ إطاعتهم وامتثال أوامرهم ونواهيهم كما دلّ عليه حديث أبي حمزة[2]، سألتُ أبا جعفر [الباقر] عليه السلام: ما حق الإمام على الناس؟

قال:

«حقُّه عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا..».

٦ ـ الرجوع إليهم والتحاكم إليهم في جميع الأمور الدينية والدنيوية والأخروية، والمنازعات الشخصية، والاختلافات الاجتماعية، والشبهات الواردة، كما يستفاد

---

(١) بحار الأنوار ٥٢/٢٧ ح ٣ وص ١٩٩ ح ٦٦ وص ٢١٩ ح ٤.

(٢) بحار الأنوار ٢٤٤/٢٧ الباب ١١ ح ٤.

من حديث سدير الصيرفي[١]، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام قال في حديث:

«انما كُلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والردّ إليهم فيما اختلفوا فيه».

٧ ـ تعلّم جميع العلوم والمعارف والأحكام منهم لا من غيرهم؛ لأنّ الصحيح منها هو ما كان عندهم وهم باب علم النبي وطريق حكمته، كما يستفاد من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وهل تؤتى المدينة إلّا من بابها».

المتواتر بين الخاصّة والعامّة، المروي من طريق العامّة في ستّة عشر حديثاً ومن طريق الخاصّة في سبعة أحاديث جاءت في غاية المرام[٢].

وتلاحظها في باب وجوب الرجوع في جميع الاحكام إلى المعصومين عليهم السلام في أحاديث الوسائل[٣].

ومنها حديث فضيل قال: سمعت أباجعفر [الباقر] عليه السلام يقول:

«كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل».

٨ ـ الرجوع إليهم في جميع ما يعود إلى القرآن الكريم من تفسيره وتأويله، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وخاصّه وعامّه، ومورده ومعناه.. فهم العالمون بحقائقه، والوارثون لمهبط وحيه، والعين الصافية من معدنه، كما تستفيده من أحاديث أصول الكافي[٤]، ومنها: حديث جابر قال: سمعت أباجعفر [الباقر] عليه السلام يقول:

---

(١) وسائل الشيعة ٤٥/١٨ الباب ٧ ح ١٤.

(٢) غاية المرام ص ٥٢٠ الباب ٢٩ و٣٠ الأحاديث.

(٣) وسائل الشيعة ٤٨/١٨ الباب ٧ ح ٢٩ و٣٤ و٤٠.

(٤) أصول الكافي ٢٢٨/١.

« ما ادّعى أحدٌ من الناس أنه جمع القرآن كله كما أُنزل إلّا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلّا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام ».

٩ ـ الفزع إليهم في الدواهي، والإستغاثة بهم في الحوائج كما استفيد من حديث عبدالعزيز بن مسلم المتقدم[١] الذي جاء فيه:

« الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق... ومفزع العباد في الداهية النآد ».

وحديث البحار[٢] في خطاب الله تعالى لآدم عليه السلام:

« هؤلاء خيار خليقتي، وكرام بريّتي، بهم آخذ، وبهم أُعطي، وبهم أُعاقب، وبهم أثيب، فتوسَّلْ إليَّ بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليَّ شفعاءك، فإني آليتُ على نفسي قَسَماً حقاً لا أخيب بهم آملاً، ولا أردّ بهم سائلاً.. ».

١٠ ـ مودَّتهم وحبّهم ونصرتهم وصلتهم وعرض النصرة عليهم، كما أفادته آية المودة في قوله تعالى: **﴿قُلْ لا أسأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**[٣] وأحاديث أصول الكافي[٤]، وبحار الأنوار[٥] مثل حديث الفضيل، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام:

« ... إنما أُمروا أن يطوفوا بها.. ـ أي الكعبة ـ ثم ينفروا إلينا فيُعلمونا ولايتهم ومودَّتهم ويُعرضوا علينا نصرتهم.. ».

---

(١) أصول الكافي ١/١٩٨ ح ١.

(٢) بحار الأنوار ٢٦/٣٢٨ الباب ٧ ح ١٠.

(٣) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٤) أصول الكافي ١/٣٩٢، الأحاديث.

(٥) بحار الأنوار ٢٧/٧٣ الباب ٤ الأحاديث ١ و٧ و٨ و٩، وص ١٦٢ الباب ٦ ح ١٠.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله :

« من أحبَّ علياً في حياته وبعد موته كتب الله عز وجل له من الأمن والإيمان ما طلعت عليه شمس وغربت، ومن أبغضه في حياته وبعد موته مات موتةً جاهلية وحوسب بما عمل ».

فيلزم علينا مودَّة أهل البيت عليهم السلام وإبراز المحبة لهم، والولاء إليهم بجميع أنحائها ومعانيها، ومن أظهرها أن نفرح لفرحهم، ونحزن لحزنهم، ونقيم شعائرهم و ذكرياتهم.

وفقنا الله تعالى لذلك، ونفعنا بحبّهم وولايتهم فإنه هو النافع في الأهوال والشدائد في الدنيا والآخرة، كما تلاحظ أحاديثه في معالم الزلفى[1] مثل حديث صاحب الكشاف والثعلبي في تفسيره بإسناده إلى جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« ... ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له.

ومن مات على حب آل محمد مات تائباً.

ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان.

ومن مات على حب آل محمد بشّره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير.

ألا ومن مات على حب آل محمد يُزفّ إلى الجنة كما تُزفّ العروس إلى بيت زوجها.

ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوّار قبره الملائكة بالرحمة.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السُنّة والجماعة...

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه:

---

(١) معالم الزلفى ص ١٩٠.

آيس من رحمة الله.

ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

ثم اعلم أنه تزيد على هذه الوظائف وظيفتنا في زمان الغيبة بالنسبة إلى سيدنا ومولانا وإمام زماننا حجة الله الإمام المهدي أرواحنا فداه بوظائف أخرى مثل: انتظار فرجه الشريف، وظهوره المبارك، والتهيأ لنصرته، والتصدق لسلامته، والدعاء له ولفرجه وللثُبات على معرفته، والقيام والإحترام للقبه الخاص، ونُدبته الشريفة، والصلاة الخاصة عليه خصوصاً الصلوات المروية عن يعقوب ابن يوسف الغسّاني المروية في البحار[١].

كما تلاحظ هذه الوظائف مع أدلتها من السيد التقي الاصفهاني في مكيال المكارم، ووظيفة الأنام، والمحدث النوري في النجم الثاقب، والمحقق اليزدي في إلزام الناصب، فلاحظ.

هذا تمام البحث فيما تيسّر من أصل الإمامة ويتلوه بحث المعاد ونبدؤه بذكر الرجعة ثم المعاد ثم مراحل القيامة.

* * *

(١) بحار الأنوار ١٧/٥٢ الباب ١٨ ح ١٤.

المعاد

عرفت في أوّل الكتاب أنّ من تمام التوحيد وأصل الإعتقاد، التصديق بكل ما جاء به رسول الله وآله الطاهرون صلوات الله عليهم أجمعين، الناطقون عنه في جميع ما أخبروا به عن الله تعالى من الأصول والفروع، والتصديق بجميع ما جاءوا به من أُمور الدنيا والآخرة، والتصديق بكل ما أُخبروا به عن الله تعالى من حقائق النشأتين الأولى والأخرى؛ فإن من دعائم الإسلام الإقرار بما جاء به النبيّ ﷺ، وهو أصل أساسي في المقام ثبت بالأحاديث المتضافرة التالية:

١ ـ حديث عجلان أبي صالح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

« أوقفني على حدود الإيمان.

فقال: شهادة أن لا إله الا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وصلوات الخمس، وأداء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، وولاية وليّنا، وعداوة عدوّنا، والدخول مع الصادقين »[1].

٢ ـ حديث عيسى بن السريّ أبي اليسع المتقدم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني بدعائم الاسلام التي لا يسع أحدً التقصير عن معرفة شيء منها، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه، ولمَ يقبل [الله] منه عمله ومن عرفها

(١) أصول الكافي ١٨/٢ باب دعائم الإسلام ح ٢.

وعمل بها صلح له دينه وقبل منه عمله ولم يضق به مما هو فيه[١] لجهل شيء من الأُمور جهِله؟ فقال:

« شهادة أن لا إله إلّا الله والايمان بأنَّ محمداً رسول الله ﷺ، والاقرار بما جاء به من عند الله، وحقّ في الأموال الزكاة؛ والولاية التي أمر الله عزَّ وجلَّ بها: ولاية آل محمد ﷺ ...»[٢].

٣ـ حديث عيسى بن السري الآخر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدِّثني عمّا بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زكى عملي ولم يضرّني جهل ما جهلت بعده، فقال:

« شهادة أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمّداً رسول الله ﷺ والإقرار بما جاء به من عند الله وحقّ في الأموال من الزكاة؛ والولاية التي أمر الله عزَّ وجلَّ بها ولاية آل محمّد ﷺ، فإن رسول الله ﷺ قال: مَن مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهليَّة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣] فكان عليٌّ عليه السلام، ثم صار من بعده حسن، ثم من بعده الحسين، ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، ثم هكذا يكون الأمر، إنّ الأرض لا تصلح إلَّا بإمام، ومَن مات لا يعرف أمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا ـ قال: وأهوى بيده إِلى صدره ـ يقول حينئذ: لقد كنتُ على أمر حسن»[٤].

(١) أي لم يضق عليه شيءٌ مما هو فيه.
(٢) أصول الكافي ١٩/٢ باب دعائم الإسلام ح ٦.
(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.
(٤) أصول الكافي ٢١/٢ باب دعائم الإسلام ح ٩.

٤ ـ حديث أبي الجارود المتقدم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يابن رسول الله! هل تعرف مودّتي لكم وانقطاعي إليكم وموالاتي إيّاكم؟ قال: فقال:

«نعم، قال: فقلت: فإني أسألك مسألة تجيبني فيها فإنّي مكفوف البصر قليل المشي ولا أستطيع زيارتكم كلّ حين، قال: هات حاجتك.

قلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله عزّ وجلّ به أنت وأهل بيتك لأدين الله عزّ وجلّ به.

قال: إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة، والله لأُعطينّك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عزّ وجلّ به: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله، والولاية لوليّنا، والبراءة من عدوّنا، والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والإجتهاد والورع»[1].

٥ ـ حديث إسماعيل الجعفي قال: دخل رجل على أبي جعفر [الباقر] عليه السلام ومعه صحيفةٌ فقال له أبو جعفر عليه السلام:

«هذه صحيفة مخاصم يسأل عن الدِّين الذي يقبل فيه العمل فقال: رحمك الله! هذا الذي أُريد، فقال أبو جعفر عليه السلام: شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمّداً عبده ورسوله وتقرّ بما جاء من عند الله والولاية لنا أهل البيت والبراءة من عدوّنا والتسليم لأمرنا والورع والتواضع وانتظار قائمنا: فإنَّ لنا دولة إذا شاء الله جاء بها»[2].

فتلاحظ أن هذه الأحاديث الشريفة صريحة في لزوم الإقرار بما جاء به النبي من دعائم الإسلام.

---

(١) أصول الكافي ٢/٢١ ـ ٢٢ باب دعائم الإسلام ح ١٠.

(٢) أصول الكافي ٢/٢٢ ـ ٢٣ باب دعائم الإسلام ح ١٣.

واعلم أن مما جاؤوا به صلوات الله عليهم ـ وأثبتوا حقانيّته في الدنيا فيلزم الإقرار به ـ رجعتَهم صلوات الله عليهم، فلنبدأ بذكر مبحث الرجعة ثم مباحث المعاد، ومن الله تعالى التوفيق والسداد.

الرجعة

الرجعة هي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، والحياة قبل يوم القيامة.. عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ويطلق عليها الكرّة أيضاً من الكرّ بمعنى الرجوع، كما يستفاد من كتاب العين[١]، ومجمع البحرين[٢]، والقاموس المحيط[٣].

وهي من الحقائق الثابتة بالأدلة، والمحقّقة بالبراهين، كما سيأتي ذكرها.

قال الشيخ الصدوق في كتاب الإعتقادات: «اعتقادنا في الرجعة انها حقّ»[٤].

وقال الشيخ المفيد في المسائل السرويّة: «وأمّا قوله عليه السلام: **من لم يقل برجعتنا فليس منّا**، فإنّما أراد بذلك ما يختصه من القول به في أنّ الله تعالى يُحيي قوماً من أُمة محمّد صلى الله عليه وآله بعد موتهم قبل يوم القيامة، وهذا مذهب يختص به آل محمّد صلى الله عليه وعليهم... والرجعة عندنا تختصّ بمن محض الايمان ومحض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين»[٥].

وقال السيد المرتضى في أجوبة المسائل الرازيّة في كتاب الرسائل: «إعلم أنّ الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه أنّ الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام قوماً

---

(١) كتاب العين للخليل ٦٥٨/١.

(٢) مجمع البحرين للطريحي ص ٣٧٨.

(٣) القاموس المحيط ٢٨/٣.

(٤) كتاب الإعتقادات للصدوق ص ٦٠.

(٥) المسائل السرويّة ص ٣٢.

ممّن كان قد تقدم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذّوا بما يشاهدون من ظهور الحقّ وعلوّ كلمة أهله»[١].

وقال العلّامة المجلسي في الإعتقادات: «الإعتقاد بالرجعة واجب وهو من الإعتقادات الخاصة بالشيعة وثبوتها من الأئمة الطاهرين عليهم السلام مشهور بين الشيعة والسنّة»[٢].

وقال السيد الشبر في حق اليقين: «إنّ ثبوت الرجعة ممّا اجتمعت عليه الشيعة الحقّة والفرقة المحقّة، بل هي من ضروريات مذهبهم»[٣].

هذا، وقد ثبتت الرجعة بالأدلة القطعية والبراهين البيّنة من الكتاب العزيز والسنة المتواترة والإجماع المحقق.

فلا يُصغى إلى ما زعمه ابن الأثير في النهاية[٤]، وتبعه ابن منظور في اللسان[٥]، من نسبة الرجعة إلى قوم من عرب الجاهلية وفرقة من اولي البدع والاهواء.

وزوّر الاستدلال لدعواه بقوله تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾**[٦].

ويردّه أنّ الرجعة لم تكن في عرب الجاهلية ولم يقل بها أهل الأهواء والبدع، بل هي قول الطائفة الحقّة ومستندة إلى الأدلة.

---

(١) كتاب الرسائل للسيد المرتضى ١٢٥/١.

(٢) كتاب الإعتقادات للمجلسي ص ٤٠.

(٣) حق اليقين ٢/٢.

(٤) النهاية لابن الاثير ٢٠٢/٢.

(٥) لسان العرب ١١٤/٨.

(٦) سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩ و ١٠٠.

وأمَّا هذه الآية الشريفة فهي تحكي قول الكفار المكذّبين بالبعث حين موتهم وعندما يُشرفون على الموت، كما جاء في التفسير، وفسّره بهذا من العامّة ابن جريح.

كما فسرت أيضاً في أحاديثنا الشريفة بمانع الزكاة حين موته.

وتلاحظ بيانه في مجمع البيان[١]، مما يستفاد منه أنّ الرجعة الواردة في هذه الآية الشريفة هي تمنّي رجعة الكافر والفاسق، لا رجعة المؤمن إلى الدنيا في الدولة المحقّة التي وعدها الله سبحانه بقوله: **﴿.. لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**[٢].

وفيما يلي نذكر الأدلة الثلاثة: الكتاب والسنة والاجماع لاثبات الرجعة بالبيان التالي، بل يمكن إثباتها بالحكم العقلي أيضاً بالتقرير الآتي في هذه الادلة ثم الحكومة العقلية:

١ ـ دليل الكتاب:

دلّ الكتاب الكريم في آيات عديدة على الرجعة، ومنها:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾**[٣].

حيث دلت الآية على أنّ هذا الحشر خاص ببعض دون بعض وهو غير الحشر الأكبر يوم القيامة الذي هو عام للجميع حيث قال الله تعالى فيه: **﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾**[٤].

---

(١) مجمع البيان ١١٧/٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٣ وسورة الصف، الآية ٩.

(٣) سورة النمل، الآية ٨٣.

(٤) سورة الكهف، الآية ٤٧.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، وقد فسّرت هذه الآية في أحاديث كثيرة بالرجعة الحقّة بل هي ظاهرة فيها.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِيْنَ﴾[2].

فقد فسرت في الأخبار الآتية بالرجعة بل لامصداق كاملٍ تامٍ لها سوى الرجعة.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[3].

فقد وردت الأحاديث في تفسير إحدى الحياتين والموتين، بالحياة والموت في الرجعة، بل لا تنطبق الموتتان لشخص واحد إلّا مع الرجعة.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوْقِنُونَ﴾[4].

وقد تظافر النقل في أخبارنا بتفسيرها بخروج أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة.

.. إلى غير ذلك من الآيات الشريفة التي فُسّرت بالرجعة وتلاحظها بالتفصيل في كتاب الايقاظ من الهجعة للمحدث الحرّ العاملي قدس سره.

٢ ـ دليل السنة:

أفاد شيخ الاسلام المجلسي قدّس سرّه في البحار[5] أنه تواترت أحاديث

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

(٢) سورة القصص، الآية ٥.

(٣) سورة غافر، الآية ١١.

(٤) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٥) بحار الأنوار ١٢٢/٥٣.

الرجعة بما يقرب من مائتي حديث صريح رواه نيف واربعون من الثقات العظام وكبار العلماء الأعلام في ازيد من خمسين كتاباً من تصانيفهم مثل: سليم بن قيس الهلالي، والحسن بن محبوب، والفضل بن شاذان، ومحمد بن الحسن الصفار، وسعد بن عبدالله الأشعري، وشاذان بن جبرئيل، وعلي بن إبراهيم القمي، وفرات بن إبراهيم الكوفي، محمد بن مسعود العياشي، وثقة الاسلام الكليني، والشيخ الصدوق محمد بن بابويه، والشيخ ابن قولويه، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، والشيخ النعماني، وإبراهيم بن محمد الثقفي، والشيخ الكراجكي، والسيد ابن طاووس، والشيخ الطبرسي، والعلّامة الحلي، والقطب الراوندي، والشيخ ابن شهرآشوب المازندراني، والشهيد الأوّل، وغيرهم من الأعاظم.

بل صُنفت الكتب الخاصّة في إثباتها لعظماء الأصحاب وأكابر المحدثين الأطياب ممن ليس في جلالتهم شكّ ولا ارتياب.

بحيث قال العلامة المجلسي: «وظنّي أنّ من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين»[1].

هذا والأحاديث الشريفة في المقام كثيرة وفيرة أحصاها العلامة المجلسي في البحار منها:

١ ـ حديث محمّد بن مسلم قال: سمعت حمران بن أعين وأبا الخطاب يحدِّثان جميعاً قبل أن يُحدث أبوالخطاب ما أحدث أنّهما سمعا أبا عبدالله عليه السلام يقول:

« أوّل من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدُّنيا، الحسين بن علي عليه السلام وإنَّ

---

(١) بحار الأنوار ١٢٣/٥٣.

الرَّجعة ليست بعامة، وهي خاصّة لا يرجع إلّا من محض الايمان محضاً أو محض الشرك محضاً »[١].

٢ ـ حديث أبي بصير قال: قال لي أبوجعفر [الباقر] عليه السلام:

« ينكر أهل العراق الرَّجعة؟ قلت: نعم، قال: أما يقرؤون القرآن: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾[٢] **»**[٣].

٣ ـ حديث سليمان الديلمي قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: **﴿وَإِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾**[٤]؟ فقال:

« الأنبياء رسول الله وإبراهيم وإسماعيل وذريته، والملوك الأئمة عليهم السلام ... قال: فقلت: وأي ملك أُعطيتم؟ فقال: ملك الجنة وملك الكرّة »[٥].

٤ ـ حديث يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

« إنَّ الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليهما السلام، فأما يوم القيامة فإنّما هو بعث إلى الجنّة وبعث إلى النار »[٦].

٥ ـ حديث حمران، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام قال:

« إنّ أوّل من يرجع لجاركم الحسين عليه السلام فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكِبَر »[٧].

---

(١) بحار الانوار ٣٩/٥٣ الباب ٢٩ ح ١.

(٢) سورة النمل، الآية ٨٣.

(٣) بحار الأنوار ٤٠/٥٣ الباب ٢٩ ح ٦.

(٤) سورة المائدة، الآية ٢٠.

(٥) بحار الأنوار ٤٥/٥٣ الباب ٢٩ ح ١٨.

(٦) بحار الأنوار ٤٣/٥٣ الباب ٢٩ ح ١٣.

(٧) بحار الأنوار ٤٣/٥٣ الباب ٢٩ ح ١٤.

٦ ـ حديث تفسير علي بن إبراهيم: ﴿وَإِن مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾[1] فإنّه روي أنّ رسول الله ﷺ إذا رجع آمن به الناس كلهم.

قال: وحدثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن أبي حمزة، عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج: يا شهر! آية في كتاب الله قد أعيتني، فقلت: أيّها الأمير! أيّة آية هي؟ فقال: قوله: ﴿وَإِن مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ والله لأنّي لآمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه، ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتّى يحمل، فقلت: أصلح الله الأمير! ليس على ما تأوّلت، قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ ولا غيره إلّا آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهدي. قال: ويحك! أنّى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت: حدّثني به محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فقال: جئت والله بها من عين صافية[2].

٧ ـ حديث معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾[3]؟ قال:

«هي والله للنّصاب، قال: جعلت فداك! قد رأيناهم دهرهم الأطول في كفاية حتى ماتوا؟ قال: ذاك والله في الرّجعة، يأكلون العذرة»[4].

٨ ـ حديث الحسن بن الجهم، قال: قال المأمون للرضا عليه السلام: يا أباالحسن! ما

---

(١) سورة النساء، الآية ١٥٩.

(٢) بحار الأنوار ٥٣/٥٠ الباب ٢٩ ح ٢٤.

(٣) سورة طه، الآية ١٢٤.

(٤) بحار الأنوار ٥٣/٥١ الباب ٢٩ ح ٢٨.

تقول في الرجعة ؟

فقال عليه السلام :

« إنّها الحقُّ، قد كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن[1]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يكون في هذه الامّة كلُّ ما كان في الامم السالفة حذو النّعل بالنّعل، والقذّة بالقذّة، وقال صلى الله عليه وآله : إذا خرج المهديُّ من ولدي نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلّى خلفه، وقال صلى الله عليه وآله : إنّ الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، قيل: يارسول الله ثم ماذا يكون ؟ قال: ثمَّ يرجع الحقُّ إلى أهله ... »[2].

٩ ـ ما جاء في الزيارة الجامعة المباركة التي رواها الشيخ الصدوق بسنده المعتبر عن موسى بن عبدالله النخعي، عن أبي الحسن الثالث الامام الهادي عليه السلام :

« وجعلني ممن يقتصُّ آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم، ويحشر في زمرتكم، ويكرُّ في رجعتكم، ويملّك في دولتكم، ويشرَّف في عافيتكم، ويمكّن في أيّامكم، وتقرُّ عينه غداً برؤيتكم ».

وفي زيارة الوداع :

« ومكنّني في دولتكم وأحياني في رجعتكم »[3].

١٠ ـ حديث أحمد بن عقبة، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام ، سئل عن الرَّجعة أحقٌ هي ؟ قال :

---

(١) كما تلاحظه فيما اقتصّه الله تعالى في سورة البقرة الآيتان ٥٥ و ٥٦ من خبر قوم موسى عليه السلام ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

(٢) بحار الأنوار ٥٣/٥٩ الباب ٢٩ ح ٤٥.

(٣) بحار الأنوار ٥٣/٩٢ الباب ٢٩ ح ٩٩.

« نعم، فقيل له: من أوّل من يخرج؟ قال: الحسين يخرج على أثر القائم عليه‌السلام، قلت: ومعه الناس كلهم؟ قال: لا بل كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾[(١)] قوم بعد قوم».

وعنه عليه‌السلام:

« ويقبل الحسين عليه‌السلام في أصحابه الذين قتلوا معه، ومعه سبعون نبياً كما بعثوا مع موسى بن عمران، فيدفع إليه القائم عليه‌السلام الخاتم، فيكون الحسين عليه‌السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه، ويواريه في حفرته»[(٢)].

.. إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة الفائقة عن حدّ التواتر، والموجبة للقطع واليقين بذلك الرجوع الزاهر، فيلزم الإعتقاد به، والتديّن بحقانيته.

وقد ورد في زيارة صاحب الأمر أرواحنا فداه: «اللهمَّ إني أدين لك بالرجعة بين يدي صاحب هذه البقعة»[(٣)].

٣ ـ دليل الاجماع:

قد تظافر نقل الإجماع من الإماميّة الحقّة على الرجعة بل صُرّح بكونها من ضروريات مذهبهم كما تلاحظه فيما أفاده الأعلام العظام.

فقد أفاد الشيخ المفيد في المسائل العكبرية: «قد قالت الاماميّة إن الله تعالى ينجز الوعد بالنصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم، والكرّة التي وعد بها المؤمنين»[(٤)].

---

(١) سورة النبأ، الآية ١٨.

(٢) بحار الأنوار ١٠٣/٥٣ الباب ٢٩ ح ١٣٠.

(٣) مفاتيح الجنان المعرّب ص ٥٢٩.

(٤) المسائل العكبرية ص ٧٤.

وقال السيد المرتضى في المسائل الرازيّة: «اعلم أنّ الذي تذهب الشيعة الامامية إليه أنّ الله تعالى يعيد عند ظهور امام الزمان المهدي عليه السلام قوماً ممن كان قد تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته..»[١].

وقال أمين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان: «المعوّل في ذلك ـ الرجعة ـ على إجماع الشيعة الإمامية»[٢].

وقال العلّامة المجلسي في البحار: «أجمعت الشيعة عليها ـ الرجعة ـ في جميع الأعصار واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار»[٣].

وقال المحدث الحرّ العاملي في إيقاظ الهجعة: «الرجعة من ضروريات مذهب الإمامية عند جميع العلماء المعروفين والمصنفين المشهورين»[٤].

وقال السيد الشبر في حق اليقين: «إنّ أصل الرجعة حق لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه، ومنكرها خارج عن ربقة المؤمنين؛ فإنها من ضروريات مذهب الأئمة الطاهرين»[٥].

فالأدلة الثلاثة المعتبرة إذاً متطابقة، والأقوال متوافقة، والآراء متفقة على كون الرجعة من العقائد الحقة والوقايع الصادقة.

هذا، مضافاً إلى إمكان الرجعة عقلاً لوقوعها في الأمم سابقاً، والوقوع دليل الإمكان..

ولا شك أن من المحاسن العقلية تحقق حكومة العدل الإلهي والدولة الكريمة

---

(١) المسائل الرازيّة ١/١٢٥.

(٢) مجمع البيان ٧/٢٣٥.

(٣) بحار الأنوار ٥٣/١٢٣.

(٤) إيقاظ الهجعة ص ٦٠.

(٥) حق اليقين ٢/٣٥.

وانتشار الدين في رجعة الأئمة المعصومين مع إحياء الصفوة الذين تقر عيونهم بها، والطائفة من الكافرين الذين ترغم أنوفهم بمشاهدتها، وهو من استمرار العدل ومحو الظلم الذي يحكم العقل بحسنه..

والرجعة تحقق هذا المعنى فتكون مورداً للحسن العقلي مضافاً إلى الامكان الوقوعي..

أنعم الله تعالى علينا وأقرّ عيوننا بفيض سرور تلك الرجعة الحقّة والدولة المحقة إن شاء الله تعالى.

***

يوم المعاد

المعاد بمعنى المصير والمرجع، وهـو فـي الأصـل اللـغوي مَـفْعَل أي مَـعْوَد.. مأخوذ من العود، ويـطلق لغـة عـلى المـعنى المـصدري يـعني العـود والرجـوع، وعلى زمانالعود فيكوناسم زمان، كمايطلق على مكان العود فيكون اسم مكان.

هذا اشتقاقاً وإطلاقاً، وأمّا تعريفاً فقد عرّفه الشيخ الطريحي في مجمع البحرين بأنه هو: «بعث الأجسام البشرية وتعلق أنفسها بها للنفع والانتصاف والجزاء»[1].

وعرّفه الفـاضل المـقداد فـي الإرشـاد بأنـه هـو: «الوجـود الثـاني للأشـخاص الإنسانية بعد موتها لأخذ الحق منها أو إيفائه»[2].

فالمعاد إذاً هو إعـادة جسـد الإنسـان بـروحه وبـعثه فـي القـيامة ـ ذلك اليـوم الرهيب ـ يوم الحساب العدل والخلود الفصل.

والإعتقاد بهذا اليوم الأعظم من العقائد الحقة الأصيلة المهذبة للنفوس البشرية، قال شيخنا الصدوق في الإعتقادات: «اعتقادنا في البعث أنّه حقّ»[3].

وقال العلّامة الحلي في محكي كتاب أنوار المـلكوت الذي هـو شـرح كـتاب الياقوت لأبي إسـحاق إبـراهـيم النـوبختي الذي هـو مـن قـدماء المـتكلمين، كـما

---

(١) مجمع البحرين ص ٣١٩.

(٢) الارشاد ٣٨٥.

(٣) اعتقادات الصدوق ص ٦٤.

حكاه في حق اليقين[١]: «اتفق المسلمون على إعادة الأجساد خلافاً للفلاسفة».

وقال المحقق الدواني في محكي شرح العقائد العضدية كما حكاه في حق اليقين[٢]: «والمعاد ـ أي المعاد الجسماني ـ فإنّه المتبادر من إطلاق أهل الشرع إذ هو الذي يجب الإعتقاد به ويكفر من أنكره.. حق بإجماع أهل الملل الثلاثة».

وقال شيخ الاسلام المجلسي رضوان الله تعالى عليه في بحار الأنوار:

«اعلم أنّ القول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع المليّين وهو من ضروريات الدين، ومنكره خارج عن عداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصّة لا يعقل تأويلها، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردّها ولا الطعن فيها، وقد نفاه أكثر ملاحدة الفلاسفة تمسكاً بامتناع إعادة المعدوم، ولم يقيموا دليلاً عليه، بل تمسّكوا تارة بادعاء البداهة، وأخرى بشبهات واهية لا يخفى ضعفها على من نظر فيها بعين البصيرة واليقين وترك تقليد الملحدين من المتفلسفين»[٣].

وقال السيد الشبر في حق اليقين: «القول بالمعاد الجسماني والروحاني معاً أقوى المذاهب، وهو الذي دلّت عليه الآيات القرآنية والأحاديث المعصومية وأيدته المؤيدات العقلية حيث إن الكاسب للطاعات والمعاصي البدن والروح معاً فينبغي عودهما معاً»[٤].

هذا، والأدلة القطعية والبراهين الجلية متَّفِقَةٌ في إثبات هذا الأصل الأصيل والأمر الجليل بالكتاب والسنة والإجماع والعقل مما يوجب العلم واليقين لكل عاقل مستبين.. بل وضوح معناه العرفي وتطابق الأدلة على عود الروح والبدن

---

(١) حق اليقين ٢/٣٦.

(٢) حق اليقين ٢/٣٧.

(٣) بحار الانوار ٧/٤٧.

(٤) حق اليقين ٢/٣٨.

يقتضي ضروريته، والأدلة هي:

١ ـ دليل الكتاب:

ما أكثر الآيات القرآنية والحكم الربانيّة في بيان يوم القيامة وشؤون يوم الطامّة حتى قال بعض أهل المعرفة: إنّها تقارب ألف آية كريمة وإشارة قيّمة.

وقد أحصاها العلّامة المجلسي قدس سره في أبواب متعددة من كتاب العدل والمعاد في المجلد السابع من بحار الأنوار، فلاحظ.

ويكفيك تصديقاً وتأكيداً وتهويلاً من الآيات الشريفة المبيّنة للمعاد الآيتان الأولتان من سورة الحج المباركة، قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾**[١].

وتلاحظ لمزيد البيان تفسير القرآن بالنسبة إلى هاتين الآيتين في البرهان[٢]، والصافي[٣]، وكنز الدقائق[٤].

وحسبك دليلاً من القرآن الكريم على المعاد بالجسم بالإضافة إلى الروح:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾**[٥]، والآية صريحة في بعثة الجلود.

٢ ـ قوله عز اسمه: **﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي**

---

(١) سورة الحج، الآيتان ١ و٢.

(٢) تفسير البرهان ٦٩٨/٢.

(٣) تفسير الصافي ٣٦١/٣.

(٤) تفسير كنز الدقائق ٤١/٩.

(٥) سورة فصلت، الآية ٢١.

أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[١]، وهي صريحة في إحياء العظام.

٣ ـ قوله جل وعلا: **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**[٢]، وهي صريحة في بعثة الأبدان بألسنتهم والأيدي والأرجل.

٤ ـ قوله جل شأنه: **﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾**[٣] حيث يستفاد إعادة جزئيات الإنسان كالبنان، وهي الأنامل.

فليس المعاد بالرّوح فقط بل بالرّوح والجسد.

٢ ـ دليل السنة:

السنة المحمدية غنيّة بالأخبار المعصومية ومتواترة بالأحاديث العلمية التي تفيد اليقين بيوم الدين وتبين تفاصيل حشر العالمين، بل تبين مصير الانسان من يوم موته إلى غاية عاقبته من الجنّة أو النار.

كما تلاحظ ذلك في الاحتجاج[٤]، والبحار[٥]، ومعالم الزلفى[٦].

وتلاحظ دراسة نموذج من تلك الدرر الغوالي في أحاديث النبي وأهل البيت عليهم السلام فيما يلي:

١ ـ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بالغرّاء وقد ورد فيها:

« حتى إذا تصرّمت الأمور، وتقضّت الدهور، وأزف النشور أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارح المهالك سراعاً

---

(١) سورة يس، الآيتان ٧٨ و٧٩.

(٢) سورة النور، الآية ٢٤.

(٣) سورة القيامة، الآيتان ٣ و٤.

(٤) الاحتجاج ٢/٩٧.

(٥) بحار الأنوار ج ٧ أبواب المعاد.

(٦) معالم الزلفى ص ١٣٤، الجملة الرابعة.

إلى أمره، مهطعين إلى معاده»[١].

٢ ـ حديث الاحتجاج عن الإمام الصادق عليه السلام في جواب المسائل:

«... قال: افتتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟

قال عليه السلام: بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء، وتفنى فلا حس ولا محسوس، ثم أعيدت الأشياء، كما بدأها مدبرها، وذلك أربعمائة سنة يسبت[٢] **فيها الخلق، وذلك بين النفختين.**

قال: وأنّى له بالبعث والبدن قد بلي، والأعضاء قد تفرقت! فعضو ببلدة يأكلها سباعها، وعضو باخرى تمزقه هوامها، وعضو قد صار تراباً بُني به مع الطين حائط؟

قال عليه السلام: إن الذي أنشأه من غير شيء، وصوّره على غير مثالٍ كان سبق إليه، قادر أن يعيده كما بدأه.

قال: أوضح لي ذلك؟

قال عليه السلام: إن الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً كما منه خلق، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها، مما أكلته ومزقته، كل ذلك في التراب، محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور، فتربو الأرض ثم تمخضوا مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٨٣.

(٢) من السُبات، وهو النوم.

غسل بالماء، والزبد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تراب كل قالب إلى قالبه، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصور كهيأتها، وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً...»[١].

٣ ـ حديث جامع الأخبار: إنَّ فاطمة صلوات الله عليها قالت لأبيها: يا أبت أخبرني كيف يكون الناس يوم القيامة؟

قال ﷺ:

« يا فاطمة! يشغلون فلا ينظر أحد إلى أحد، ولا والد إلى الولد ولا ولد إلى أمّه؛ قالت: هل يكون عليهم أكفان إذا خرجوا من القبور؟

قال: يا فاطمة! تبلى الأكفان وتبقى الأبدان، تستر عورة المؤمن، وتبدى عورة الكافرين.

قالت: يا أبت! ما يستر المؤمنين؟

قال: نور يتلألأ لا يبصرون أجسادهم من النور، قالت: يا أبت! فأين ألقاك يوم القيامة، قال: انظري عند الميزان وأنا أنادي: ربّ أرجِح من شهد أن لا إله إلّا الله، وانظري عند الدواوين إذا نشرت الصحف وأنا أنادي: ربّ! حاسب أمّتي حساباً يسيراً، وانظري عند مقام شفاعتي على جسرجهنّم، كلّ إنسان يشتغل بنفسه وأنا مشتغل بأمّتي أنادي: يا ربّ! سلّم أمّتي، والنبيّون عليهم السلام حولي ينادون: ربّ! سلّم أمة محمد ﷺ.

وقال عليه السلام: إنّ الله يحاسب كلّ خلق إلّا من أشرك بالله فإنّه لا يحاسب ويؤمر به إلى النار»[٢].

---

(١) الاحتجاج ٢/٩٧ـ٩٨.

(٢) بحار الأنوار ٧/١١٠ الباب ٥ ح ٤١.

٤ ـ حديث ابن مسعود قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«إنّ في القيامة لخمسين موقفاًكلّ موقف ألف سنة، فأوّل موقف خرج[١] من قبره حبسوا ألف سنة عراة حفاة جياعاً عطاشاً، فمن خرج من قبره مؤمناً بربّه ومؤمناً بجنّته وناره ومؤمناً بالبعث والحساب والقيامة مقرّاً بالله مصدّقاً بنبيه صلى الله عليه وآله وبما جاء من عند الله عزَّ وجلَّ نجا من الجوع والعطش، قال الله تعالى: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾[٢] من القبور إلى الموقف أُمماً، كلّ أُمّة مع إمامهم، وقيل: جماعات مختلفة»[٣].

٥ ـ حديث حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام:

«ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنَّ في القيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مثل ألف سنة ممّا تعدُّون، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٤]»[٥].

٦ ـ حديث ثوير بن أبي فاخته، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: سئل عن النفختين: كم بينهما؟ قال: ما شاء الله، فقيل له: فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال:

«أما النفخة الأولى فإنّ الله يأمر اسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه الصور، والصور رأسٌ واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء

---

(١) هكذا ورد في البحار وفي مصدر الحديث وهو جامع الأخبار ولعل الأصل خرجوا من قبورهم.

(٢) سورة النبأ، الآية ١٨.

(٣) بحار الأنوار ٧/١١١ الباب ٥ ح ٤٢.

(٤) سورة المعارج، الآية ٤.

(٥) بحار الأنوار ٧/١٢٦ الباب ٦ ح ٣.

والأرض، فإذا رأت الملائكة إسرافيل هبط إلى الدنيا ومعه الصور، قالت: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رأوه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلّا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء فلا يبقى ذو روح في السماوات إلّا صعق ومات إلّا إسرافيل، قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل! مُت، فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر الله السماوات أن تمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً﴾[١] يعني تنبسط وتبدل الأرض غير الأرض يعني بأرض لم تكتسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أوّل مرّة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرّة، مستقلاً بعظمته وقدرته.

قال: فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله بصوت من قبله جهوري يُسمع أقطار السماوات والأرضين: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[٢] فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يجيب الجبّار ـ وفي نسخة: يقول الجبّار ـ لنفسه ﴿لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٣] وأنا قهرت الخلائق كلّهم إني أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتّهم بمشيتي وأنا أُحييهم

---

(١) سورة الطور، الآيتان ٩ و١٠.

(٢) سورة غافر، الآية ١٦.

(٣) سورة غافر، الآية ١٦.

بقدرتي، قال: فينفخ الجبّار نفخة في الصور فيخرج الصوت من أحد طرفيه الذي يلي السماوات فلا يبقى أحد في السماوات إلّا حَيِي وقام كما كان، ويعود حملة العرش وتحضر الجنّة والنار وتحشر الخلائق للحساب.

قال: فرأيت علي بن الحسين عليهما السلام يبكي عند ذلك بكاءاً شديداً»[1].

٣ ـ دليل الاجماع:

مضافاً إلى دليل الكتاب القطعي والحديث العلمي دلّت الاجماعات الجليّة بل إجماع جميع الفرق المِليّة على تحقق يوم المعاد وجزاء جميع العباد.

بل هو ضروري من ضروريات الدين وبديهيات الشرع المبين بحيث يوجب العلم واليقين كما عرفت ذلك من كلمات العلّامة الحلي في محكى أنوار الملكوت، وشيخ الاسلام المجلسي في سابع البحار، والمحقق الدواني في شرح العقائد.

٤ ـ دليل العقل:

بالإضافة إلى الأدلّة المتقدّمة يحكم العقل السليم والنظر المستقيم بتحقق يوم المعاد لحساب العباد، وذلك لوجوه عديدة:

أوّلاً: أنّ الكون كما نراه ونجده مبني على أساس العدل ونظام العدالة، وبالعدل قامت السماوات والأرض، وما من خلل يخالف العدل إذا وقع في الكون إلّا وظهرت مساويه وبدت مفاسده.

على هذا النظام يُلزم العقل باستقرار العدل بمعاقبة المجرم، وإثابة المحسن.

ولا تحصل هذه الحقيقة ولا يتحقق هذا الحق في هذا العالم بالبداهة.. فلابدّ وأن يتشكل عالم يُقضى فيه بالعدل ويُحكم فيه بالانصاف، فينتصف من الظالم وينتصر

---

(١) معالم الزلفى ص ١٣٥ الباب ٦ ح ١ عن تفسير القمي ٢/٢٥٢.

للمظلوم، ولولاه لذهبت حقوق العباد ولضاعت الدماء بالفساد، وهو ظلم لا يقبله العقل في جزءٍ حقير وزمانٍ يسير في هذا الكون ـ فكيف بمرّ الأجيال في الأزمنة الطوال ـ على ظهر جميع الأرض البسيطة وبالنسبة إلى جميع الخلق والخليقة.

لذلك يحكم العقل على أساس العدل بتحقق يوم الفصل.

ثانياً: إنّ الحكمة الإلهيّة البالغة تقضي بيوم المعاد ومجازاة العباد، وإلّا لكان التكليف عبثاً وكان إرسال الأنبياء لغواً وكان الوعد والوعيد باطلاً.

وحاشا الحكيم العليم العادل عن ذلك أبداً!

فلابدّ وأن يتحقق الرجوع هنالك باقتضاء الحكمة حتى لا يلزم العبث واللغو والبطلان.

فيحكم العقل على أساس حكمة الله الحكيم بتحقق ذلك اليوم العظيم.

ثالثاً: إنّه لو لم يكن ذلك اليوم الخالد ولم يظهر الفرق بين العاصي والمطيع لتساوى الأنبياء النبلاء مع أشقى العصاة الأشقياء، وتعادَلَ جبابرة الكافرين مع كبار المؤمنين، وتساوى البَرُّ والفاجر وتوازَنَ الظلم والعدل والحق مع الباطل والنور مع الظلمة.

وهذا شيء قبيح مخالف للحق الصريح فيحكم العقل باستحالته على الله تعالى.

وعليه، فالعقل حاكم على أساس الحسن وعدم القبح بضرورية يوم الحشر للإنسان، وقيام يوم المعاد والميزان، لتمييز الحق وإبطال الباطل.

على أنّ الفطرة بنفسها تقضي بمجازاة الظالم ومؤاخذة الجاني.. حتى فطرة الملحدين والمنكرين للربوبية؛ لذلك تراهم يعاقبون السارق ويؤاخذون المتجاوز..

فحقّانية يوم القيامة ثابتة بوحي الفطرة، مضافاً إلى ما تقدم من الأدلة.

مراحل القيامة

المراحل التي يمر عليها الإنسان من حين موته إلى آخر موطنه ومصيره كثيرة نعنوِن منها أربعة عشر مرحلة وهي:

١ ـ الموت

٢ ـ البرزخ

٣ ـ القبر

٤ ـ أشراط الساعة

٥ ـ نفخ الصور وفناء الدنيا

٦ ـ المحشر

٧ ـ الميزان

٨ ـ محاسبة العباد

٩ ـ الأعمال

١٠ ـ الوسيلة

١١ ـ الحوض

١٢ ـ الشفاعة

١٣ ـ الصراط

١٤ ـ الجنة والنار

١ ـ الموت

آخر يوم من أيام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة لكل فردٍ من افراد الإنسان هو يوم موته؛ فإنّه إذا مات ابن آدم قامت قيامته وابتدأت آخرته.

والموت: هي الحقيقة الثابتة التي دلّت عليها الأدلّة البرهانية بل وصلت إليها الإدراكات الوجدانيّة وكلّ منا يعلم بالموت ويراه عن يقين وعيان، ويدركه عن حِسٍّ يغني عن البيان والبرهان، فيلزم الإعتقاد بحقّانيّته والإقرار بأن كلّ حيّ سوى الله ميّت، وكل نفس ذائقة الموت؛ التزاماً بما قاله الله وجاء به النبي ﷺ.

وقد خلقه الله تعالى كما خلق الحياة، فقال عز اسمه: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾**[١].

وقد بينته الأحاديث الكثيرة وشرحته الروايات الوفيرة، وبيّنت أن الموت للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس[٢]، وللكافر أعظم ألم يحسه الشخص فيجهد كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد كما تلاحظ ذلك في الأحاديث التالية:

١ ـ حديث أحمد بن الحسن الحسينيّ، عن الامام أبي محمد العسكريّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل للصادق عليه السلام: صف لنا الموت.

قال عليه السلام:

---

(١) سورة الملك، الآية ٢.

(٢) من النعاس وهي فترة الحواس عند قرب النوم.

« للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد.

قيل: فإنّ قوماً يقولون: إنّه أشدّ من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض! ورضخ بالأحجار! وتدوير قطب الأرحية على الأحداق[1].

قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الذي هو أشدّ من هذا لا من عذاب الآخرة فإنّه أشدّ من عذاب الدنيا.

قيل: فما بالنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدّث ويضحك ويتكلّم، وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟

فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيّاً، نظيفاً، مستحقاً لثواب الأبد، لا مانع له دونه؛ وما كان من سهولة هناك على الكافر فيوفّى أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلّا ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدّة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاد حسناته ذلكم بأنَّ الله عدل لا يجور »[2].

٢ ـ ما في أحاديث جامع الأخبار مثل حديث الحسن بن علي الناصريّ، عن أبيه، عن الامام أبي جعفر الجواد، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت.

---

(١) جمع حَدَقة وهي السواد الأعظم للعين أو خصوص ناظرها.

(٢) بحار الأنوار ١٥٢/٦ الباب ١ ح ٦.

فقال:

« على الخبير سقطتم، هو أحد ثلاثة أُمور يرد عليه: إمّا بشارة بنعيم الأبد، وإمّا بشارة بعذاب الأبد، وإمّا تحزينٌ[١] وتهويل وأمره مبهم، لا تدري من أيّ الفرق هو: فأمّا وليّنا المطيع لأمرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد، وأمّا عدوّنا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأمّا المبهم أمره الّذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثمّ لن يسوّيه الله عزَّ وجلَّ بأعدائنا لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتّكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عزَّ وجلَّ فإنّ من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلّا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة.

وسئل الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: ما الموت الّذي جهلوه؟

قال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور[٢] يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنّتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد.

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: لمّا اشتدّ الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم و وجلت قلوبهم، وكان الحسين صلوات الله عليه وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم، وتهدئ جوارحهم، وتسكن نفوسهم.

---

(١) في المصدر ـ يعني جامع الأخبار ـ: تخويف.

(٢) الثبور هو الهلاك والخسران.

فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت!

فقال لهم الحسين عليه السلام: صبراً بني الكرام! فما الموت إلا قنطرةٌ يعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسطة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟ وما هو لأعدائكم إلّا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب.

إن أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ماكَذبت ولا كُذبت.

وقال محمد بن علي عليه السلام: قيل لعلي بن الحسين عليه السلام: ما الموت؟

قال: للمؤمن كنزع ثياب وسخة قَمِلة، وفكّ قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطئ المراكب، وآنس المنازل؛ وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل أنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظم العذاب.

وقيل لمحمّد بن علي عليه السلام: ما الموت؟

قال: هو النوم الّذي يأتيكم كلّ ليلة، إلّا أنّه طويل مدّته، لا ينتبه منه إلّا يوم القيامة، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر[1] قدره ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه؟ هذا هو الموت فاستعدّوا له»[2].

٣ ـ حديث أحمد بن الحسن الحسيني، عن الامام أبي محمّد العسكري، عن

(١) كذا ورد في البحار وفي مصدره معاني الأخبار ولعل الأصل يُقدَّر.

(٢) بحار الأنوار ٦/١٥٣ ـ ١٥٥ الباب ١ ح ٩.

آبائه عليهم السلام قال:

«دخل موسى بن جعفر عليه السلام على رجل قد غرق في سكرات الموت وهو لا يجيب داعياً، فقالوا له: يابن رسول الله! وددنا لو عرفنا كيف الموت وكيف حال صاحبنا؟

فقال: الموت هو المصفاة تصفّي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم كفّارة آخر وزر بقي عليهم؛ وتصفّي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذّة أو راحة تلحقهم هو آخر ثواب حسنة تكون لهم، وأمّا صاحبكم هذا فقد نخل[١] من الذنوب نخلاً وصفّي من الآثام تصفيةً، وخُلّص حتى نقي كما ينقى الثوب من الوسخ، وصلح لمعاشرتنا أهل البيت في دارنا دار الأبد»[٢].

وغيرها من الأخبار التي تبيّن كيفية الموت وحقيقته.

قال شيخنا المفيد أعلى الله مقامه في تصحيح الإعتقادات: «الموت هو يضادّ الحياة، يبطل معه النموّ ويستحيل معه الإحساس، وهو يحلّ محلّ الحياة فينفيها، وهو من فعل الله تعالى وليس لأحد فيه صنع ولا يقدر عليه أحد إلّا الله تعالى»[٣].

فالموت حقيقة يلزم الاعتراف به والانتقال بواسطته إلى عالم الآخرة.. البرزخ والقيامة وهو يتحقق بأمر الله القاهر فوق عباده فانّه يتوفى الأنفس حين موتها.

ويتنفّذ بواسطة ملك الموت وأعوانه كما في قوله تعالى: **﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ**

---

(١) نخل الدقيق غربلته وإزالة نخالته، ويقال: نخل الشيء أي صفاه.

(٢) بحار الأنوار ١٥٥/٦ الباب ١ ح ١٠.

(٣) تصحيح الإعتقاد ص ٩٤.

﴿الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[١] ويكون ذلك بأمر الله تعالى كما تراه في أحاديث البحار التالية:

١ ـ حديث زيد الشحّام قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن ملك الموت يقال:

«الأرض بين يديه كالقصعة[٢] يمدّ يده حيث يشاء؟

قال: نعم»[٣].

٢ ـ حديث أسباط بن سالم مولى أبان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك! يعلم ملك الموت بقبض من يقبض؟

قال:

«لا إنّما هي صكاك[٤] تتنزّل من السماء: اقبض نفس فلان بن فلان»[٥].

واعلم أنّه يطيب به المؤمن ويُبشر به ولا يكون إكراهاً عليه، ويرهق به الفاجر ويكون مستحقاً له كما في الأحاديث التالية:

١ ـ حديث جامع الأخبار: قال إبراهيم الخليل عليه السلام لملك الموت:

«هل تستطيع أن تريَني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر؟

قال: لا تطيق ذلك، قال: بلى، قال: فأعرض عني: فأعرض عنه ثمَّ التفت فإذا هو برجل أسود، قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان؛ فغشي على إبراهيم عليه السلام ثـمَّ أفـاق،

(١) سورة السجدة، الآية ١١.

(٢) القصعة: الجفنة.

(٣) بحار الأنوار ٦/١٤٤ الباب ٥ ح ١٢.

(٤) صكاك جمع صك وهو الكتاب الذي يكون كالسجل.

(٥) بحار الأنوار ٦/١٤٥ الباب ٥ ح ١٦.

فقال: لو لم يلق الفاجر عند موته إلّا صورة وجهك لكان حسبه»[١].

٢ ـ ما رواه أبوطاهر المقلّد بن غالب، عن رجاله بإسناده المتّصل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه رآه وهو ساجد يبكي حتى علا نحيبه وارتفع صوته بالبكاء، فقالوا له: يا أمير المؤمنين! لقد أمرضنا بكاؤك وأمضّنا وشجانا[٢]، وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل قطّ.

فقال:

«كنت ساجداً أدعو ربّي بدعاء الخيرات في سجدتي فغلبني عيني فرأيت رؤياً هالتني وأقلقتني، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قائماً وهو يقول: يا أباالحسن! طالت غيبتك فقد اشتقت إلى رؤياك، وقد أنجز لي ربّى ما وعدني فيك. فقلت: يا رسول الله! وما الّذي أنجز لك فيَّ؟ قال: أنجز لي فيك وفي زوجتك وابنيك وذرّيّتك في الدرجات العلى في علّيّين؛ قلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله! فشيعتنا؟ قال: شيعتنا معنا، وقصورهم بحذاء قصورنا، ومنازلهم مقابل منازلنا؛ قلت: يا رسول الله! فما لشيعتنا في الدنيا؟ قال: الأمن والعافية، قلت: فما لهم عند الموت؟ قال: يحكم الرجل في نفسه ويؤمر ملك الموت بطاعته، قلت: فما لذلك حدّ يعرف؟ قال: بلى، إنّ أشدّ شيعتنا لنا حبّاً يكون خروج نفسه كشرب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الذي ينتقع به القلوب وإنَّ سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم على فراشه كأقرّ ما كانت عينه بموته»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ١٤٣/٦ الباب ٥ ح ٨.

(٢) يقال: أمضّه الأمر أي احرقه وشقّ عليه، وأمضّه الجرح أي أوجعه، وشجا الرجل أي أحزنه.

(٣) بحار الأنوار ١٦١/٦ الباب ٦ ح ٣٠.

٣ ـ حديث أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك! يستكره المؤمن على خروج نفسه؟ قال: فقال:

« لا والله، قال: قلت: وكيف ذاك؟ قال: إنّ المؤمن إذا حضرته الوفاة حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وجميع الأئمة عليهم الصلاة والسلام، ـ ولكن أكنّوا عن اسم فاطمة ـ ويحضره جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام، قال: فيقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: يا رسول الله! إنّه كان ممّن يحبّنا ويتولانا فأحبّه، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل! إنّه ممّن كان يحبُّ علياً وذرّيته فأحبّه، وقال جبرئيل لميكائيل وإسرافيل عليهما السلام مثل ذلك، ثمَّ يقولون جميعاً لملك الموت: إنّه ممّن كان يحبّ محمّداً وآله ويتولى علياً وذريّته فارفقْ به، قال: فيقول ملك الموت: والذي اختاركم وكرّمكم واصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوة، وخصّه بالرسالة لأنا أرفق به من والد رفيق، وأشفق عليه من أخ شفيق.

ثمَّ قام إليه ملك الموت فيقول: يا عبد الله! أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت رهان أمانك؟ فيقول: نعم، فيقول الملك: فبماذا؟ فيقول: بحبي محمّداً وآله، وبولايتي علي بن أبي طالب وذريّته، فيقول: أمّا ما كنت تحذر فقد آمنك الله منه؛ وأمّا ما كنت ترجو فقد أتاك الله به، افتح عينيك فانظر إلى ما عندك.

قال: فيفتح عينيه فينظر إليهم واحداً واحداً، ويفتح له باب إلى الجنة فينظر إليها، فيقول له: هذا ما أعدّ الله لك، وهؤلاء رفقاؤك، أفتحبّ اللّحاق بهم أو الرجوع إلى الدنيا؟

قال: فقال أبوعبدالله عليه السلام: أما رأيت شخوصه[1] ورفع حاجبيه إلى فوق من قوله: لا حاجة لي إلى الدنيا ولا الرجوع إليها؟ ويناديه مناد من بطنان العرش يسمعه ويسمع من بحضرته: ﴿يا أيّتها النفس المطمئنّة﴾ إلى محمّد ووصيّه والأئمة من بعده ﴿ارجعي إلى ربّك راضية﴾ بالولاية، ﴿مرضيّة﴾ بالثواب، ﴿فادخلي في عبادي﴾ مع محمّد وأهل بيته ﴿وادخلي جنّتي﴾ غير مشوبة»[2].

كما وأنّ بحضور النبي الأكرم والأئمة العظام عليهم سلام الله الملك العلّام يكون سرور المؤمن في موته وحضوره عند أوليائه كما تلاحظه في حديث وبيان العلّامه المجلسي قدس سره في البحار[3].

فيلزم على الإنسان في وفوده هذا إلى الله تعالى أن يكون متّكلاً على رحمته الواسعة وآملاً محبّة أهل البيت النافعة ومتعوذاً بالله من وساوس الشيطان والعديلة عند الموت التي تلاحظ تفصيلها في المعالم الزلفى[4].

***

(١) يقال: شَخَص بصره أي فتح عينيه، وشخص ببصره أي رفعه.

(٢) بحار الأنوار ٦/١٦٢ـ١٦٣ الباب ٦ ح ٣١.

(٣) بحار الأنوار ٦/٢٠٠.

(٤) المعالم الزلفى ص ٧١.

٢ـ البرزخ

البرزخ في اللغة هو الحاجز بين الشيئين كما في مجمع البحرين[١].

وكل فصلٍ بين شيئين برزخ كما في مجمع البيان[٢].

وأفاد في المفردات[٣]: «البرزخ هو الحاجز والحدّ بين الشيئين، قيل أصل برزخ: برزه، ومنه قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾[٤]».

هذا لغةً، وعالم البرزخ في الاصطلاح هو ما بين العالَمين الدنيا والآخرة كما أفاده في مرآة الأنوار[٥].

ويلزم الإعتقاد بعالم البرزخ الذي هو ما بين الموت لكل انسان والقيامة وما فيه من الأمور، كما أفاده السيد الشبّر في حقّ اليقين[٦].

وقد ثبت هذا العالم بدليل الكتاب والسنة:

أمّا الكتاب:

فمثل قوله تعالى: ﴿.. وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٧].

---

(١) مجمع البحرين ص ١٩١.

(٢) مجمع البيان ١١٦/٧.

(٣) المفردات ص ٤٣.

(٤) سورة الرحمن، الآية ٢٠.

(٥) مرآة الأنوار ص ٦٤.

(٦) حق اليقين ٦٤/١.

(٧) سورة المؤمنون، الآية ١٠٠.

وأمّا السنّة:

فالأحاديث العديدة الواردة في كتب الأخبار مثل الأحاديث التالية:

١ ـ ما في تفسيرالقمي: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ**﴾[١] إلى قوله: ﴿**إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا**﴾ فإنّها نزلت في مانع الزكاة، قوله: ﴿**وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ قال: البرزخ هو أمربين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، وهو ردّ على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل يوم القيامة، وهو قول الصادق عليه السلام: «**والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ، فأمّا إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم**».

وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: «**إنّ القبر روضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حفر النيران**»[٢].

٢ ـ حديث أبي ولّاد الحنّاط، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك! يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال:

«**لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم**»[٣].

فبموت الإنسان يبدأ هذا العالم الأوسط ويجري فيه الجزاء بالثواب أو العقاب؛ فإنه وإن مات البدن إلّا أنّ الروح حيّ باقٍ حساسٌ مشعر يحسّ اللذات والآلام.

والمعتقد الصحيح هو بقاء الأرواح كما صرّح به شيخ المحدّثين الصدوق في الإعتقادات[٤].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٩٩.

(٢) بحار الأنوار ٢١٤/٦ الباب ٨ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار ٢٦٨/٦ الباب ٨ ح ١١٩.

(٤) الإعتقادات للصدوق ص ٤٧.

بل المستظهر من الأدلّة كالآيات الكثيرة والأخبار المستفيضة والبراهين القطعية هو أنّ النفس باقية بعد الموت في عالم البرزخ.. إمّا معذبة كمن مُحض الكفر، أو منعمةً كمن مُحض الايمان، أو يُلهى عنها كمن كان من المستضعفين، وقد يذوق شيئاً من الجُهد إن كان من العاصين.

ويدل على بقاء الروح، الكتاب والسنة بالبيان التالي:

١ ـ دليل الكتاب على بقاء الروح:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوا فِي سَبِيْلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِيْنَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِيْنَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[١].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيْلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلٰكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾**[٢].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾**[٣] حيث فُسر بجنة الدنيا بدليل قوله عز اسمه «بكرةً وعشياً» فالُبكرة والعشي لا تكونان في الآخرة في جنان الخُلد.

فيستفاد من هذه الآيات الشريفة الحياة بعد الشهادة والموت لصراحة صفات الأحياء.

٢ ـ دليل السنة على بقاء الروح:

مثل أحاديث البحار في أحوال البرزخ نظير ما يلي:

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٤.

(٣) سورة مريم، الآية ٦٢.

١ ـ حديث الفضل بن شاذان من كتاب صحائف الأبرار: إنّ أمير المـؤمنين عليه السلام اضطجع في نجف الكوفة على الحصى فقال قنبر: يا مولاي! ألا أفرش لك ثوبي تحتك؟

فقال:

«لا إن هي إلّا تربة مؤمن، أو مزاحمته في مجلسه.

فقال الأصبغ بن نباتة: أمّا تربة مؤمن فقد علمنا أنّهاكانت أو ستكون، فما معنى مزاحمته في مجلسه؟

فقال: يابن نباتة! إنّ في هذا الظهر أرواح كلّ مؤمن ومؤمنة في قوالب من نور على منابر من نور»[1].

٢ ـ حديث قيس مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال:

«إنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام كان قريباً من الجبل بصفّين، فحضرت صلاة المغرب فأمعن[2] **بعيداً، ثمَّ أذّن، فلمّا فرغ عن أذانه إذا رجل مقبل نحو الجبل، أبيض الرأس واللّحية والوجه، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، مرحباً بوصيّ خاتم النبيّين، وقائد الغرّ المحجّلين، والأعزّ المأمون، والفاضل الفائز بثواب الصدّيقين، وسيد الوصيّين؛ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وعليك السلام،كيف حالك؟ فقال: بخير أنا منتظر روح القدس، ولا أعلم أحداً أعظم في الله عزَّ وجلَّ اسمه بلاءاً ولا أحسن ثواباً منك، ولا أرفع عند الله مكاناً، اصبر يا أخي على ما أنت فيه حتى تلقى الحبيب، فقد رأيت أصحابنا ما لقوا بالأمس من بني**

---

(١) بحار الأنوار ٢٣٧/٦ الباب ٨ ح ٥٥.

(٢) يقال: أمعن في النظر أي بالغ في الإستقصاء، وكذا أمعن في الطلب، ويقال: أمعن في الأمر أي أبعد.

إسرائيل، نشروهم بالمناشير، وحملوهم على الخشب، ولو تعلم هذه الوجوه التَرِبَة الشائهة[١] ـ وأومأ بيده إلى أهل الشام ـ ما أُعدّ لهم في قتالك من عذاب وسوء نكال لأقصروا، ولو تعلم هذه الوجوه المبيضّة ـ وأومأ بيده إلى أهل العراق ـ ماذا لهم من الثواب في طاعتك لودّت أنّها قرضت بالمقاريض، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ثمَّ غاب من موضعه. فقام عمّار بن ياسر، وأبوالهيثم بن التيهان، وأبوأيّوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، وخزيمة بن ثابت، وهاشم المرقال في جماعة من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ـ وقدكانوا سمعوا كلام الرجل ـ فقالوا: يا أمير المؤمنين! من هذا الرجل؟ فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: هذا شمعون وصي عيسى عليه السلام، بعثه الله يصبّرني على قتال أعدائه، فقالوا له: فداك آباؤنا وأُمّهاتنا، والله لننصرنَّك نصرنا لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يتخلّف عنك من المهاجرين والأنصار إلّا شقيّ؛ فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام معروفاً»[٢].

٣ ـ حديث زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إنّ أرواح المؤمنين يرون آل محمّد عليهم السلام في جبال رضوى فتأكل من طعامهم، وتشرب من شرابهم، وتحدّث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت عليه السلام فإذا قام قائمنا بعثهم الله وأقبلوا معه يلبّون زمراً فزمراً، فعند ذلك يرتاب المبطلون، ويضمحلّ المنتحلون، وينجو المقرّبون»[٣].

---

(١) الشائهة أي القبيحة، والتَرِبة أي الفقيرة.
(٢) بحار الأنوار ٦/٢٣٨ ـ ٢٣٩ الباب ٨ ح ٥٨.
(٣) بحار الأنوار ٦/٢٤٣ الباب ٨ ح ٦٦.

٤ ـ حديث إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن الأول [الامام الكاظم] عليه السلام قال:

« سألته عن الميّت يزور أهله؟ قال: نعم، فقلت: في كم يزور؟ قال: في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته، فقلت: في أي صورة يأتيهم؟ قال: في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم، فإن رآهم بخير فرح، وإن رآهم بشرّ وحاجة وحزن اغتمّ »[١].

٥ ـ حديث يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال:

« ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ فقلت: يقولون: تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبوعبدالله عليه السلام: سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس! إذا كان ذلك أتاه محمّد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقرّبون عليهم السلام فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا »[٢].

٦ ـ حديث الاحتجاج[٣] المتقدم الذي صُرّح فيه أن الروح باقٍ إلى يوم ينفخ في الصور.

هذا، وقد أفاد العلّامة المجلسي في البحار[٤] أنّ عذاب البرزخ وثوابه مما اتفقت عليه الأمّة سلفاً وخلفاً وقال به أكثر أهل الملل، ولم ينكره من المسلمين إلّا شرذمة قليلة لا عبرة بهم، وقد انعقد الاجماع على خلافهم سابقاً ولا حقاً،

---

(١) بحار الأنوار ٢٥٧/٦ الباب ٨ ح ٩١.

(٢) بحار الأنوار ٢٦٩/٦ الباب ٨ ح ١٢٤.

(٣) الاحتجاج ٩٧/٢، وقد مرّ ذكره في صفحة ٣٧٣ من الكتاب.

(٤) بحار الأنوار ٢٧١/٦.

والأحاديث الواردة فيه من طرق الخاصة والعامة متواترة المضمون.

وعليه فالكتاب والسنة والاجماع كلها دالّة على عالم البرزخ، رحمنا الله فيه بفضله ورحمته.

***

٣ ـ القبر

القبر من المراحل الوسطى للإنسان وهوتكرمة له في البدن وسَترٌ له في الأرض وحفظٌ له عن الهوام والمؤذيات، وقد جعله الله وقدره للانسان فيما بيّن من مراحله بقوله عز اسمه: **﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أكْفَرَهُ * مِنْ أيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾**[١].

وأوّل شيء يكون في القبر بعد الدفن هو مساءلة العبد، فيُسأل المكلف الكامل عن ربّه وعن نبيه وعن وليه وعن دينه والحجج عليه، بعد أن تُرّد الحياة إلى العبد إما كاملاً أو إلى بعض بدنه، كما أفاده العلامة المجلسي أعلى الله مقامه[٢].

واعتقادنا في مساءلة القبر أنها حقّ لابدّ منها فمن أجاب بالصواب فاز بروْحٍ وريحان في قبره، وبجنّةٍ ونعيم في الآخرة.

ومن لم يأت بالصواب فله نُزُلٌ من حميم في قبره وتصليةُ جحيم في آخرته، كما أفاده الشيخ الصدوق في الإعتقادات[٣].

وقد جاءت الآثار الصحيحة عن النبي ﷺ بأن الملائكة تنزل على المقبورين

---

(١) سورة عبس، الآيات ١٧ ـ ٢١.

(٢) بحار الأنوار ٦/٢٧٠.

(٣) اعتقادات الصدوق ص ٥٨.

فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة، فمنها أنّ ملكين لله تعالى يقال لهما: ناكر ونكير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربّه ونبيّه ودينه وإمامه. فإن أجاب بالحق سلّموه إلى ملائكة النعيم، وإن أُرْتِجَ عليه[١] سلّموه إلى ملائكة العذاب، كما أفاده المفيد في التصحيح[٢].

وفي بعض الأخبار أن اسم الملكين اللذين ينزلان على المؤمن مبشّر وبشير كما في بحار الأنوار[٣]، وهو المستفاد من الدعاء المروي في أدعية شهر رجب في المصباح[٤] جاء فيه: «**وادرأ عني منكراً ونكيراً وأرِ عيني مبشراً وبشيراً**».

وقد ذكر العلّامة المجلسي الكثير من أخبار هذه المساءلة في بحار الأنوار، في أحوال البرزخ والقبر نختار منها ما يلي:

١ ـ حديث ابن أبي البلاد، عن أبيه، عن بعض أصحابه يرفعه إلى النبيّ ﷺ أنّه قال لبعض أصحابه:

«كيف أنت إذا أتاك فتّانا القبر؟ فقال: يا رسول الله! ما فتّانا القبر؟ قال: ملكان فظّان غليظان، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يطئان في أشعارهما، ويحفران بأنيابهما، فيسألانك: قال: وأنا على مثل هذه الحال[٥]؟ قال: وأنت على مثل حالك هذه، قال: إذن أكفيهما»[٦].

---

(١) يقال: أُرتج على القارئ إذا لم يقدر على القراءة واستغلق عليه الكلام.

(٢) تصحيح الإعتقادات الإمامية ص ٩٩.

(٣) بحار الأنوار ٢٨٠/٦.

(٤) المصباح لشيخ الطائفة ص ٧٣٩.

(٥) لعله بمعنى حال الإيمان والمحبة لكم.

(٦) بحار الأنوار ٢١٥/٦ الباب ٨ ح ٥.

٢ ـ حديث تفسير الحافظ محمّد بن مؤمن الشيرازي بإسناده رفعه قال: أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد! هذا الأمر لنا بعدك أم لمن؟ قال:

« يا صخر! الأمر بعدي لمن هو منّي بمنزلة هارون من موسى، فأنزل الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يعني يسألك أهل مكّة عن خلافة عليّ بن أبي طالب ﴿عَنِ النَّبَأ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ منهم المصدق بولايته وخلافته، ومنهم المكذّب ﴿كَلَّا﴾ ردّ عليهم ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ سيعرفون خلافته بعدك إنّها حقّ يكون ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[1] سيعرفون خلافته وولايته إذ يُسألون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميّت في شرق ولا غرب ولا في برّ ولا في بحر إلّا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت، يقولان للميّت: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ ومن إمامك؟ »[2].

٣ ـ ما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر:

« يا عباد الله! ما بعد الموت لمن لايغفر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوامّ: والقبر روضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار.

إنّ العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، قد كنتَ ممّن اُحب أن تمشي على ظهري، فإذا ولّيتك فستعلم كيف صنيعي بك: فيتّسع له

---

(١) سورة النبأ، الآيات ١ ـ ٥.

(٢) بحار الأنوار ٦/٢١٦ الباب ٨ ح ٦.

مدّ البصر، وإنّ الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً، لقد كنت من أبغض من يمشي على ظهري، فإذا ولّيتك فستعلم كيف صنيعي بك، فتضمّه حتى تلتقي أضلاعه؛ وإنّ المعيشة الضنك التي حذّر الله منها عدوّه عذاب القبر، إنّه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنّيناً[1] فينهشن لحمه، ويكسرن عظمه، يتردّدن عليه كذلك إلى يوم يبعث؛ لو أنّ تنّيناً منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعاً.

يا عباد الله! إنّ أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبّ الله واتركوا ما كره الله»[2].

٤ ـ حديث سليمان بن خالد قال: سألت أباعبدالله عمّا يلقى صاحب القبر؟ فقال:

«إنّ ملكين يقال لهما: منكر ونكير يأتيان صاحب القبر فيسألانه عن رسول الله ﷺ فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الّذي خرج فيكم؟ فيقول: من هو؟ فيقولان: الذي كان يقول: إنّه رسول الله، أحقٌّ ذلك؟ قال: فإذا كان من أهل الشكّ قال: ما أدري، قد سمعت الناس يقولون، فلست أدري أحقّ ذلك أم كذب؟ فيضربانه ضربةً يسمعها أهل السماوات وأهل الأرض إلّا المشركين، وإذا كان متيقّناً فإنّه لا يفزع فيقول: أعن رسول الله تسألاني؟ فيقولان: أتعلم أنّه رسول الله؟ فيقول: أشهد أنّه

---

(١) التنّين على وزن سكّين هي الحية العظيمة.

(٢) بحار الأنوار ٢١٨/٦ ـ ٢١٩ الباب ٨ ح ١٣.

رسول الله حقاً، جاء بالهدى ودين الحقّ؛ قال: فيرى مقعده من الجنّة ويُفسح له عن قبره، ثمّ يقولان له: نم نومة ليس فيها حلم في أطيب ما يكون النائم»[١].

٥ ـ حديث سليمان بن مقبل، عن الامام موسى بن جعفر، عن أبيه عليه‌السلام قال:

«إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا اُدخل قبره أتاه منكر ونكير فيُقعدانه ويقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ فيقول: ربي الله، ومحمّد نبيّي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنّة، ويُدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾[٢] يعني في قبره ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾[٣] يعني في الآخرة.

ثمَّ قال عليه‌السلام: إذا مات الكافر شيّعه سبعون ألفاً من الزبانية[٤] إلى قبره، وإنّه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كلّ شيء إلّا الثقلان ويقول: لو أنَّ لي كرّة فأكون من المؤمنين، ويقول: ارجعونِ لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية: كلّا! إنّها كلمةٌ أنت قائلها، ويناديهم ملك: لو رُدّ لعاد لما نُهي عنه.

فإذا اُدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة فيقيمانه ثمَّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيتلجلج لسانه[٥] ولا

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٢١ ـ ٢٢٢ الباب ٨ ح ٢٠.

(٢ و٣) سورة الواقعة، الآيتان ٨٨ و٨٩.

(٤) الزبانية عند العرب الشُرطة، وسمي به بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها كما في مجمع البحرين ص ٥٥٩.

(٥) من التلجلج بمعنى التردد، أي يثقل لسانه ويتردّد في كلامه.

يقدر على الجواب، فيضربانه ضربة من عذاب الله يذعر لها كلّ شيء ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت؛ ثمّ يفتحان له باباً إلى النار وينزلان إليه من الحميم من جهنّم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ يعني في القبر **﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[1] يعني في الآخرة»[2].**

٦ ـ حديث ابن عمارة، عن أبيه قال: قال الصادق عليه السلام:

«من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمساءلة في القبر والشفاعة»[3].

٧ ـ حديث الفضائل والروضة أنه: لمّا ماتت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام باكياً فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله:

«ما يبكيك؟ لا أبكى الله عينك! قال: توفّت والدتي يا رسول الله، قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: بل ووالدتي يا علي فلقد كانت تُجوّع أولادها وتشبعني، وتُشعث أولادها وتدهنني، والله لقد كان في دار أبي طالب نخلةٌ فكانت تسابق إليها من الغداة لتلتقط، ثمّ تجنيه ـ رضي الله عنها ـ فإذا خرجوا بنو عمّي تناولني ذلك؛ ثمّ نهض عليه السلام فأخذ في جهازها وكفّنها بقميصه صلى الله عليه وآله، وكان في حال تشييع جنازتها يرفع قدماً ويتأنّى في رفع الآخر، وهو حافي القدم، فلمّا صلّى عليها كبّر سبعين تكبيرة، ثم لحّدها

---

(١) سورة الواقعة، الآيات ٩٢ ـ ٩٤.

(٢) بحار الأنوار ٢٢٢/٦ الباب ٨ ح ٢٢.

(٣) بحار الأنوار ٢٢٣/٦ الباب ٨ ح ٢٣.

في قبرها بيده الكريمة بعد أن نام في قبرها، ولقّنها الشهادة.

فلمّا أُهيل عليها التراب[١] وأراد الناس الانصراف، جعل رسول الله ﷺ يقول لها: ابنك، ابنك، ابنك، لا جعفر، ولا عقيل، ابنك، ابنك: علي بن أبي طالب.

قالوا: يا رسول الله! فعلت فعلاً ما رأينا مثله قطّ، مشيك حافي القدم، وكبّرت سبعين تكبيرة، ونومك في لحدها، وقميصك عليها، وقولك لها: ابنك، ابنك، لا جعفر، ولا عقيل.

فقال ﷺ: أمّا التأنّي في وضع أقدامي ورفعها في حال التشييع للجنازة فلكثرة ازدحام الملائكة، وأمّا تكبيري سبعين تكبيرة فإنها صلى عليها سبعون صفاً من الملائكة، وأمّا نومي في لحدها فإنّي ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر فقالت: واضعفاه! فنمتِ في لحدها لأجل ذلك حتى كفيتُها ذلك، وأمّا تكفيني لها بقميصي فإنّي ذكرت لها في حياتها القيامة وحشر الناس عراةً فقالت: واسوأتاه! فكفّنتها به، لتقوم يوم القيامة مستورة، وأمّا قولي لها: ابنك، ابنك، لا جعفر، ولا عقيل فإنّها لمّا نزل عليها الملكان وسألاها عن ربّها فقالت: الله ربي، وقالا: من نبيّك؟ قالت: محمّد نبيّي، فقالا: من وليّك وإمامك؟ فاستحيت أن تقول: ولدي، فقلت لها: قولي: ابنك علي بن أبي طالب عليه السلام، فأقرّ الله بذلك عينها»[٢].

فمسائلة القبر إذاً من الأمور الحقّة المسلّمة حتى كان تلقين الميّت بجواب ما يسأل عنه من الأمور المستحبّة.

---

(١) إهالة التراب: صَبُّه.

(٢) بحار الأنوار ٦/٢٤١ الباب ٨ ح ٦٠.

ففي الجواهر[١]: أنّه «يستحب تلقين الميت بعد وضعه في لحده، قبل تشريج اللبن بلا خلافٍ أعرفه فيه، بل في الغنية الاجماع عليه، والأخبار به كادت تكون متواترة كما في الذكرى وهو كذلك».

وقد جاءت أحاديثه مجموعةً في الوسائل[٢]، فراجع.

ونقل المحدث القمي عن شيخنا العلّامة المجلسي قدس سره تلقيناً جامعاً جاء فيه: «أنّه يُلقن الميّت شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله وسيّد النبيّين وخاتم المرسلين، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وإمامٌ فَرَض الله طاعته على العالمين وأنّ الأئمة من ولده أئمة المؤمنين وحجج الله على الخلق أجمعين أئمة هدىً أبرار.

وأنّ الله ربّي ومحمّد ﷺ نبيّي والإسلام ديني والقرآن كتابي والكعبة قبلتي وأمير المؤمنين وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أئمتي وسادتي وقادتي وشفعائي بهم أتولّى ومن أعدائم أتبرّأ في الدنيا والآخرة..

وأنّ الله تعالى نعم الربّ، وأنّ محمّداً نعم الرسول، وأنّ علياً وأولاده المعصومين نعم الأئمة، وأنّ ما جاء به محمّد ﷺ حق، والموت وسؤال منكر ونكير والبعث والنشور والصراط والميزان وتطاير الكتب والجنة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور». فلاحظ المفاتيح[٣] لمعرفة نص التلقين.

ثمّ إن من أحداث القبر هي الضغطة وضمّة القبر التي أفادتها السنة المتظافرة

---

(١) جواهر الكلام ٣٠٥/٤.

(٢) وسائل الشيعة ٨٤٢/٢ الباب ٢٠ الأحاديث.

(٣) مفاتيح الجنان المعرب ص ٨٤٨، طبع الأعلمي، لبنان.

والأخبار المعتبرة وأفيد عليها الإجماع.

والذي استُظهر من الأخبار الشريفة هو أنّ ضغطة القبر تكون في البدن الأصلي، وأنّها ليست بعامّة للجميع بل ترتفع عن بعض المؤمنين كمن لُقّنَ مثلاً أو مات في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، وأنّها تابعة للسؤال فمن لم يُسأل لم يُضغط.

والدليل الروائي في ضغطة القبر كثيرة منها ما يلي:

١ ـ قال أبوبصير: سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول:

«إن رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا ماتت قام رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها، فرفع يده تلقاء السماء ودمعت عيناه، فقالوا له: يا رسول الله! إنّا قد رأيناك رفعت رأسك إلى السماء ودمعت عيناك؟ فقال: إنّي سألت ربّي أن يهب لي رقيّة من ضمّة القبر»[١].

٢ ـ حديث ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«أُتي رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: إن سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلمّا أن حنّط وكفّن وحمل على سريره تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله بلا حذاء ولا رداء، ثمّ كان يأخذ يمنة السرير مرّة ويسرة السرير مرّة حتى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لحّده وسوّى اللّبن عليه، وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رَطباً؛ يسدّ به ما بين اللّبن.

فلمّا أن فرغ وحثا التراب عليه وسوّى قبره قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي لأعلم أنّه سيبلى ويصل البلى إليه[٢]**، ولكنّ الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً**

---

(١) بحار الأنوار ٢١٧/٦ الباب ٨ ح ١٠.

(٢) قال في مجمع البحرين ص ١٣: بَلَى الميت: أفنته الأرض، وفي حديث الصادق عليه السلام

أحكمه، فلمّا أن سوّى التربة عليه قالت أمّ سعد: يا سعد! هنيئاً لك الجنّة، فقال رسول الله ﷺ: يا أمّ سعد! مه! لا تجزمي على ربّك فإنّ سعداً قد أصابته ضمّة.

قال: فرجع رسول الله ﷺ ورجع الناس فقالوا له: يا رسول الله! لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنّك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء؟ فقال ﷺ: إنّ الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسيت بها، قالوا: وكنت تأخذ يمنة السرير مرّةً، ويسرة السرير مرّةً؟ قال: كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ، قالوا: أمرت بغسله وصلّيت على جنازته ولحّدته في قبره ثم قلت: إنّ سعداً قد أصابته ضمّة! قال: فقال ﷺ: نعم، إنّه كان في خُلقه مع أهله سوء»[1].

٣ ـ حديث السكونيّ، عن الامام الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال:

«قال رسول الله ﷺ: ضغطة القبر للمؤمن كفّارةٌ لما كان منه من تضييع النعم»[2].

٤ ـ حديث أبان بن تغلب، عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاذه الله من ضغطة القبر»[3].

وقد سئل عن الميت يُبلى جسده؟ قال: نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلّا طينته التي خُلق منها، فإنها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق منها أول مرة».

(١) بحار الأنوار ٦/٢٢٠ الباب ٨ ح ١٤.

(٢) بحار الأنوار ٦/٢٢١ الباب ٨ ح ١٦.

(٣) بحار الأنوار ٦/٢٢١ الباب ٨ ح ١٧.

٥ ـ حديث بشير النّبال قال: سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول:

« خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله قبر سعد فمسحه بيده واختُلج بين كتفيه[١]، فقيل له: يا رسول الله! رأيناك خاطبت واختُلج بين كتفيك وقلت: سعد يفعل به هذا؟ فقال له: إنّه ليس من مؤمن إلّا وله ضمّة »[٢].

٦ ـ حديث أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

« أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: فقال: نعوذ بالله منها، ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر! إنّ رقيّة لمّا قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس: إنّي ذكرت هذه وما لقيت، فرققت لها واستوهبتها من ضغطة القبر، قال: فقال: اللّهمّ هب لي رقيّة من ضغطة القبر فوهبها الله له.

قال: وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد وقد شيّعه سبعون ألف ملك فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثمّ قال: مثل سعد يضمّ؟ قال: قلت: جعلت فداك! إنّا نحدَّث أنّه كان يستخفّ بالبول، فقال: معاذ الله! إنّما كان من زعارة[٣] في خلقه على أهله، قال: فقالت أمّ سعد: هنيئاً لك يا سعد، قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سعد! لا تحتمي على الله »[٤].

٧ ـ حديث يونس قال: سألته عن المصلوب: يعذّب عذاب القبر؟

قال: فقال:

« نعم إنَّ الله عزَّ وجلَّ يأمر الهواء أن يضغطه ».

---

(١) اختلاج العضو هو اضطرابه.

(٢) بحار الأنوار ٢٢١/٦ الباب ٨ ح ١٩.

(٣) الزعارة: سوء الخلق.

(٤) بحار الأنوار ٢٦١/٦ الباب ٨ ح ١٠٢.

وفي رواية أُخرى: سئل أبوعبدالله عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر؟ فقال:

«إنَّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء، فيوحي الله عزَّ وجلَّ إلى الهواء فيضغطه ضغطة أشدّ من ضغطة القبر»[١].

وتعرف من بعض هذه الروايات المباركة أنّ المؤمنين أو بعضهم لا تصيبهم ضغطة القبر وأنّ الأرض ترفق بهم وأنّهم يُفتح لهم من قبرهم باب إلى الجنّة.

وأمّا ما في مقابلها من الأحاديث الشريفة الأُخرى من أن ضغطة القبر لا يفلت منها أحد فيمكن الجمع بين الطائفتين بإحدى الوجوه الثلاثة التي جاءت في حق اليقين[٢] وهي:

١ ـ أن تحمل أخبار رفع الضغطة عن المؤمن على من يقربون من رتبة المعصومين كسلمان وأبي ذرّ والمقداد، وتكون ضغطات غيرهم من المؤمنين ضغطات خفيفة.

٢ ـ أن تحمل ضغطة المؤمن على الضغطة بنحو اللطف تنقيةً للذنوب كالحجامة مثلاً التي هي مؤلمة لكنّها مطلوبة لحسن عاقبتها، وضغطة الكافر بعكس ذلك تكون بنحو العنف.

٣ ـ أن يقال: إنّ الضغطة كانت في صدر الإسلام للعموم ثم ببركة المعصومين عليهم السلام وشفاعتهم ارتفعت عن شيعتهم، والله العالم.

ثم إنّ من أحداث القبر أيضاً نعيم المؤمن وعذاب الكافر فيه، فهو روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران كما عرفت.

---

(١) بحار الأنوار ٢٦٦/٦ الباب ٨ ح ١١٢.

(٢) حق اليقين ٨٤/٢.

وقد بيّنت أخبارنا الشريفة ذلك في مثل أحاديث البحار، كالأحاديث التالية:

١ ـ حديث التفسير[١]، وقد مضى ذكر هذه الرواية في صفحة ٣٩٠ من الكتاب.

٢ ـ حديث زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت الميّت إذا مات لِمَ تُجعل معه الجريدة؟

قال:

« يتجافى[٢] عنه العذاب والحساب مادام العود رطباً، قال: والعذاب كلّه في يوم واحد، في ساعة واحدة، قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم، وإنّما جعلت السعفتان لذلك، فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جَفوفهما إن شاء الله »[٣].

٣ ـ حديث التفسير[٤]، وقد جاء ذكره آنفاً في صفحة ٣٩٨ من الكتاب، فراجع.

٤ ـ حديث ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام[٥].

٥ ـ حديث إبراهيم بن محمّد، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال:

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذّب صاحبه، ثم مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال: يا ربّ! مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذّب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذّب؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا روح الله! إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢١٤ الباب ٨ ح ٢.

(٢) التجافي هو التباعد والإرتفاع.

(٣) بحار الأنوار ٦/٢١٥ الباب ٨ ح ٣.

(٤) بحار الأنوار ٦/٢١٦ الباب ٨ ح ٦.

(٥) بحار الانوار ٦/٢٢٠ الباب ٨ ح ١٤.

فغفرت له بما عمل ابنه »[١].

٦ ـ حديث الأصبغ بن نباتة قال: توجّهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام لأُسلّم عليه فلم ألبث أن خرج فقمت قائماً على رجلي فاستقبلته فضرب بكفّه إلى كفّي فشبّك أصابعه في أصابعي ثمّ قال لي:

« يا أصبغ بن نباتة! قلت: لبّيك وسعديك يا أمير المؤمنين! فقال: إنَّ وليّنا وليّ الله، فإذا مات كان في الرفيق الأعلى، وسقاه الله من نهر أبرد من الثلج، وأحلى من الشهد. فقلت: جعلت فداك! وإن كان مذنباً؟ قال: نعم ألم تقرأ كتاب الله: ﴿فأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٢] **»**[٣].

٧ ـ حديث عمرو بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

« إنّي سمعتك وأنت تقول: كلّ شيعتنا في الجنّة على ما كان فيهم؟ قال: صدّقتك، كلّهم والله في الجنّة؛ قال: قلت: جعلت فداك! إنّ الذنوب كثيرة كبائر [كبار]، فقال: أمّا في القيامة فكلّكم في الجنّة بشفاعة النبيّ المطاع أو وصيّ النبيّ، ولكنّي والله أتخوّف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة »[٤].

٨ ـ حديث أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

« إنّ أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنّة يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربّنا أقم لنا الساعة، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق

---

(١) بحار الأنوار ٦/٢٢٠ الباب ٨ ح ١٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٧٠.

(٣) بحار الأنوار ٦/٢٤٦ الباب ٨ ح ٧٨.

(٤) بحار الأنوار ٦/٢٦٧ الباب ٨ ح ١١٦.

آخرنا بأوّلنا»[١].

إلى غير ذلك من الأحاديث الأخرى التي تقدم بعضها[٢].

وقانا الله من عذاب القبر وفتنته التي ترتفع بحبّ أهل البيت عليهم السلام، وببركة تلاوة القرآن الكريم، خصوصاً آية الكرسي، وسورة الملك، وسورة التكاثر، كما تلاحظه في المعالم الزلفى[٣].

***

(١) بحار الأنوار ٦/٢٦٨ الباب ٨ ح ١٢٠.

(٢) لاحظ بحار الأنوار ٦/ الباب ٨ الأحاديث ١٥ ـ ١٦ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٥٥ ـ ٦٠ ـ ٦٦ ـ ٩١.

(٣) المعالم الزلفى ص ١٢٢ و ٢٩٠.

٤ ـ أشراط الساعة

الأشراط جمع شَرَط ـ بفتحتين ـ بمعنى العلامة.

والساعة يعبّر بها عن يوم القيامة لوقوعها بغتةً أو لأنها على طولها عند الله تعالى كساعة من ساعات الخلق.

وأشراط الساعة هي علامات يوم القيامة التي تدلّ على قربها، كما أفاده في مجمع البحرين[1]، أشار الله تعالى إليها بقوله عز اسمه: ﴿.. **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ**﴾[2].

وهذه الأشراط كثيرة ويلزم الإيمان بها ولو إجمالاً، وقد بيّنتْها أحاديث العترة الطاهرة نظير حديث الخصال الآتي:

وهو ما رواه حذيفة بن أسيد الغفاريّ قال: كنّا جلوساً في المدينة في ظلّ حائط، قال: وكان رسول الله ﷺ في غرفة فاطّلع علينا فقال:

« فيمَ أنتم؟ فقلنا: نتحدّث، قال: عمّ ذا؟ قلنا: عن الساعة، فقال: إنّكم لا ترون الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدّجال، ودابّة الأرض، وثلاثة خسوف في الأرض: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام،

---

(١) مجمع البحرين ص ٣٦٣ و ٣٨٢.

(٢) سورة محمّد ﷺ، الآية ١٨.

وخروج يأجوج ومأجوج، وتكون في آخر الزّمان نار تخرج من اليمن من قعر الأرض لا تدع خلفها أحداً، تسوق الناس إلى المحشر، كلّما قاموا قامت لهم تسوقهم إلى المحشر»[١].

فهذه العلائم تكون في آخر الدنيا وتؤذن بقرب يوم القيامة.

ولعل عاشر العلامات سقط من هذا الحديث الشريف عند النقل.. ويحتمل أن يكون هو الدخان الذي يأتي به السماء حيث قال تعالى: **﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾**[٢].

فالدخان آية من أشراط الساعة كما تلاحظه في البحار[٣].

وقد ورد ذكر هذه العلائم بعضها في الملاحم، وبعضها في علائم الظهور، وبعضها في أحاديث الأشراط وتلاحظ لمزيد المعرفة أحاديث بحار الأنوار[٤]، فراجع.

***

(١) الخصال ٢/٤٤٩ باب العشرة ح ٥٢.

(٢) سورة الدخان، الآية ١٠.

(٣) بحار الأنوار ٦/٣٠١.

(٤) بحار الأنوار ٦/٢٩٥ الباب ١ الأحاديث.

٥ ـ نفخ الصور وفناء الدنيا

الصُوْر في اللغة هو القرن ينفخ فيه كما في مرآة الأنوار[١].

وسمّي به الصور الذي ينفخ فيه للفناء والإحياء.

ويُفسّر بصور اسرافيل الذي ينفخ فيه بإذن الله فيموت الجميع، ثمّ ينفخ فيه أُخرى فيكون البعث.

وأفاد العلّامة المجلسي في البحار[٢]: أنّه يجب الإيمان بالصور على النحو الذي ورد في النصوص الصريحة، وتأويله بأنّه جمع الصورة ليكون بمعنى نفخ الروح في صُوَر الأشخاص خروج عن ظواهر الآيات بل صريحها..

لأنّه لا يتأتّى ذلك في النفخة الأولى التي هي للإماتة لا الإحياء، ويأبىٰ عنه توحيد الضمير الذي يدل على كون الصُور شيئاً واحداً لا صُوَر الانسان المتعددة، وتعرف ذلك يعني وجود النفختين من مثل قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى**﴾[٣].

كما أنّه يلزم بهذا المعنى المأوّل طرح النصوص الصحيحة الصريحة، فلا يتم تفسير نفخ الصور بنفخ الروح في الصُوَر كما ادعاه بعض.

والصحيح هو معناه المعهود يعني صُور اسرافيل.

---

(١) مرآة الأنوار ص ١٤٢.

(٢) بحار الأنوار ٦/٣٣٦.

(٣) سورة الزمر، الآية ٦٨.

هذا، ونفخ الصور ثابت بدليل الكتاب والسنة:

أما الكتاب:

ففي آيات كثيرة منها قوله تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾**[1].

وتلاحظ آيات النفخ مجموعة في أول باب نفخ الصور من البحار الذي سيأتي ذكره.

وأما السنة:

ففي أحاديث متضافرة منها:

١ ـ ما في تفسير القمي في قوله: **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** إلى قوله: **﴿يَخِصِّمُونَ﴾**.

قال: ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون فيموتون كلّهم في مكانهم لا يرجع أحد منهم إلى منزله، ولا يوصى بوصيّة، وذلك قوله: **﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾**[2].

قال علي بن إبراهيم: ثم ذكر النفخة الثانية فقال: **﴿إِنْ كَانَتْ إِلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾**[3][4].

٢ ـ حديث التفسير أيضاً في قوله: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ**

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٨.

(٢) سورة يس، الآيات ٤٨ ـ ٥٠.

(٣) سورة يس، الآية ٥٣.

(٤) بحار الأنوار ٣٢٣/٦ الباب ٢ ح ١.

﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾[١].

وهو حديث ثوير بن أبي فاختة، عن الامام عليّ بن الحسين عليهما السلام قال:

« سُئل عن النفختين: كم بينهما؟

قال: ما شاء الله، فقيل له: فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟

فقال: أمّا النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كلّ رأس منهما ما بين السماء والأرض، قال: فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فإذا رأوه أهل الأرض قالوا: أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلّا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلاّ صعق ومات إلّا إسرافيل؛ قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل! مُت؛ فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله.

ثمّ يأمر الله السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً[٢] * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً﴾[٣] يعني تبسط، و﴿تُبَدَّلُ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ﴾ يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها الجبال ولا نبات، كما دحاها أوّل مرّة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أوّل

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٨.

(٢) فُسر المور بالدوران والاضطراب والتموج والتحرك.

(٣) سورة الطور، الآية ١٠.

مرّة مستقلاً بعظمته وقدرته.

قال: فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله بصوت جهوريّ يسمع أقطار السماوات والأرضين: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، فلا يجيبه مجيب.

فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله مجيباً لنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[١] وأنا قهرت الخلائق كلّهم وأمتُّهم، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي، لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتّهم بمشيّتي، وأنا أُحييهم بقدرتي.

قال: فنفخ الجبّار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات أحد إلّا حيّ وقام كما كان، ويعود حملة العرش، ويحضر الجنّة والنار، ويحشر الخلائق للحساب.

قال: فرأيت علي بن الحسين (صلوات الله عليهما) يبكي عند ذلك بكاءاً شديداً»[٢].

٣ ـ حديث هشام بن الحكم في خبر الزنديق الذي سأل الامام الصادق عليه السلام عن مسائل إلى أن قال: أيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باقٍ؟

قال عليه السلام:

« بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى، فلا حسّ ولا محسوس، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها، وذلك أربعمائة سنة يسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين»[٣].

(١) سورة غافر، الآية ١٦.

(٢) بحار الأنوار ٦/٣٢٤ الباب ٢ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار ٦/٣٣٠ الباب ٢ ح ١٥.

٤ ـ حديث النهج الشريف:

« هو المفني لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، وكيف [و] لو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وماكان من مراحها وسائمها وأصناف أسناخها وأجناسها ومتبلّدة أُممها وأكياسها على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها؟

ولتحيّرت عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت قواها، وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنّها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها.

وإنّ الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات.

فلا شيء إلّا الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأُمور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها، لم يتكأّده صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤده منها خلق ما خلقه و برأه، ولم يكوّنها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندٍ مكاثر، ولا للاحتراز بها من ضدٍّ مثاور، ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها.

ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، لم يملّه طول بقائها فيدعوه

إلى سرعة إفنائها، لكنّه سبحانه دبّرها بلطفه وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء منها عليها»[١].

***

(١) بحار الأنوار ٦/٣٣٠ ـ ٣٣١ الباب ٢ ح ١٦، وهي خطبة نهج البلاغة الرقم ١٨١ ص ١٤٢ من الطبعة المصرية.

٦ ـ المحشر

الحشر في اللغة بمعنى الجمع.. يقال: حشرهم حشراً أي جمعهم.

وحشر الأجساد عبارة عن جمع أجزاء بدن الميت وتأليفها بمثل ما كانت، وإعادة روحه المدبّرة إليه كما كان..

ولا شك في إمكانه ووقوعه، والله قادر على كل ممكن، وعالم بالجزئيات، فيعيد الجزء المعيّن للشخص المعيّن[١].

وفسّره في المفردات[٢]: باخراج الجماعة عن مقّرهم وسمّي يوم القيامة يوم الحشر كما سمّي يوم البعث ويوم النشر.

والحشر ممّا ثبت بالدليل العلمي كتاباً وسنّةً، وهو من عقائدنا الحقّة[٣].

بل إنّ إنكاره كفر كما في اعتقادات العلّامة المجلسي[٤].

أما دليل الكتاب عليه:

فالآيات الكثيرة التي أحصاها في البحار[٥]، منها:

---

(١) مجمع البحرين ص ٢٥٢.

(٢) مفردات الراغب ص ١١٩.

(٣) اعتقادات الصدوق ص ٦٤.

(٤) اعتقادات العلامة المجلسي ص ٤١.

(٥) بحار الأنوار ١/٧ الباب ٣.

قوله تعالى: **﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً * وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾**[1].

وأمّا دليل السنة على الحشر:

فالأخبار المتواترة المفيدة للعلم واليقين التي تلاحظها في البحار منها ما يلي:

١ ـ حديث هشام بن الحكم المتقدم أنّه قال الزنديق للإمام الصادق عليه السلام: أنّى للروح بالبعث والبدن قد بلي والأعضاء قد تفرّقت؟ فعضو في بلدة تأكلها سباعها، وعضو بأُخرى تمزّقه هوامّها، وعضو قد صار تراباً بني به مع الطين حائط؟

قال عليه السلام:

«إنّ الّذي أنشأه من غير شيء وصوّره على غير مثال كان سبق إليه، قادر أن يعيده كما بدأه.

قال: أوضح لي ذلك.

قال: إنَّ الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً منه خلق، وما تقذف به السباع والهوامّ من أجوافها فما أكلته ومزّقته، كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإن تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض فتربو الأرض ثمَّ تمخض مخض[2] السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد من اللّبن إذا

---

(١) سورة الكهف، الآيتان ٤٧ و٤٨.

(٢) المخض هي الحركة الشديدة.

مخض فيجتمع تراب كلّ قالب فينقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيأتها وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً..»[١]. الخبر.

٢ ـ حديث جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إذا أراد الله أن يبعث أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللّحوم.

وقال: أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذه فأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر فصوّت بصاحبه فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل أبيض الرأس واللّحية يمسح التراب عن وجهه وهو يقول: الحمد لله والله أكبر، فقال جبرئيل: عُد بإذن الله؛ ثمَّ انتهى به إلى قبر آخر فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل مسودّ الوجه وهو يقول: يا حسرتاه! يا ثبوراه! ثم قال له جبرئيل: عُد إلى ما كنت بإذن الله؛ فقال: يا محمّد! هكذا يحشرون يوم القيامة، والمؤمنون يقولون هذا القول، وهؤلاء يقولون ما ترى»[٢].

٣ ـ حديث جابر، عن أبي جعفر [الباقر] صلوات الله عليه قال:

«كان فيما وعظ به لقمان عليه السلام ابنه أن قال: يا بني! إن تكُ في شكّ من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شكّ من البعث فارفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك.

فإنّك إذا فكرت في هذا علمت أنّ نفسك بيد غيرك، وإنّما النوم بمنزلة

---

(١) بحار الأنوار ٣٧/٧ و٣٨ الباب ٣ ح ٥.

(٢) بحار الأنوار ٣٩/٧ الباب ٣ ح ٨.

الموت، وإنّما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت»[١].

٤ ـ حديث عمار بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

« سُئل عن الميّت يبلى جسده؟

قال: نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلّا طينته التي خلق منها، فإنّها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أوّل مرّة»[٢].

٥ ـ قول النبي صلى الله عليه وآله:

« يا بني عبد المطلب! إنّ الرائد لا يكذب أهله، والذي بعثني بالحقّ لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلّا جنّة أو نار، وخَلْقُ جميع الخلق وبعثهم على الله عزَّ وجلَّ كخلق نفس واحدة وبعثها؛ قال الله تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٣]**»**[٤].

٦ ـ حديث شيخ الطائفة في الامالي بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة طويلة قال:

« اسمع يا ذا الغفلة والتصريف من ذي الوعظ والتعريف، جُعل يوم الحشر يوم العرض والسؤال والحباء والنكال، يوم تقلّب إليه أعمال الأنام، وتحصى فيه جميع الآثام، يوم تذوب من النفوس أحداق عيونها، وتضع الحوامل ما في بطونها، ويفرّق بين كل نفس وحبيبها، ويحار في تلك الأهوال عقل لبيبها، إذ نكرت الأرض بعد حسن عمارتها، وتبدّلت بالخلق بعد أنيق زهرتها، أخرجت من معادن الغيب أثقالها، ونفضت إلى الله

---

(١) بحار الأنوار ٤٢/٧ الباب ٣ ح ١٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٣/٧ الباب ٣ ح ٢١.

(٣) سورة لقمان، الآية ٢٨.

(٤) بحار الأنوار ٤٧/٧ الباب ٣ ح ٣١.

أحمالها، يوم لا ينفع الحذر إذ عاينوا الهول الشديد فاستكانوا، وعُرف المجرمون بسيماهم فاستبانوا، فانشقّت القبور بعد طول انطباقها، واستسلمت النفوس إلى الله بأسبابها، كشف عن الآخرة غطاؤها، فظهر للخلق أنباؤها، فدكت الأرض[1] دكاً دكاً، ومدّت لأمر يُراد بها مدّاً مدّاً، واشتدّ المبادرون إلى الله شدّاً شدّاً، وتزاجفت الخلائق إلى المحشر زحفاً زحفاً، وردّ المجرمون على الأعقاب ردّاً ردّاً، وجدّ الأمر ويحك يا إنسان جدّاً جدّاً، وقربوا للحساب فرداً فرداً، وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً، يسألهم عمّا عملوا حرفاً حرفاً، وجيء بهم عراة الأبدان، خشّعاً أبصارهم، أمامهم الحساب، ومن ورائهم جهنّم يسمعون زفيرها ويرون سعيرها، فلم يجدوا ناصراً ولا وليّاً يجيرهم من الذلّ، فهم يَعْدون سراعاً إلى مواقف الحشر يساقون سوقاً، فالسماوات مطويّات بيمينه كطيّ السجلّ للكتب، والعباد على الصراط وَجِلت قلوبهم يظنّون أنّهم لا يسلمون، ولا يؤذن لهم فيتكلّمون، ولا يقبل منهم فيعتذرون، قد ختم على أفواههم، واستنطقت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

يا لها من ساعة! ما أشجى مواقعها من القلوب حين ميّز بين الفريقين: فريق في الجنّة، وفريق في السعير، من مثل هذا فليهرب الهاربون، إذا كانت الدار الآخرة لها فليعمل العاملون»[2].

٧ ـ حديث أبي الورد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

---

(١) أي كُسر كل شيء على ظهر الأرض من جبل أو شجر أو بناء حين زلزلت فلم يبق عليها شيء.

(٢) بحار الأنوار ٩٨/٧ و٩٩ الباب ٥ ح ٢.

«إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد فهم حفاة عراة فيوقفون في المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً فتشتدُّ أنفاسهم فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً وهو قول الله: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْساً﴾[1].

قال: ثم ينادي مناد من تلقاء العرش: أين النبيّ الأمّي؟ فيقول الناس: قد أسمعت فسم باسمه، فينادي: أين نبيّ الرحمة محمّد بن عبد الله الأمّي[2] صلى الله عليه وآله؟ فيتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله أمام الناس كلّهم حتى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة إلى صنعاء فيقف عليه.

ثم ينادي بصاحبكم[3] فيتقدم أمام الناس فيقف معه، ثم يؤذن للناس فيمرّون، فبين وارد الحوض يومئذ وبين مصروف عنه، فإذ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من يصرف عنه من محبّينا يبكي فيقول: يا ربّ! شيعة علي، قال: فيبعث الله إليه ملكاً فيقول: ما يبكيك يا محمّد؟ فيقول: أبكي لأناس من شيعة علي أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار ومنعوا ورود الحوض، قال: فيقول له الملك: إنّ الله يقول: قد وهبتهم لك يا محمد وصفحت لهم عن ذنوبهم وألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون به وجعلناهم في زمرتك فأوردهم حوضك.

فقال أبوجعفر عليه السلام: فكم من باك يومئذ وباكية ينادون: يا محمّداه! إذا رأوا ذلك، ولا يبقى أحد يومئذ يتولانا ويحبّنا ويتبرّأ من عدوّنا ويبغضهم إلا

---

(١) سورة طه، الآية ١٠٨.

(٢) يأتي بيانه عند ذكر الحوض.

(٣) أي أمير المؤمنين وسيدهم وزعيمهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

كانوا في حزبنا ومعنا ويرد حوضنا»[١].

٨ ـ ما في كتاب كتبه أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى أهل مصر مع محمّد بن أبي بكر:

« يا عباد الله! إنّ بعد البعث ما هو أشدّ من القبر، يوم يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين، وتذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، يوم عبوس قمطرير، يوم كان شره مستطيراً، إنّ فزع ذلك اليوم ليرهّب الملائكة الذين لا ذنب لهم، وترعد منه السبع الشداد، والجبال الأوتاد، والأرض المهاد، وتنشقّ السماء فهي يومئذ واهية، وتتغير فكأنّها وردة كالدهان[٢]**، وتكون الجبال سراباً مهيلاً بعد ما كانت صمّاً صلاباً، وينفخ في الصور فيفزع من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، فكيف من عصى بالسمع والبصر واللّسان واليد والرجل والفرج والبطن إن لم يغفر الله له ويرحمه من ذلك اليوم؟ لأنّه يصير إلى غيره إلى نار قعرها بعيد، وحرّها شديد، وشرابها صديد، وعذابها جديد، ومقامها حديد، لا يغيّر عذابها ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع لأهلها دعوة»**[٣]. الخبر.

٩ ـ حديث ياسر الخادم قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول:

«إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث

---

(١) بحار الأنوار ٧/١٠١ ـ ١٠٢ الباب ٥ ح ٩.

(٢) قال في مجمع البحرين ص ٥٥٧: أي كدهن الزيت أي تمور كالدهن، وقيل الدهان: الأديم الأحمر أي صارت حمراء كالأديم.

(٣) بحار الأنوار ٧/١٠٣ و ١٠٤ الباب ٥ ح ١٦.

فيرى أحكاماً لم يرها في دارالدنيا.

وقد سلّم الله عزَّ وجلَّ على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المـواطـن وآمـن روعته فقال: ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾[١].

وقد سلم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[٢]»[٣].

١٠ ـ حديث شريك، يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذاكان يوم القيامة جاءت فاطمة في لمّة من نسائها، فيقال لها: ادخلي الجنّة.

فتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صُنع بولدي من بعدي.

فيقال لها: انظري في قلب القيامة، فتنظر إلى الحسين صلوات الله عليه قائماً ليس عليه رأس، فتصرخ صـرخـة، فأصـرخ لصـراخـها، وتـصرخ الملائكة لصراخنا، فيغضب الله عزَّ وجلَّ لنا عند ذلك، فيأمر ناراً يقال لها: هبهب قد أُوقد عليها ألف عام حتى اسودّت، لا يـدخلها رَوح أبـداً، ولا يخرج منها غمّ أبداً، فيقال: التقطي قتلة الحسين عليه السلام، فتلتقطهم.

فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصـهلوا بـها، وشـهقت وشـهقوا بـها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بألسنة ذلقة[٤] طلقة: يا ربّنا! لم أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان؟ فيأتيهم الجواب عن الله عزّ وجلّ: إنّ من عـلم

---

(١) سورة مريم، الآية ١٥.

(٢) سورة مريم، الآية ٣٣.

(٣) بحار الأنوار ١٠٤/٧ الباب ٥ ح ١٨.

(٤) الذلقة: الفصيحة.

ليس كمن لم يعلم»[١].

فالحشر حقّ في الجميع حتى أنه يكون في الحيوانات كما يستفاد ذلك من قوله تعالى: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجِناحَيْهِ إلّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾**[٢] فيُحشر جميع الحيوانات حتى الوحوش وينتصف لبعضها من بعض كما تلاحظ تفصيل بيانه وأحاديثه في تفسير الكنز[٣].

***

(١) بحار الأنوار ١٢٧/٧ الباب ٦ ح ٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) تفسير كنز الدقائق ٣٢٣/٤.

٧ ـ الميزان

إذا كان يوم القيامة وتحقق الحشر في يوم الطامّة دُعي الناس للحساب فيتم وزن أعمالهم ويُبدأ بأمر حسابهم.

والميزان في اللغة مُفسّر بما يُوزن به الأشياء وتُعرف به مقاديرها ليتوصّل به إلى الإنصاف والإنتصاف كما أفاده في مرآة الأنوار[١].

ولا خلاف بين المسلمين في حقّانيّة الميزان كما أفيد في حق اليقين[٢].

واعتقاد الإماميّة أنّه حق كما في اعتقادات الصدوق[٣].

وقد دلّ الكتاب الكريم على الميزان في آيات عديدة منها:

قوله تعالى: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِيْنَ الْقِسطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَـيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِيْنَ﴾**[٤].

كما دلّت السنّة المتضافرة عليه في روايات كثيرة منها ما جاء في بحار الأنوار ويستفاد من مجموعها وجود أصل الميزان وحقانيته وإن اختلف في معناه فلاحظ:

١ ـ ما روى هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديق أباعبدالله عليه السلام فقال:

« أو ليس توزن الأعمال؟

---

(١) مرآة الأنوار ص ٢٢١.

(٢) حق اليقين ١٠٩/٢.

(٣) اعتقادات الصدوق ص ٧٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٤٧.

قال: لا إنّ الأعمال ليست بأجسام، وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفّتها، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء.

قال: فما معنى الميزان؟ قال: العدل، قال: فما معناه في كتابه: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[1]؟ قال: فمن رجّح عمله »[2]. الخبر.

٢ ـ ما كتب الامام الرضا عليه السلام للمأمون:

« وتؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير والبعث بعد الموت والميزان والصراط »[3]. الخبر.

٣ ـ حديث هشام بن سالم قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾**[4]؟

قال:

« هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام »[5].

فالميزان أساساً حق يلزم الإعتقاد به، وإن كان وقع الاختلاف في معناه وكيفيته كما تلاحظ بيانه في حق اليقين[6].

لذلك أفاد العلّامة المجلسي في البحار: « فنحن نؤمن بالميزان، ونردُّ علمه إلى حملة القرآن ولا نتكلّف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان، والله الموفق وعليه

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٨ وسورة المؤمنون، الآية ١٠٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٤٨/٧ الباب ١٠ ح ٣.

(٣) بحار الأنوار ٢٤٩/٧ الباب ١٠ ح ٥.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٤٧.

(٥) بحار الأنوار ٢٤٩/٧ الباب ١٠ ح ٦.

(٦) حق اليقين ١٠٩/٢.

التكلان»[١].

ولعل من الصحيح أن نقول في مقام الجمع بتعدد الموازين: فكل ما يوزن به العمل، ويُقدّر به الفعل، ويُميّز به الحق عن الباطل والمقبول عن المردود، ويكون محكّاً للعمل يكون ميزاناً..

ومن الموازين نفس أمير المؤمنين عليه السلام كما تلاحظه في التسليم عليه بميزان الأعمال في زيارته المطلقة الرابعة المروية عن الامام الباقر عليه السلام[٢]، بل جميع الأئمة المعصومين عليهم السلام موازين لأعمال العباد كما في بعض الأخبار[٣].

وكذلك الأنبياء وأوصياؤهم كما في حديث هشام بن سالم المتقدم، بل قد يكون نفس عملٍ كالصلاة ميزاناً من حيث كونها إن قُبلت قُبل ما سواها من الأعمال وإن رُدّت رُدّ ما سواها كما يستفاد ذلك من بعض الأحاديث الشريفة[٤].

***

(١) بحار الأنوار ٢٥٣/٧.

(٢) مستدرك الوسائل ٢٢٢/١٠.

(٣) مرآة الأنوار ص ٢٢١.

(٤) وسائل الشيعة ٢٢/٣ الباب ٨ ح ١٠.

٨ ـ محاسبة العباد

الحساب هي المقابلة بين الأعمال والجزاء عليها، والموافقة للعبد على ما فرّط منه، والتوبيخ له على سيّئاته، والحمد له على حسناته، ومعاملته في ذلك باستحقاقه، كما أفاده الشيخ المفيد في التصحيح[١].

وهو من عقائدنا الحقّة كما أفاده الشيخ الصدوق في الإعتقادات[٢].

وقد جاء بحقانيّته وثبوته دليل الكتاب والسنة القطعيّة:

فمن الكتاب آيات كثيرة منها:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾**[٣].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٤].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾**[٥].

---

(١) تصحيح الإعتقادات الامامية ص ١١٤.

(٢) اعتقادات الصدوق ص ٧٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨٤.

(٥) سورة الغاشية، الآيتان ٢٥ و٢٦.

ومن السنة الشريفة:

الأحاديث المتواترة الواردة في البحار بما يبلغ إحدى وخمسين حديثاً منها:

١ ـ حديث رقية بنت إسحاق بن الامام موسى بن جعفر، عن أبيها، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وشبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه؟ وعن حبنا أهل البيت»[1].

٢ ـ حديث عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا، فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثم قرأ أبوعبدالله عليه السلام: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[2]»[3].

٣ ـ حديث أبي شعيب الحداد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أنا أوّل قادم على الله، ثم يقدم عليَّ كتاب الله ثمّ يقدم عليَّ أهل بيتي، ثمّ يقدم عليَّ أمتي، فيقفون فيسألهم: ما فعلتم في كتابي وأهل بيت نبيّكم؟»[4].

٤ ـ حديث الحسن بن هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾**[5].

---

(١) بحار الأنوار ٢٥٨/٧ الباب ١١ ح ١.

(٢) سورة الغاشية، الآيتان ٢٥ و٢٦.

(٣) بحار الأنوار ٢٦٤/٧ الباب ١١ ح ١٩.

(٤) بحار الأنوار ٢٦٥/٧ الباب ١١ ح ٢٢.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

قال:

« يسأل السمع عمّا يسمع، والبصر عمّا يطرف، والفؤاد عمّا عقد عليه »(١).

٥ ـ حديث ابن يزيد رفعه، عن أحدهما[أي الامام الباقر والامام الصادق]عليهما السلام قال:

« يؤتى يوم القيامة بصاحب الدَّين يشكو الوحشة، فإن كانت له حسنات أخذ منه لصاحب الدَّين، وقال: وإن لم تكن له حسنات اُلقي عليه من سيّئات صاحب الدَّين »(٢).

رزقنا الله الخلاص من أهوال الحساب ببركة النبي والأئمة الأطياب من حيث ولايتهم ومحبتهم وزيارتهم وتلاوة وحيهم وبمثوبة قضاء حوائج المؤمنين كما ورد.

وتلاحظ أحاديث الخصال التي توجب التخلّص من شدائد القيامة وأهوالها المذكورة في البحار منها ما يلي تقديمه:

١ ـ حديث أيّوب بن نوح قال: سمعت أباجعفر [الجواد]عليه السلام يقول:

« من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فإذا كان يوم القيامة نصب له منبر بحذاء منبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يفرغ الله تعالى من حساب عباده »(٣).

٢ ـ حديث سليمان بن حفص المروزي، عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال:

« إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله جلّ جلاله أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأوّلون فنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وأمّا

---

(١) بحار الأنوار ٢٦٧/٧ الباب ١١ ح ٣٠.

(٢) بحار الأنوار ٢٧٤/٧ الباب ١١ ح ٤٦.

(٣) بحار الأنوار ٢٩١/٧ و٢٩٢ الباب ١٥ ح ٣.

الأربعة الآخرون فمحمّد، وعليٌّ، والحسن، والحسين، ثمّ يمد المطمر[١] فيقعد معنا زوار قبور الأئمة، ألا إنّ أعلاها درجة وأقربهم حبوة زوّار ولدي علي»[٢].

٣ ـ حديث الشيخ الصدوق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

« من قرأ سورة الأعراف في كل شهر كان يوم القيامة من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإن قرأها في كلّ جمعة كان ممّن لا يحاسب يوم القيامة، أما إن فيها محكماً فلا تدعوا قراءتها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها »[٣].

٤ ـ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام:

« من قرأ سورة هود في كلّ جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيّين، ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة »[٤].

***

(١) المِطمَر: هو الخيط الذي يقدّر به البناء ويُعرف به استقامته.

(٢) بحار الأنوار ٢٩٢/٧ الباب ١٥ ح ٤.

(٣) بحار الأنوار ٢٩٣/٧ الباب ١٥ ح ٦.

(٤) بحار الأنوار ٢٩٣/٧ الباب ١٥ ح ٨.

٩ ـ الأعمال

بالإضافة إلى أنّ أعمال العباد برّمتها ورُمّتهم محفوظة عند الله تعالى الذي لا يغيب عنه مثقال ذرّة في السماوات والأرض، وكفى بالله شهيداً..

ومضافاً إلى أنّ جميع الأفعال مشهودة منظورة قامت عليها شهادة العدل المعصوم كما قال عزّ اسمه: **﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾**[1].

ومضافاً إلى رقابة الملائكة الموكلين كما قال تعالى: **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**[2].

فضلاً عن هذا توفى جميع أعمال وأقوال ونوايا الخلق ضمن أسناد موثوقة لا يتطرق إليها خلل ولا زلل.

فتوفى الأعمال بأحدى الطرق التالية:

١ ـ تطاير الكتب:

قال عز اسمه: **﴿وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾**[3].

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٢) سورة ق، الآية ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان ١٣ و ١٤.

٢ ـ إعطاء الصحف:

قال عزّ شأنه: **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَىٰ سَعِيراً﴾**[١].

٣ ـ إنطاق الجوارح:

قال جلّ وعلا: **﴿اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٢].

فالكتاب العزيز صريح في بيان موافاة الأعمال، كما وأنّ السنّة الشريفة أيضاً ناطقة بذلك في أحاديث متعددة تلاحظها في بحار الأنوار وقد ذكر في بابه اثنين وعشرين حديثاً، منها ما يلي:

١ ـ رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: **﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾**[٣] يقول:

«خيره وشرّه معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل»[٤].

٢ ـ حديث القمي في تفسير آية: **﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٥] قال إنّها نزلت في قوم يعرض عليهم أعمالهم فينكرونها فيقولون: ما عملنا منها شيئاً، فيشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا

---

(١) سورة الإنشقاق، الآيات ٧ ـ ١٢.

(٢) سورة يس، الآية ٦٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية ١٣.

(٤) بحار الأنوار ٣١٢/٧ الباب ١٦ ح ١.

(٥) سورة فصلت، الآية ٢٠.

عليهم أعمالهم، قال الامام الصادق عليه السلام:

« فيقولون لله: يا ربّ هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً، وهو قول الله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾[1] وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين، فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع ممّا حرّم الله، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم الله، وتشهد اليدان بما أخذتا، وتشهد الرجلان بما سعَتا ممّا حرّم الله، وتشهد الفرج بما ارتكبت ممّا حرّم الله، ثم أنطق الله ألسنتهم فيقولون هم لجلودهم: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ فيقولون: ﴿أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾[2] أي من الله ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُوْدُكُمْ﴾ والجلود الفروج ﴿وَلٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3] »[4].

٣ ـ حديث أبي معمّر السعدي قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام في صفة يوم القيامة:

« يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلق فلا يتكلّم أحد إلّا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقام الرُسل فيسأل فذلك قوله لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيْدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلاءِ شَهِيداً﴾[5] وهو

---

(١) سورة المجادلة، الآية ١٨.

(٢) سورة فصلت، الآيتان ٢١ و٢٢.

(٣) سورة فصلت، الآية ٢٢.

(٤) بحار الأنوار ٧/٣١٢ ـ ٣١٣ الباب ١٦ ح ٤.

(٥) سورة النساء، الآية ٤١.

الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل عليهم السلام»[١].

٤ ـ حديث خالد بن يحيى (نجيح ظ)، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: **﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ﴾**[٢].

قال:

«يذكّر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنّه فعله تلك الساعة، فلذلك قوله: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلّا أَحْصَاهَا﴾[٣]»[٤].

٥ ـ حديث معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت: كيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب؛ فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»[٥].

***

(١) بحار الأنوار ٣١٣/٧ الباب ١٦ ح ٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١٤.

(٣) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٤) بحار الأنوار ٣١٤/٧ ـ ٣١٥ الباب ١٦ ح ٩.

(٥) بحار الأنوار ٣١٧/٧ ـ ٣١٨ الباب ١٦ ح ١٢.

١٠ ـ الوسيلة

الوسيلة في أصل اللغة بمعنى ما يُتقرّب ويُتوصّل به إلى الشيء برغبة، وهي أخصّ من الوصيلة، لتضمّن الوسيلة معنى الرغبة كما يستفاد من المفردات[١].

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٢] أي القربة إلى الله تعالى كما في مجمع البحرين[٣].

ورسول الله وأهل بيته سلام الله عليهم هم الوسيلة إلى الله والوُصلة إلى عفوه، كما في مرآة الأنوار[٤].

والوسيلة في الآخرة التي وعد الله تعالى بها نبيّه ﷺ، هو المقام المحمود.. أعلى درجةٍ في الجنّة، ونهاية غاية الأمنيّة، وذروة ذوائب الزلفة، لها ألف مرقاة مُشرفة على الجنان كلّها، ورسول الله قاعد يومئذٍ عليها وقد أشرق بنوره الموقف، وأمير المؤمنين عليه السلام في الدرجة الرفيعة عنده، والأنبياء والرسل على المراقي، كما في حديث المرآة[٥].

ففي ذلك اليوم الرهيب والمشهد العجيب يظهر من منزلة النبي وأهل بيته

---

(١) مفردات الراغب ص ٥٢٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٣) مجمع البحرين ص ٥٠٠.

(٤) مرآة الأنوار ص ٢٢٠.

(٥) مرآة الأنوار ص ٢٢٠.

صلوات الله عليهم ما يُبهر العقول ولا تدركه الأفكار من حيث كرامة الله لهم، وتسليم لواء الحمد إليهم، وبلوغ المقام المحمود منهم وارتياد كوثرهم ونيل شفاعتهم وغيرها..

قال في حق اليقين: «وقد تواترت بذلك الأخبار من طرق العامّة والخاصّة بل كاد أن يكون من ضروريّات الدين، فالإيمان بذلك واجب»[١].

والدليل على ذلك قطعيّ:

أولا من الكتاب:

مثل قوله تعالى: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾[٢].

ومثل قوله تعالى: ﴿**وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[٣].

ثانيا من السنة:

كالأحاديث الكثيرة الواردة في بحار الأنوار بما يبلغ خمسة وثلاثين حديثاً منها ما يلي:

١ ـ حديث ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة، فسألنا النبي صلى الله عليه وآله عن الوسيلة؟

فقال: هي درجتي في الجنّة، وهي ألف مرقاة جوهر، إلى مرقاة زبرجد،

---

(١) حق اليقين ١٢٥/٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٩.

(٣) سورة الضحى، الآيتان ٤ و٥.

إلى مرقاة لؤلؤة، إلى مرقاة ذهب، إلى مرقاة فضّة فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيّين، فهي في درجة النبيّين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبيّ ولا شهيد ولا صدّيق إلّا قال: طوبى لمن كانت هذه درجته! فينادي المنادي ـ ويسمع النداء جميع النبيّين والصدّيقين والشهداء والمؤمنين ـ : هذه درجة محمّد ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: فأقبل يومئذ مُتَّزراً بريطة من نور[1]، عليَّ تاج الملك وإكليل الكرامة وعلي بن أبي طالب أمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد، مكتوب عليه: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله المفلحون هم الفائزون بالله: فإذا مررنا بالنبيّين قالوا: هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: هذان نبيّان مرسلان؛ حتى أعلوا الدرجة وعليٌّ يتبعني، فإذا صرت في أعلى الدرجة منها وعليٌّ أسفلِ منّي بيده لوائي، فلا يبقى يومئذ نبيّ ولا مؤمن إلّا رفعوا رؤوسهم إليّ يقولون: طوبى لهذين العبدين! ما أكرمهما على الله!

فينادي المنادي ـ يسمع النبيّون وجميع الخلائق ـ : هذا حبيبي محمّد، وهذا وليّي علي بن أبي طالب، طوبى لمن أحبّه! وويل لمن أبغضه وكذب عليه!

ثم قال رسول الله ﷺ: يا علي! فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبّك إلّا استروح إلى هذا الكلام، وابيضّ وجهه، وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممّن عاداك ونصب لك حرباً أو جحد لك حقّاً إلّا اسودّ وجهه، واضطربت قدماه، فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إليّ، أمّا أحدهما

---

(١) الرَّيطة هي المُلاءة إذا كانت قطعة واحدة كما يستفاد من مجمع البحرين ص ٣٦٢.

فرضوان خازن الجنّة، وأمّا الآخر فمالك خازن النّار.

فيدنو رضوان ويسلّم عليّ ويقول: السلام عليك يا رسول الله! فأردّ عليه وأقول: أيّها الملك الطيّب الريح، الحسن الوجه، الكريم على ربّه، من أنت؟ فيقول: أنا رضوان خازن الجنّة، أمرني ربّي أن آتيك بمفاتيح الجنّة فخذها يا محمّد، فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي، فله الحمد على ما أنعم به عليّ، إدفعها إلى أخي علي بن أبي طالب، فيدفعها إلى علي ويرجع رضوان.

ثم يدنو مالك خازن النّار فيسلّم ويقول: السلام عليك يا حبيب الله! فأقول له: وعليك السلام أيّها الملك ما أنكر رؤيتك! وأقبح وجهك! من أنت؟ فيقول: أنا مالك خازن النّار، أمرني ربّي أن آتيك بمفاتيح النّار، فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي، فله الحمد على ما أنعم به عليَّ وفضّلني به، إدفعها إلى أخي علي بن أبي طالب، فيدفعها إليه، ثم يرجع مالك.

فيقبل عليٌّ ومعه مفاتيح الجنّة ومقاليد النّار حتى يقعد على عجزة جهنم ويأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها، واشتدّ حَرُّها، وكثر تطاير شررها، فينادي جهنّم: يا عليّ! جُزني قد أطفأ نورك لهبي، فيقول عليٌّ لها: ذري هذا وليّي، وخذي هذا عدوّي، فلَجهنّم يومئذ أشدّ مطاوعة لعلي من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهب بها يمنة وإن شاء يذهب بها يسرة، ولَجهنّم يومئذ أشدّ مطاوعة لعلي من جميع الخلائق، وذلك أنّ علياً عليه السلام يومئذ قسيم الجنّة والنّار»[1].

٢ ـ حديث سماعة بن مهران قال: قال أبوعبد الله عليه السلام:

---

(١) بحار الأنوار ٧/٣٢٦ ـ ٣٢٧ الباب ١٧ ح ٢.

«إذا كان يوم القيامة وُضع منبر يراه جميع الخلائق، فيصعد عليه رجل فيقوم عن يمينه ملك، وعن يساره ملك، وعن يساره ملك، ينادي الذي عن يمينه: يا معشر الخلائق! هذا علي بن أبي طالب يُدخل الجنّة من يشاء؛ وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق! هذا علي بن أبي طالب يُدخل النّار من يشاء»[1].

٣ ـ حديث الحسين بن سعيد مسنداً عن الامام جعفر الصادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله:

«إنّ الله تبارك وتعالى إذا جمع النّاس يوم القيامة وعدني المقام المحمود وهو وافٍ لي به، إذا كان يوم القيامة نصب لي منبرٌ له ألف درجة فأصعد حتى أعلوا فوقه فيأتيني جبرئيل عليه السلام بلواء الحمد فيضعه في يدي، ويقول: يا محمّد! هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، فأقول لعلي: إصعد، فيكون أسفل مني بدرجة، فأضع لواء الحمد في يده.

ثم يأتي رضوان بمفاتيح الجنّة فيقول: يا محمّد! هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، فيضعها في يدي فأضعها في حِجر علي بن أبي طالب.

ثم يأتي مالك، خازن النار، فيقول: يا محمّد! هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، هذه مفاتيح النّار أدخل عدوّك وعدوّ أُمتك النّار، فآخذها وأضعها في حِجر علي بن أبي طالب، فالنّار والجنّة يومئذ أسمع لي ولعلي من العروس لزوجها، فهي قول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ

(١) بحار الأنوار ٣٢٩/٧ الباب ١٧ ح ٤.

كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[١] ألق يا محمد يا علي عدوّكما في النّار.

ثم أقوم وأثني على الله ثناءاً لم يثن عليه أحد قبلي، ثم أثني على الملائكة المقرّبين، ثمّ أثني على الأنبياء والمرسلين، ثم أُثني على الأمم الصالحين، ثم أجلس فيثني الله عليَّ، ويثني عليَّ أنبياؤه ورسله، ويثني عليَّ ملائكته، ويثني عليَّ الأُمم الصالحة.

ثم ينادي منادٍ من بطنان العرش: يا معشر الخلايق! غضّوا أبصاركم حتى تمرّ بنت حبيب الله إلى قصرها فتمرّ فاطمة بنتي، عليها ريطتان خضراوان، وحولها سبعون ألف حوراء، فإذا بلغت إلى باب قصرها وجدَت الحسن قائماً والحسين قائماً مقطوع الرأس، فتقول للحسن: من هذا؟ يقول: هذا أخي، إنّ أُمّة أبيك قتلوه وقطعوا رأسه، فيأتيها النداء من عند الله: يا بنت حبيب الله! إنّي إنّما أريتك ما فعلت به أمّة أبيك لأنّي ذخرت لك عندي تعزية بمصيبتك فيه، إنّي جعلت لتعزيتك بمصيبتك أنّي لا أنظر في محاسبة العباد حتى تدخلي الجنّة أنت وذريتك وشيعتك ومن أولاكم معروفاً ممّن ليس هو من شيعتك قبل أن أنظر في محاسبةالعباد. فتدخل فاطمة ابنتي الجنّة وذريتها وشيعتها ومن أولاها معروفاً ممّن ليس هو من شيعتنا، فهو قول الله تعالى في كتابه: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[٢] قال: هو يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[٣] هي واللهِ فاطمة وذريّتها وشيعتها ومن أولاهم معروفاً ممّن ليس هو من

---

(١) سورة ق، الآية ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٢.

شيعتها»[1].

٤ ـ حديث ابن البطائني، عن أبيه، عن الامام الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا عليُّ على ناقة من نور، وعلى رأسك تاج له أربعة أركان، على كلّ ركن ثلاثة أسطر: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليٌّ مفتاح الجنّة. ثم يوضع لك كرسيّ يعرف بكرسيّ الكرامة فتقعد عليه، يجمع لك الأوّلون والآخرون في صعيد واحد، فتأمر بشيعتك إلى الجنّة وبأعدائك إلى النار، فأنت قسيم الجنّة وأنت قسيم النار.

لقد فاز من تولّاك، وخاب وخسر من عاداك، فأنت في ذلك اليوم أمين الله وحجّته الواضحة»[2].

٥ ـ حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أتاني جبرئيل وهو فرح مستبشر، فقلت: حبيبي جبرئيل! ـ مع ما أنت فيه من الفرح ـ ما منزلة أخي وابن عمي علي بن أبي طالب عند ربّه؟ فقال: والّذي بعثك بالنبوّة واصطفاك بالرسالة ما هبطتُ في وقتي هذا إلّا لهذا، يا محمّد الله (العليّ خ ل) الأعلى يقرء عليكما السلام وقال: محمّد نبيّ رحمتي، وعليّ مقيم حجّتي لا أُعذّب من والاه وإن عصاني، ولا أرحم من عاداه وإن أطاعني.

قال: ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يأتيني جبرئيل ومعه لواء الحمد وهو سبعون شقّة ـ الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر ـ وأنا على

(١) بحار الأنوار ٧/٣٣٥ ـ ٣٣٦ الباب ١٧ ح ٢١.

(٢) بحار الأنوار ٧/٣٢٩ الباب ١٧ ح ٣٠.

كرسي من كراسي الرضوان، فوق منبر من منابر القدس، فآخذه وأدفعه إلى علي بن أبي طالب.

فوثب عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله! وكيف يطيق عليٌّ حمل اللّواء وقد ذكرت أنّه سبعون شقّة، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر؟!

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يعطي الله علياً من القوّة مثل قوّة جبرئيل، ومن النور مثل نور آدم، ومن الحلم مثل حلم رضوان، ومن الجمال مثل جمال يوسف، ومن الصوت ما يداني صوت داود، ولولا أن يكون داود خطيباً لعليّ في الجنان لأُعطي مثل صوته، وإنَّ علياً أوّل من يشرب من السلسبيل والزنجبيل، لا تجوز لعلي قدم على الصراط إلّا وثبتت له مكانها أُخرى، وإنّ لعلي وشيعته من الله مكاناً يغبطه به الأوّلون والآخرون»[1].

٦ ـ حديث أبان، عن الامام أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام قال:

«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داود النبيّ عليه السلام، فيأتي النّداء من عند الله عزّ وجلّ: لسنا إياك أردنا وإن كنت لله تعالى خليفة؛ ثم ينادي ثانية: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فيأتي النّداء من قِبَلِ الله عزَّ وجلّ: يا معشر الخلائق! هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه، وحجته على عباده، فمن تعلّق بحبله في دارالدنيا فليتعلّق بحبله في هذا اليوم يستضيء بنوره وليتبعه إلى الدرجات العلى من الجنات.

---

(١) بحار الأنوار ٣/٨ الباب ١٨ ح ٣.

قال: فيقوم الناس الذين قد تعلّقوا بحبله في الدنيا فيتّبعونه إلى الجنة. ثم يأتي النّداء من عند الله جلّ جلاله: ألا من ائتمّ بـإمام فـي دارالدّنـيا فليتبعه إلى حيث يذهب به، فحينئذٍ ﴿تَبَرَّأَ الَّذِيْنَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَـنَا كَـرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذٰلِكَ يُرِيْهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِيْنَ مِنَ النَّارِ﴾[١]»[٢].

***

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٦٦ و١٦٧.

(٢) بحار الأنوار ٨/١٠ الباب ١٩ ح ٣.

١١ ـ الحوض

من مكارم النبي والوصي وأهل البيت عليهم السلام في يوم القيامة ومن مفاخر شيعتهم ومحبّيهم حوض الكوثر الذي يسقُون منه أولياءَهم ويُروون منه شيعتهم في يوم الظمأ الأكبر.

قال الشيخ الصدوق في الإعتقادات: «اعتقادنا في الحوض أنّه حقّ، وأنّ عرضه ما بين أيلة[١] وصنعاء[٢]، وهو حوض النبي صلى الله عليه وآله وأنّ فيه من الأباريق عدد نجوم السماء وأنّ الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يَسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً»[٣].

وقد دلّ عليه الكتاب والسنة:

أمّا الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٤].

---

(١) أيلة: بالفتح، مدينة على ساحل بحر قلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأوّل الشام كما في معجم البلدان ١/٢٩٢.

(٢) صنعاء: هي المدينة المعروفة في اليمن، وصنعاء أُخرى قرية بالغوطة من دمشق كما في معجم البلدان ٣/٤٢٦.

(٣) اعتقادات الصدوق ص ٦٥.

(٤) سورة الكوثر، الآية ١.

ففي مجمع البيان[١] تفسيره بحوض النبيّ الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة، وبمعنى نهر الجنة، وبمعنى كثرة النسل والذرية التي ظهرت في نسله من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام حتى لا يحصى عددهم واتصل إلى يوم القيامة مددهم.. إلى سائر المعاني الثمانية التي تلاحظها في التفسير، وقد كان منها المعنى المقصود بالبحث.

وأمّا السنة:

فالأحاديث المتضافرة الثلاثة والثلاثون التي وردت في البحار، منها ما يلي:

١ ـ ما تقدم من حديث أبي الورد قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام جاء فيه:

«إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد من الأوّلين والآخرين... فيقوم رسول الله صلى الله عليه وآله فيتقدّم أمام الناس كلّهم حتى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة وصنعاء؛ فيقف عليه ثم ينادي بصاحبكم، فيقوم أمام الناس فيقف معه، ثم يؤذن للناس فيمرّون.

ثم قال أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: فكم من باكٍ يومئذ وباكية ينادون: يا محمّداه! إذا رأوا ذلك؛ قال: فلا يبقى أحد يومئذ كان يتولانا ويحبّنا إلّا كان في حزبنا ومعنا وورد حوضنا»[٢].

٢ ـ حديث عبدالله بن عباس قال: لمّا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾**[٣] قال له علي بن أبي طالب: **ما هو الكوثر يا رسول الله؟**

قال:

---

(١) مجمع البيان ١٠/٥٤٩.

(٢) بحار الأنوار ٨/١٧ و١٨ الباب ٢٠ ح ١.

(٣) سورة الكوثر، الآية ١.

« نهر أكرمني الله به، قال علي: إنَّ هذا النهر شريف فانعته لنا يا رسول الله! قال: نعم يا علي! الكوثر نهر يجري تحت عرش الله تعالى، ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد. وحصاه (حصباؤه خ ل) الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر[١]، قواعده تحت عرش الله عزّ وجلّ.

ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده في جنب علي أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا علي! إنّ هذا النهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي »[٢].

٣ ـ حديث الحسين بن خالد، عن الامام علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال:

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي »[٣].. الخبر.

٤ ـ حديث المفضّل، عن الامام الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« من أراد أن يتخلّص من هول القيامة فليتولّ وليّي، وليتّبع وصيّي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب، فإنّه صاحب حوضي؛ يذود عنه أعداءه، يسقي أولياءه، فمن لم يُسق منه لم يزل عطشاناً ولم يرو أبداً، ومن سقى منه شربة لم يشق ولم يظمأ أبداً »[٤].. الخبر.

٥ ـ حديث القمي في التفسير، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع في مسجد الخيف:

---

(١) الأذفر بمعنى الجيد من ذفر المسك إذا اشتد طيبه.

(٢) بحار الأنوار ٨/١٨ الباب ٢٠ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار ٨/١٩ الباب ٢٠ ح ٤.

(٤) بحار الأنوار ٨/١٩ الباب ٢٠ ح ٦.

« إني فرَطكم وأنتم واردون عليَّ الحوض؛ حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه قدحان من فضّة عدد النجوم »[١].. الخبر.

٦ ـ ما في حديث الأربعمائة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

« أنا مع رسول الله ومعي عترته على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعلمنا، فإنّ لكل أهل بيت نجيب (نجيباً ـ خ ل) ولنا شفاعة، ولأهل مودّتنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض فإنّا نذود عنه أعداءنا ونسقي منه أحبّاءنا وأولياءنا، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً: حوضنا مترع[٢] **فيه مثعبان (مثقبان ـ خ ل)**[٣] **ينصبّان من الجنّة، أحدهما من تسنيم والآخر من معين، على حافيته الزعفران وحصاه اللّؤلؤ والياقوت وهو الكوثر »**[٤].. الخبر.

وتلاحظ وصف الكوثر في حديث مسمع كردين مفصلاً[٥] رزقنا الله تعالى الارتواء من ذلك الحوض المبارك.. الذي هو الملتقى لورود الكتاب والعترة على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كما في حديث الثقلين، وهو المنهل العذب لورود الجنّة ونعيم الآخرة.

***

---

(١) بحار الأنوار ١٩/٨ الباب ٢٠ ح ٧.

(٢) من الإتّراع بمعنى الإمتلاء.

(٣) المثعب هو مسيل الماء.. وفي الخصال: شِعبان.

(٤) بحار الأنوار ١٩/٨ الباب ٢٠ ح ٩.

(٥) بحار الأنوار ٢٨٩/٤٤ الباب ٣٤ ح ٣١.

١٢ ـ الشفاعة

من المقامات الحميدة والدرجاتُ المزيدة في علوّ شأن النبي وآله الطاهرين يوم القيامة، هي شفاعتهم إلى الله تعالى.

والشفاعة في اللغة، هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، كما في مجمع البحرين[١].

والشفاعة تنبئ عن كرامة أهل البيت عليهم السلام وتكريم الله لهم في ذلك اليوم بعد مجهوليّة حقّهم في الدنيا، وقد أعطاهم الله المقام المحمود والعطاء المسعود، كما عرفته في آيات الذكر الحكيم.

وتبتني الشفاعة على عفو الله تعالى وهو حَسَن، إذ أنّ كل إحسان حَسَن، والعقاب حقّه تعالى فجاز إسقاطه، وقد قال الله تعالى: **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾**[٢]. وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ﴾**[٣].

كما استدل به العلّامة أعلى الله مقامه في نهج المسترشدين[٤].

والشفاعة من الحقائق الناصعة والأنوار الساطعة في الكتاب والسنة، فقد ثبتت

---

(١) مجمع البحرين ص ٣٨٣.

(٢) سورة الرعد، الآية ٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٤) نهج المسترشدين ص ٨٢.

بقطعي الكتاب وتواتر الأحاديث.

وهي من العقائد الحقّة والإعتقادات الصادقة النزيهة عن كل ريب والمتعالية عن كل عيب فلا يمكن إنكارها أو استبعادها.

قال الشيخ الصدوق في الإعتقادات[١]: «اعتقادنا في الشفاعة أنّها لمن ارتضى الله دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة... والشفاعة لا تكون لأهل الشك والشرك، ولا لأهل الكفر والجحود، بل تكون للمذنبين من أهل التوحيد».

وأفاد العلّامة المجلسي في الإعتقادات[٢]: «يلزم الإعتقاد بشفاعة النبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين، وهي مختصّة بالمؤمنين».

وقال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان[٣]: «وهي ـ يعني الشفاعة ـ ثابتةٌ عندنا للنبي ولأصحابه المنتجبين والأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالح المؤمنين وينجي الله تعالى بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين».

وقال السيد الشبر في حق اليقين[٤]: «لا خلاف بين المسلمين في ثبوت الشفاعة لسيد المرسلين في أمّته بل في سائر الأمم الماضين بل ذلك من ضروريات الدين».

وتعرف من عبارة السيد أن الشفاعة ثابتة لا عند الخاصة فحسب بل حتى عند العامة.. وهو كذلك.

فقد قال النووي في شرح صحيح مسلم: «قال القاضي عياض: مذهب أهل السنّة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً بصريح الآيات، وبخبر الصادق، وقد جاءت

---

(١) اعتقادات الصدوق ص ٦٦.

(٢) اعتقادات المجلسي ص ٤٢.

(٣) مجمع البيان ١/١٠٣.

(٤) حق اليقين ٢/١٣٤.

الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف الصالح من بعدهم من أهل السنّة عليها»[١].

ثم إنّ الدليل على الشفاعة ثابت بالأدلة العلمية من الكتاب الكريم والسنة المتواترة.

أمّا الكتاب فمثل:

١ ـ قوله تعالى: **﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً﴾**[٢].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾**[٣].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ من خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾**[٤].

.. إلى غير ذلك من آي الكتاب الكريم.

وأمّا السنة:

فالأحاديث المتضافرة المتواترة التي تفوق على مئة حديث قد وردت في المصادر المعتمدة وجمعت في بحار الأنوار في بابين، أحدهما: باب الشفاعة من كتاب العدل والمعاد، ويشتمل على ستة وثمانين حديثاً، وثانيهما: باب الصفح عن الشيعة وشفاعة أئمّتهم من كتاب الإيمان والكفر، ويشتمل على سبعة وتسعين حديثاً.

---

(١) بحار الأنوار ٦٢/٨.

(٢) سورة مريم، الآية ٨٧.

(٣) سورة طه، الآية ١٠٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

فلاحظ من هذه الأحاديث المباركة التي تفيد العلم بثبوت الشفاعة للنبي وآله الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ما يلي:

١ ـ حديث الحسين بن خالد، عن الامام الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي.

ثم قال عليه السلام: إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل.

قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله! فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إلّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[١]؟

قال: لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله دينه »[٢].

٢ ـ حديث سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

« سألته عن شفاعة النبيّ يوم القيامة؟

قال: يلجم الناس يوم القيامة العرق[٣]**، فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا (عند ربّه ـ خ ل)، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربّك، فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كلُّ نبيّ إلى من يليه حتى ينتهون إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمّد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء ـ**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

(٢) بحار الأنوار ٨/٣٤ الباب ٢١ ح ٤.

(٣) قال في مجمع البحرين ص ٥٣٧: ألجمهم العرق أي سال منهم إلى أن يصل إلى قرب أفواههم فكأنما ألجمهم.

فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنّة ويستقبل باب الرحمن ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله.

فيقول الله عزّ وجلّ: ارفع رأسك واشفع تُشفَّع وسَل تُعطَ، وذلك قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[١]»[٢].

٣ ـ حديث القلانسي، عن الامام الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أُمتي فيشفّعني الله فيهم، والله لا تشفّعت فيمن آذى ذريتي»[٣].

٤ ـ حديث محمّد بن عمارة المتقدم، عن أبيه قال: قال الصادق جعفر ابن محمّد عليه السلام:

«من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة»[٤].

٥ ـ حديث تفسير القمي عند قوله تعالى: **﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾**[٥]، قال: لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتى يأذن الله له إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ الله قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة.

والشفاعة له وللأئمة من ولده، ثم بعد ذلك للأنبياء صلوات الله وعلى محمّد وآله وعليهم.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٩.

(٢) بحار الأنوار ٨/٣٥ ـ ٣٦ الباب ٢١ ح ٧.

(٣) بحار الأنوار ٨/٣٧ الباب ٢١ ح ١٢.

(٤) بحار الأنوار ٨/٣٧ الباب ٢١ ح ١٣.

(٥) سورة السبأ، الآية ٢٣.

قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي العباس المكبّر قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين صلوات الله عليهما على أبي جعفر عليه السلام يقال له: أبو أيمن، فقال: يا أبا جعفر! تغرّون الناس وتقولون: شفاعة محمّد، شفاعة محمّد! فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربّد وجهه[1]، ثم قال:

« ويحك يا أبا أيمن! أغرّك أن عفّ بطنك وفرجك؟

أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله، ويلك! فهل يشفع إلّا لمن وجبت له النار؟

ثمّ قال: ما أحد من الأوّلين والآخرين إلّا وهو محتاج شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في اُمّته، ولنا شفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم.

ثم قال: وإنّ المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وإنّ المؤمن ليشفع حتى لخادمه، ويقول: ياربّ! حقّ خدمتي كان يقيني الحرّ والبرد »[2].

٦ ـ حديث داود بن سليمان، عن الامام الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« إذا كان يوم القيامة وُلّينا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ حكمنا فيها فأجابنا، ومن كانت مظلمته بينه وفيما بين الناس استوهبناها فوُهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنّا أحقّ من عفا وصفح »[3].

---

(١) تربّد وجهه: أي تغيّر من الغضب.

(٢) بحار الأنوار ٣٨/٨ الباب ٢١ ح ١٦.

(٣) بحار الأنوار ٤٠/٨ الباب ٢١ ح ٢٤.

٧ ـ حديث علي بن أبي حمزة قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام:

«إنّ لنا جاراً من الخوارج يقول: إنّ محمداً يوم القيامة همّه نفسه فكيف يشفع؟

فقال أبوعبدالله عليه السلام: ما أحد من الأوّلين والآخرين إلّا وهو يحتاج إلى شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله يوم القيامة»[١].

٨ ـ حديث تفسير الامام العسكري عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾**[٢].

«لا يدفع عنها عذابٌ قد استحقّته عند النزع ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾[٣] يشفع لها بتأخير الموت عنها ﴿وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[٤] لا يقبل فداء مكانه يمات ويترك هو.

قال الصادق عليه السلام: وهذا يوم الموت، فإنّ الشفاعة والفداء لا يغني فيه (عنه ـ خ ل) فأمّا في يوم القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء ليكوننّ على الأعراف بين الجنّة محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والطيبون من آلهم، فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات فمن كان منهم مقصّراً في بعض شدائدها فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار ونظرائهم في العصر الذي يليهم وفي كل عصر إلى يوم القيامة، فينقضّون عليهم كالبزاة والصقور ويتناولونهم كما يتناول البزاة والصقور صيدها فيزفّونهم إلى الجنّة زفاً.

وإنّا لنبعث على آخرين (من ـ خ ل) محبّينا من خيار شيعتنا كالحمام

---

(١) بحار الأنوار ٤٢/٨ الباب ٢١ ح ٣١.

(٢ ـ ٣) سورة البقرة، الآية ٤٨.

فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحب وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا.

وسيؤتى بالواحد من مقصّري شيعتنا في أعماله بعد أن صان (قد حاز ـ خ ل) الولاية والتقيّة وحقوق إخوانه ويوقف بإزائه ما بين مئة وأكثر من ذلك إلى مئة ألف من النصّاب فيقال له: هؤلاء فداؤك من النار، فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصّاب النار، وذلك ما قال الله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾ يعني بالولاية ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِيْنَ﴾[1] في الدنيا منقادين للإمامة ليجعل مخالفوهم من النار فداؤهم»[2].

٩ ـ حديث محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر [الباقر] عليه السلام يقول:

«لَفاطمة وقفة على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كُتب بين عيني كلّ رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرء بين عينيه محباً، فتقول: إلهي وسيّدي! سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولّاني وتولّى ذرّيّتي من النار، ووعدك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد.

فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت يا فاطمة! إني سميتكِ فاطمة وفطمت بك من أحبّك وتولّاك وأحب ذرّيّتك وتولاهم من النار، ووعدي الحقُّ وأنا لا أخلف الميعاد، وإنّما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأُشفّعك ليتبيّن لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك منّي ومكانتك عندي. فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فجذبت بيده وأدخلته الجنّة»[3].

---

(١) سورة الحجر، الآية ٢.

(٢) بحار الأنوار ٨/٤٤ـ٤٥ الباب ٢١ ح ٤٥.

(٣) بحار الأنوار ٨/٥١ الباب ٢١ ح ٥٨.

١٠ ـ حديث تفسير الامام العسكري عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

« أما إنّ من شيعة علي عليه السلام لمن يأتي يوم القيامة وقد وضع له في كفّة سيّئاته من الآثام ما هو أعظم من الجبال الرواسي والبحار السيّارة، تقول الخلائق: هلك هذا العبد، فلا يشكّون أنّه من الهالكين وفي عذاب الله من الخالدين، فيأتيه النداء من قبل الله تعالى: يا أيّها العبد الجاني! هذه الذنوب الموبقات فهل بإزائها حسنة تكافئها وتدخل الجنّة برحمة الله، أو تزيد عليها فتدخلها بوعد الله؟ يقول العبد: لا أدري.

فيقول منادي ربّنا عزّ وجلّ: إن ربّي يقول: نادِ في عرصات القيامة: ألا إنّ فلان بن فلان من بلد كذا وكذا وقرية كذا وكذا قد رهن بسيّئاته كأمثال الجبال والبحار ولا حسنة بإزائها، فأي أهل هذا المحشر كانت لي عنده يدٌ أو عارفة[1] فليغثني بمجازاتي عنها، فهذا أوان شدّة حاجتي إليها، فينادي الرجل بذلك، فأوّل من يجيبه علي بن أبي طالب: لبّيك لبّيك لبّيك أيّها الممتحن في محبتي، المظلوم بعداوتي.

ثم يأتي هو ومن معه عدد كثير وجمّ غفير وإن كانوا أقلّ عدداً من خصمائه الذين لهم قبله الظلامات فيقول ذلك العدد: يا أمير المؤمنين! نحن إخوانه المؤمنون، كان بنا بارّاً ولنا مكرماً، وفي معاشرته إيانا مع كثرة إحسانه إلينا متواضعاً، وقد نزلنا له عن جميع طاعاتنا وبذلناها له.

فيقول عليٌّ عليه السلام: فبماذا تدخلون جنّة ربّكم؟ فيقولون: برحمة الله الواسعة التي لا يعدمها من والاك ووالى آلك يا أخا رسول الله!

فيأتي النداء من قبل الله تعالى: يا أخا رسول الله! هؤلاء إخوانه المؤمنون

---

(١) العارفة هو المعروف.

قد بذلوا له فأنت ماذا تبذل له؟ فإني أنا الحكم، ما بيني وبينه من الذنوب قد غفرتها له بموالاته إيّاك، وما بينه وبين عبادي من الظلامات فلا بد من فصلي بينه وبينهم، فيقول عليٌّ عليه السلام: يا ربّ! أَفعلُ ما تأمرني.

فيقول الله: يا عليّ! اضمن لخصمائه تعويضهم عن ظلاماتهم قبله؛ فيضمن لهم عليّ عليه السلام ذلك ويقول لهم: اقترحوا عليَّ[1] ما شئتم أُعطكم عوضاً من ظلاماتكم قبله، فيقولون: يا أخا رسول الله! تجعل لنا بإزاء ظلامتنا قبله ثواب نفَس من أنفاسك ليلة بيتوتتك على فراش محمّد صلى الله عليه وآله، فيقول عليٌّ عليه السلام: قد وهبت ذلك لكم.

فيقول الله عزّ وجلّ: فانظروا يا عبادي الآن إلى ما نلتموه من علي، فداء لصاحبه من ظلاماتكم؛ ويظهر لهم ثواب نفَس واحد في الجنان من عجائب قصورها وخيراتها فيكون ذلك مايرضي الله به خصماء أُولئك المؤمنين، ثمّ يريهم بعد ذلك من الدرجات والمنازل ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على بال بشر؛ يقولون: يا ربّنا! هل بقي من جنانك شيء؟ إذا كان هذا كلّه لنا فأين تحلّ سائر عبادك المؤمنين والأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين؟ ويخيّل إليهم عند ذلك أنَّ الجنّة بأسرها قد جعلت لهم.

فيأتي النداء من قبل الله تعالى: يا عبادي! هذا ثواب نفس من أنفاس علي بن أبي طالب الذي اقترحتموه عليه، قد جعله لكم فخذوه وانظروا، فيصيرون هم وهذا المؤمن الذي عوّضه عليٌّ عليه السلام في تلك الجنان، ثم يرون ما يضيفه الله عزّ وجلّ إلى ممالك عليٍّ عليه السلام في الجنان ما هو أضعاف

(١) يقال: اقترح عليه كذا أي اشتهىٰ أن يصنعه له.

ما بذله عن وليّه الموالي له ممّا شاء من الأضعاف التي لا يعرفها غيره.

ثم قال رسول الله ﷺ: أذلك خير نُزلاً أم شجرة الزقوم المعدّة لمخالفي أخي ووصيي علي بن أبي طالب عليه السلام؟»(١).

١١ ـ حديث التميمي، عن الامام الرضا، عن آبائه، عن الامام الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام:

« بشّر شيعتك أني الشفيع لهم يوم القيامة وقت لا تنفع فيه إلّا شفاعتي »(٢).

١٢ ـ حديث العلاء، عن محمّد قال: سألت أبا جعفر [الباقر] عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾**(٣)؟

فقال عليه السلام:

« يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه لا يُطلع على حسابه أحداً من الناس فيعرِّفه ذنوبه، حتى إذا أقرَّ بسيّئاته قال الله عزَّ وجلّ للكَتَبة: بدِّلوها حسنات، وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيّئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنّة، فهذا تأويل الآية، فهي في المذنبين من شيعتنا خاصّة »(٤).

١٣ ـ حديث مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

« والله لا يهلك هالك على حبِّ علي إلّا رآه في أحبِّ المواطن إليه [والله لا

---

(١) بحار الأنوار ٥٩/٨ ـ ٦١ الباب ٢١ ح ٨٢.

(٢) بحار الأنوار ٩٨/٦٨ باب ١٨ ح ٢.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٧٠.

(٤) بحار الأنوار ١٠٠/٦٨ الباب ١٨ ح ٤.

يهلك هالك على بغض علي إلّا رآه في أبغض المواطن إليه]»(١).

١٤ ـ حديث المنصوري عن عمّ أبيه، عن أبي الحسن الثالث [الامام الهادي]، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« يا علي! إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفرَ لك ولشيعتك ولمحبي شيعتك ومحبّي محبّي شيعتك، فأبشر، فانّك الأنزع البطين: منزوع من الشرك بطين من العلم »(٢).

١٥ ـ حديث صفوان الجمّال قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك! سمعتك تقول: شيعتنا في الجنّة، وفيهم أقوام مذنبون، يركبون الفواحش، ويأكلون أموال الناس، ويشربون الخمور، ويتمتّعون في دنياهم.

فقال عليه السلام:

« هم في الجنّة، اعلم أنَّ المؤمن من شيعتنا لا يخرج من الدُّنيا حتى يبتلى بدَين أو بسقم أو بفقر، فإن عفي عن هذا كلّه شدَّد الله عليه في النزع عند خروج روحه حتّى يخرج من الدنيا ولا ذنب عليه.

قلت: فداك أبي وأمّي فمن يردُّ المظالم؟

قال: الله عزَّ وجلَّ يجعل حساب الخلق إلى محمّد وعلي عليهما السلام فكل ما كان على شيعتنا حاسبناهم ممّا كان لنا من الحقِّ في أموالهم، وكلُّ ما بينه وبين خالقه استوهبناه منه، ولم نزل به حتى ندخله الجنّة برحمة من الله، وشفاعة من محمّد وعلي عليهما السلام »(٣).

---

(١) بحار الأنوار ٦٨/١٠٠ الباب ١٨ ح ٦.

(٢) بحار الأنوار ٦٨/١٠١ الباب ١٨ ح ٩.

(٣) بحار الأنوار ٦٨/١١٤ الباب ١٨ ح ٣٣.

هذا كله مضافاً إلى أحاديث العامة في الشفاعة مما أخرجها أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد ممّا جمعها وجمعهم شيخنا العلامة الأميني في باب الحثّ على زيارة قبر النبي ﷺ في كتاب الغدير[1] فلاحظ.

***

(١) الغدير ٥/٩٣ـ ١٢٥.

١٣ ـ الصراط

الصراط في اللغة هو الطريق، ولذلك سمي الدين صراطاً لأنه طريق إلى الصواب، وبه سمّي الولاء لأمير المؤمنين والأئمة من ذريّته عليهم السلام صراطاً، ومن معناه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا صراط الله المستقيم والعروة الوثقى التي لا انفصام لها..**» يعني أنّ معرفته والتمسك به طريق إلى الله سبحانه كما أفاده الشيخ المفيد في التصحيح[1].

واعتقادنا في الصراط أنه حق، وأنّه جسر على جهنّم وأنّ عليه ممرّ جميع الخلق قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً**﴾[2].

والصراط في وجهٍ آخر: اسم حجج الله فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم أعطاه الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنّم يوم القيامة، كما أفاده الشيخ الصدوق في الإعتقادات[3].

وهو من ضروريات الدين ولا خلاف فيه بين أحد من المسلمين، والآيات فيه متضافرة والأخبار به متواترة كما بيّنه السيد الشبّر في حق اليقين[4].

وقد دلّ على الصراط كتاب الله الكريم في الآيات الصادعة، وسنة الرسول والآل

---

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية ص ١٠٨.

(٢) سورة مريم، الآية ٧١.

(٣) الإعتقادات ص ٧٠.

(٤) حق اليقين ٢/١٤٠.

في رواياتهم الرائعة.

فمن الكتاب:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾**[١].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾**[٢].

ومن السنة:

الروايات الكثيرة الواردة في المقام، منها ما في البحار[٣] من الأحاديث التسعة عشر مثل:

١ ـ حديث أبي بصير، عن الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«النّاس يمرّون على الصّراط طبقات والصّراط أدقّ من الشّعر ومن حدّ السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ حبواً، ومنهم من يمرّ مشياً، ومنهم من يمرّ متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً»[٤].

٢ ـ حديث المفضّل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط؟

فقال:

«هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ، وهما صراطان: صراط في الدّنيا وصراط في الآخرة.

فأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٧٤.

(٢) سورة الفجر، الآية ١٤.

(٣) بحار الأنوار ٨/٦٤ الباب ٢٢.

(٤) بحار الأنوار ٨/٦٤ ـ ٦٥ الباب ٢٢ ح ١.

الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم»[١].

٣ ـ حديث سعد بن طريف، عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يا علي! إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلم يجز أحد إلّا من كان معه كتاب فيه براة[٢] **بولايتك»**[٣].

٤ ـ محمّد بن الفضيل الرزقي، عن الامام الصادق، عن آبائه، عن الامام علي عليهم السلام ـ وساق الحديث إلى أن قال ـ:

«فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ! سلّم شيعتي ومحبّيّ وأنصاري ومن تولّاني في دارالدنيا..»[٤]. إلى آخر ما مرّ في باب الشفاعة.

٥ ـ الثمالي، عن أبي جعفر الباقر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«ما ثبت حبّك في قلب امرئ مؤمن فزلّت به قدم على الصراط إلّا ثبتت له قدم حتى أدخله الله بحبك الجنّة»[٥].

هذا وتلاحظ أحاديث تُصرّح أن أهل البيت عليهم السلام هم الصراط إلى الله تعالى في بحار الأنوار[٦] بما يبلغ خمسة وعشرين حديثاً.

---

(١) بحار الأنوار ٨/٦٦ الباب ٢٢ ح ٣.

(٢) أي صك البراءة والأمان من النار.

(٣) بحار الأنوار ٨/٦٦ الباب ٢٢ ح ٤.

(٤) بحار الأنوار ٨/٦٩ الباب ٢٢ ح ١٥.

(٥) بحار الأنوار ٨/٦٩ الباب ٢٢ ح ١٧.

(٦) بحار الأنوار ٣٥/٣٦٣ الباب ١٦ الأحاديث.

١٤ ـ الجنّة والنّار

الغاية القصوى والنهاية الخالدة للمؤمنين هي الجنّة ونعيمها.

كما أنّ الخزي المستمر والهوان الدائم لغير المؤمنين هي النار وجحيمها.

أناد العلامة المجلسي: والإيمان بالجنّة والنار ـ على ما وردَتا في الآيات والأخبار من غير تأويل ـ من ضروريات الدين، ومنكرهما أو مؤولهما بـما أوّل بـه بـعض الفلاسفة خارج من الدين، وأما كـونهما مـخلوقتان الآن فـقد ذهب إليـه جـمهور المسلمين إلّا شر ذمة من المعتزلة فإنّهم يقولون ستخلقان فـي القـيامة.. والآيـات والأخبار المتواترة دافعة لقولهم، مزيفة لمذهبهم[١].

وأفاد السيد الشبر: يجب الإيمان بالجنّة والنار الجسمانيين على نحو ما تكاثرت به الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة..

وذلك من ضروريات الدين الذي لم يخالف فيه أحد من المسلمين..

ومن أنكر وجودهما مطلقاً كالملاحدة، أو أَوَّلَهما بعالم المثال كالرؤيا في المنام وهم الإشراقيّون، أو أَوَّلَهما باللذات والآلام العقلية لكون النفوس البشرية أزلية كما عليه المشائيّون، فلا ريب في كفرهم[٢].

وقـال الشـيخ الصـدوق فـي الإعـتقادات: «اعـتقادنا فـي الجـنّة أنّـها دارالبـقاء

---

(١) بحار الأنوار ٢٠٥/٨.

(٢) حق اليقين ١٤٥/٢.

ودارالسلامة. لا موت فيها، ولا هَرَم، ولا سقم، ولا مرض، ولا آفة، ولا زوال، ولا زمانة، ولا غمّ، ولا همّ، ولا حاجة، ولا فقر.

وأنها دارالغنى والسعادة، ودارالمقامة والكرامة، لا يمس أهلها فيها نصب، ولا يمسّهم فيها لغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون...

واعتقادنا في النار أنّها دارالهوان، ودارالانتقام من أهل الكفر والعصيان، لا يخلّد فيها إلّا أهل الكفر والشرك. وأمّا المذنبون من أهل التوحيد، فإنهم يخرجون منها بالرحمة التي تدركهم، والشفاعة التي تنالهم...

واعتقادنا في الجنّة والنار أنّهما مخلوقتان...

واعتقادنا أنه لا يخرج أحد من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنّة أو من النار...

وأما جنّة آدم، فهي جنّة من جنان الدنيا، تطلع الشمس فيها وتغيب، وليست بجنّة الخلد، ولو كانت جنّة الخلد ما خرج منها أبداً.

واعتقادنا أنّ بالثواب يخلد أهل الجنّة في الجنّة وبالعقاب يخلد أهل النار في النار وما من أحد يدخل الجنّة حتى يعرض عليه مكانه من النار، فيقال له: هذا مكانك الذي لو عصيت الله لكنت فيه. وما من أحد يدخل النار حتى يعرض عليه مكانه من الجنّة، فيقال له: هذا مكانك الذي لو أطعت الله لكنت فيه. فيُورّث هؤلاء مكان هؤلاء، وهؤلاء مكان هؤلاء، وذلك قوله تعالى: **﴿أولئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِيْنَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[1][2].

والخلود لأهل الجنّة والنار مما هو ثابت قطعي بالكتاب العلمي والحديث المعصومي والإجماع الكلّي، قال العلّامة الحلّي في شرح التجريد: «أجمع

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ١٠ و ١١.

(٢) الإعتقادات ص ٧٦ ـ ٨٠.

المسلمون على أنّ عذاب الكافر مؤبّد لا ينقطع»[١].

وقال العلّامة المجلسي في البحار: «اعلم أن خلود أهل الجنّة في الجنّة ممّا أجمع عليه المسلمون، وكذا خلود الكفّار في النار ودوام تعذيبهم، قال شارح المقاصد: أجمع المسلمون على خلود أهل الجنّة، وخلود الكفار في النار»[٢].

وقال العلّامة الشبر في حق اليقين: «اعلم أنّه لا خلاف بين كافّة المسلمين في أنّ الكفار الذين تمّت عليهم الحجة مخلدون في النار وفي العذاب... وقد تظافرت بذلك الآيات وتواترت به الروايات عن النبي والأئمة الهُداة، بل هو ضروري الدين لا خلاف فيه بين أحد من المسلمين...»[٣].

والدليل على الجنّة والنار من الكتاب والسنة متظافر متكاثر بالغ حد العلم ومفيد لليقين.

أمّا الكتاب:

فآيات كثيرة تربو على مائتين منها:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[٤].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[٥].

---

(١) شرح التجريد ص ٢٥٠.

(٢) بحار الأنوار ٨/٣٥٠.

(٣) حق اليقين ٢/١٧٨.

(٤) سورة البقرة، الآية ٨٢.

(٥) سورة النساء، الآية ١٣.

٣ ـ قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[1].

وأما السنة:

فالروايات الواردة البالغة فوق حدّ التواتر، المنقولة عن أهل بيت الوحي المتصلين برب الجنة والنار.

وتلاحظ هذه الروايات مجموعة في بحار الأنوار[2]، المشتمل على ٢١٥ حديثاً، ثم أحاديث النار وجحيمها المشتمل على ١٠٢ حديثاً[3]، ونحن نختار منها ما تكفى للتذكرة والذكرىٰ، فنقدّم أولاً ما يخصّ الجنّة ونعيمها مثل:

١ ـ حديث عبد الله بن علي أنّه لقي بلال، مؤذن رسول الله ﷺ، فسأله عن وصف بناء الجنّة؟

قال: اكتب: بسم لله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنّ سور الجنّة لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، ولبنة من ياقوت، وملاطها[4] المسك الأذفر، وشُرُفها[5] الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر.

قلت: فما أبوابها؟

قال: أبوابها مختلفة: باب الرحمة من ياقوتة حمراء.

قلت: فما حلقته؟

---

(١) سورة البقرة، الآية ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ١١٦/٨ ـ ٢٢٢ باب الجنة ونعيمها.

(٣) بحار الأنوار ٢٢٢/٨ ـ ٣٢٩.

(٤) الملاط هو الطين الذي يُجعل بين سافَي البناء كما في مجمع البحرين ص ٣٦٦.

(٥) الشُرُف: جمع شرفة وهو من القصر ما أشرف من بنائه.

قال: ويحك اكفّ عنّي فقد كلّفتني شططاً[١].

قلت: ما أنا بكافٍّ عنك حتى تؤدي إليّ ما سمعت من رسول الله ﷺ في ذلك.

قال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا باب الصبر فباب صغير مصراع واحد من ياقوتة حمراء لا حلق له.

وأمّا باب الشكر فإنّه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان مسيرة ما بينهما خمسمائة عام، له ضجيج وحنين يقول: اللّهم جئني بأهلي.

قلت: هل يتكلّم الباب؟!

قال: نعم يُنطقه ذو الجلال والاكرام.

وأمّا باب البلاء.

قلت: أليس باب البلاء هو باب الصبر؟

قال: لا.

قلت: فما البلاء؟

قال: المصائب والأسقام والأمراض والجذام، وهو باب من ياقوتة صفراء مصراع واحد ما أقل من يدخل منه!

قلت: رحمك الله! زدني وتفضل عليّ فإنّي فقير.

قال: يا غلام! لقد كلّفتني شططاً، أمّا الباب الأعظم فيدخل منه العباد الصّالحون، وهم أهل الزهد والورع والراغبون إلى الله عزّ وجلّ المستأنسون به.

قلت: رحمك الله! فإذا دخلوا الجنّة ماذا يصنعون؟

---

(١) أي أمراً شاقاً.

قال: يسيرون على نهرين في مصافّ في سفن الياقوت، مجاذيفها اللّؤلؤ، فيها ملائكة من نور، عليهم ثياب خضر شديدة خضرتها.

قلت: رحمك الله! هل يكون من النّور أخضر؟

قال: إنّ الثياب هي خضر ولكن فيها نور من نور ربّ العالمين جلّ جلاله، يسيرون على حافتي ذلك النّهر.

قلت: فما اسم ذلك النّهر؟

قال: جنّة المأوى.

قلت: هل وسطها غير هذا؟

قال: نعم، جنّة عدن، وهي في وسط الجنان، فأمّا جنّة عـدن فسـورها ياقوت أحمر، وحصباؤها اللّؤلؤ.

قلت: فهل فيها غيرها؟

قال: نعم، جنّة الفردوس.

قلت: وكيف سورها؟

قال: ويحك! كفّ عنّي حيّرت عليَّ قلبي.

قلت: بل أنت الفاعل بي ذلك، ما أنا بكافٍّ عـنك حـتى تـتمّ لي الصّـفة وتخبرني عن سورها.

قال: سورها نور.

فقلت: والغرف التي هي فيها؟

قال: هي من نور ربّ العالمين.

قلت: زدني رحمك الله!

قال: ويحك! إلى هذا انتهى بنا رسول الله ﷺ، طوبى لك إن أنت وصلت

إلى بعض هذه الصفة، وطوبى لمن يؤمن بهذا»[1]. الخبر.

٢ ـ حديث أبي بصير، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال:

« قال أمير المؤمنين عليه السلام: طوبى شجرة في الجنة أصلها في دارالنبي صلى الله عليه وآله، وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن منها، لا تخطر على قلبه شهوة شيء إلّا أتاه به ذلك الغصن، ولو أن راكباً مجدّاً سار في ظلّها مئة عام ما خرج منها، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتى يسقط هرماً، ألا ففي هذا فارغبوا»[2]. الخبر.

٣ ـ حديث أبي بصير، عن الامام الصادق، عن آبائه، عن الامام علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« إنّ في الجنّة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من اُمّتي من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السّلام، وصلى باللّيل والناس نيام»[3]. الخبر.

٤ ـ حديث الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله! أخبرني عن الجنّة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال:

« نعم، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النار لمّا عرج به إلى السماء؛ قال: فقلت له: فإنّ قوماً يقولون: إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين.

فقال عليه السلام: ما أولئك منّا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنّار فقد

---

(١) بحار الأنوار ٨/١١٦ ـ ١١٧ الباب ٢٣ ح ١.

(٢) بحار الأنوار ٨/١١٧ ـ ١١٨ الباب ٢٣ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار ٨/١١٩ الباب ٢٣ ح ٥.

كذّب النبيّ ﷺ وكذّبنا وليس من ولايتنا على شيء، وخلّد في نار جهنم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[١].

وقال النبيّ ﷺ: لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة فناولني رطبها فأكلته فتحوّل ذلك نطفة في صلبي... ففاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[٢].

٥ ـ حديث موسى بن إبراهيم، عن الامام أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال:

«قالت أمّ سلمة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: بأبي أنت وأمي المرأة يكون لها زوجان فيموتون ويدخلون الجنّة لأيّهما تكون؟ فقال ﷺ: يا أمّ سلمة! تخيّر أحسنهما خلقاً وخيرهما لأهله، يا أمّ سلمة! إنّ حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة»[٣].

٦ ـ حديث أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يابن رسول الله! شوّقني.

فقال:

«يا أبا محمد! إنّ الجنّة توجد ريحها من مسيرة ألف عام، وإنّ أدنى أهل الجنّة منزلاً لو نزل به الثقلان الجنّ والإنس لَوَسعهم طعاماً وشراباً ولا

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) بحار الأنوار ٨/١١٩ الباب ٢٣ ح ٦.

(٣) بحار الأنوار ٨/١١٩ الباب ٢٣ ح ٧.

ينقص مما عنده شيء، وإنّ أيسر أهل الجنّة منزلة من يدخل الجنّة فيرفع له ثلاث حدائق، فإذا دخل أدناهن رأى فيها من الأزواج والخدم والأنهار والثمار ما شاء الله، فإذا شكر الله وحمده قيل له: ارفع رأسك إلى الحديقة الثانية، ففيها ما ليس في الأولى، فيقول: يا ربّ! أعطني هذه.

فيقول: إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: ربّ! هذه هذه، فإذا هو دخلها وعظمت مسرَّته شكر الله وحمده.

قال: فيقال: افتحوا له باب الجنّة، ويقال له: ارفع رأسك، فإذا قد فتح له باب من الخلد ويرى أضعاف ما كان فيما قبل، فيقول عند تضاعف مسرّاته: ربّ! لك الحمد الذي لا يحصى إذ مننت عليّ بالجنان وأنجيتني من النيران، فيقول: ربّ أدخلني الجنّة وأنجني من النار.

قال أبوبصير: فبكيت وقلت له: جعلت فداك! زدني.

قال: يا أبا محمّد! إنّ في الجنّة نهراً في حافيتها جوار نابتات، إذا مرّ المؤمن بجارية أعجبته قلعها وأنبت الله مكانها أخرى.

قلت: جعلت فداك! زدني.

قال: المؤمن يزوج ثمان مئة عذراء وأربعة آلاف ثيّب وزوجتين من الحور العين.

قلت: جعلت فداك! ثمان مئة عذراء؟

قال: نعم، ما يفترش منهنّ شيئاً إلّا وجدها كذلك.

قلت: جعلت فداك! من أيّ شيء خلقن الحور العين؟

قال: من الجنّة[1] ويرى مخُّ ساقيها من وراء سبعين حلّة.

---

(١) في المصدر: من تربة الجنة النورانية.

قلت: جعلت فداك! ألهن كلام يتكلّمن به في الجنّة؟

قال: نعم كلام يتكلّمن به لم يسمع الخلائق بمثله.

قلت: ما هو؟

قال: يقلن: نحن الخالدات لا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن خلق لنا، وطوبى لمن خلقنا له، نحن اللّواتي (لو علّق إحدانا في جوّ السماء لأغنى نورنا عن الشمس والقمر ـ خ ل) لو أن قرن إحدانا علّق في جو السماء لأغشى نوره الأبصار»[١].

٧ ـ حديث محمّد بن الفضل الزرقي، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«إنّ للجنّة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيّون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصّالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ! سلّم شيعتي ومحبّيَّ وأنصاري ومن تولّاني في دارالدنيا؛ فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشفعت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولّاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه؛ وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلّا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت»[٢].

٨ ـ حديث ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

---

(١) بحار الأنوار ٨/١٢٠ ـ ١٢١ الباب ٢٣ ح ١١.

(٢) بحار الأنوار ٨/١٢١ ـ ١٢٢ الباب ٢٣ ح ١٢.

« إن حلقة باب الجنّة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فإذا دقّت الحلقة على الصفحة طنّت وقالت: يا علي »[١].

٩ ـ حديث عمر بن عبد الله الثقفي قال: سأل نصراني الشام الباقر عليه السلام عن أهل الجنّة: كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون؟ أعطني مثله في الدنيا.

فقال عليه السلام:

« هذا الجنين في بطن أمّه يأكل ممّا تأكل أمّه ولا يتغوط »[٢]. الخبر.

١٠ ـ حديث ابن عباس قال: قدم يهوديّان فسألا أمير المؤمنين عليه السلام فقالا: أين تكون الجنة؟ وأين تكون النار؟

قال:

« أما الجنّة ففي السماء، وأمّا النار ففي الأرض، قالا: فما السبعة؟ قال: سبعة أبواب النار متطابقات، قالا: فما الثمانية؟ قال: ثمانية أبواب الجنّة »[٣]. الخبر.

١١ ـ حديث سليمان بن داود رفعه قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام:

« عليك بالقرآن فإنّ الله خلق الجنّة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصباءها اللّؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ القرآن قال له: اقرء وارق، ومن دخل منهم الجنّة لم يكن في الجنّة أعلى درجة منه ما خلا النبيّون والصديقون »[٤].

---

(١) بحار الأنوار ١٢٢/٨ الباب ٢٣ ح ١٣.

(٢) بحار الأنوار ١٢٢/٨ الباب ٢٣ ح ١٥.

(٣) بحار الأنوار ١٢٨/٨ الباب ٢٣ ح ٢٨.

(٤) بحار الأنوار ١٣٣/٨ الباب ٢٣ ح ٣٩.

١٢ ـ حديث هشام بن الحكم: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال:

«من أين قالوا: إنّ أهل الجنّة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها فإذا أكلها عادت كهيأتها؟

قال: نعم ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيء وقد امتلأت الدنيا منه سرجاً.

قال: أليسوا يأكلون ويشربون؟ وتزعم أنّه لا تكون لهم الحاجة!

قال: بلى لأنّ غذاءهم رقيق لا ثفل له، بل يخرج من أجسادهم بالعرق،

قال: فكيف تكون الحوراء في كل ما أتاها زوجُها عذراء؟

قال: إنّها خلقت من الطيّب لا تعتريها عاهة، ولا تخالط جسمها آفة، ولا يجري في ثقبها شيء، ولا يدنّسها حيض، فالرحم ملتزقة، إذ ليس فيه لسوى الإحليل مجرى.

قال: فهي تلبس سبعين حلّة ويرى زوجها مخّ ساقيها وراء حللها وبدنها؟

قال: نعم كما يرى أحدكم الدراهم إذا اُلقيت في ماء صاف قدره قيد رمح،

قال: فكيف ينعم أهل الجنّة بما فيها من النّعيم وما منهم أحد إلّا وقد افتقد ابنه أو أباه أو حميمه أو اُمّه؟ فإذا افتقدوهم في الجنّة لم يشكوا في مصيرهم إلى النار؟ فما يصنع بالنّعيم من يعلم أنّ حميمه في النار يعذّب؟

قال عليه السلام: إنّ أهل العلم قالوا: إنّهم ينسون ذكرهم، وقال بعضهم: انتظروا قدومهم ورجوا أن يكونوا بين الجنّة والنّار في أصحاب الأعراف»[1].

الخبر.

---

(١) بحار الأنوار ١٣٦/٨ الباب ٢٣ ح ٤٨.

١٣ ـ ما عن تفسير الامام العسكري عليه السلام:

« إنَّ في الجنّة طيوراً كالبخاتيّ، عليها من أنواع المواشي، تصير ما بين سماء الجنّة وأرضها، فإذا تمنّى مؤمن محبّ النبي وآله عليهم السلام الأكل من شيء منها وقع ذلك بعينه بين يديه، فتناثر ريشه وانشوى وانطبخ، فأكل من جانب منه قديداً ومن جانب منه مشوياً بلا نار، فإذا قضى شهوته ونهمته قال: الحمد لله ربّ العالمين عادت كماكانت فطارت في الهواء، وفخرت على سائر طيور الجنّة تقول: من مثلي وقد أكل منّي وليّ الله عن أمر الله؟ »[1].

١٤ ـ حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« لمّا أُسري بي إلى السّماء قال لي جبرئيل عليه السلام: قد أمرت الجنّة والنار أن تعرض عليك، قال: فرأيت الجنّة وما فيها من النعيم، ورأيت النار وما فيها من العذاب؛ والجنّة فيها ثمانية أبواب، على كلّ باب منها أربع كلمات، كلّ كلمة خير من الدنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها.

وللنار سبعة أبواب، على كلّ باب منها ثلاث كلمات، كلّ كلمة خير من الدنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها.

فقال لي جبرئيل عليه السلام: اقرأ يا محمّد ما على الأبواب فقرأت ذلك.

أمّا أبواب الجنّة فعلى أوّل باب منها مكتوب: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي ولي الله، لكلّ شيء حيلة وحيلة العيش أربع خصال: القناعة، وبذل الحقّ، وترك الحقد، ومجالسة أهل الخير).

وعلى الباب الثاني مكتوب: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليُّ

---

(١) بحار الأنوار ١٤١/٨ الباب ٢٣ ح ٥٨.

الله، لكل شيء حيلة وحيلة السرور في الآخرة أربع خصال: مسح رؤوس اليتامى، والتعطّف على الأرامل، والسعي في حوائج المؤمنين، والتـفقد للفقراء والمساكين).

وعلى الباب الثالث مكتوب: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عـلي ولي الله، لكلّ شيء حيلة وحيلة الصحّة في الدنيا أربع خصال: قـلّة الكـلام، وقلّة المنام، وقلة المشي، وقلّة الطعام).

وعلى الباب الرابع مكتوب: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي ولي الله، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم والديه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت).

وعلى الباب الخامس مكتوب: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي وليّ الله، من أراد أن لا يُظلم فلا يَظلم، ومن أراد أن لايُشتم فلا يَشتم، ومـن أراد أنّ لا يُذلّ فلا يُذِلّ، ومن أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى في الدنيا والآخرة فليقل: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي ولي الله).

وعلى الباب السادس مكتوب: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي ولي الله، من أراد أن يكون قبره وسيعاً فسيحاً فليبنِ المساجد، ومن أراد أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليسكن المساجد، ومن أحبّ أن يكون طرياً مطرّاً لا يبلى فليكنس المساجد، ومن أحبّ أن يرى موضعه في الجـنة فليكسُ المساجد بالبُسُط).

وعلى الباب السابع مكتوب: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عـلي ولي الله، بياض القلب في أربع خصال: عيادة المريض، واتباع الجنائز، وشراء

الأكفان، وردّ القرض).

وعلى الباب الثامن مكتوب: (لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي ولي الله، من أراد الدخول من هذه الأبواب فليتمسك بأربع خصال: السخاء، وحسن الخلق، والصّدقة، والكفّ عن أذى عباد الله تعالى).

ورأيت على أبواب النار مكتوباً على الباب الأوّل ثلاث كلمات: (من رجا الله سعد، ومن خاف الله أمن، والهالك المغرور من رجا غير الله وخاف سواه).

وعلى الباب الثاني: (من أراد أن لا يكون عرياناً يوم القيامة فليكس الجلود العارية في الدنيا، من أراد أن لا يكون عطشاناً يوم القيامة فليسق العطاش في الدنيا، من أراد أن لا يكون يوم القيامة جائعاً فليطعم البطون الجائعة في الدنيا).

وعلى الباب الثالث مكتوب: (لعن الله الكاذبين، لعن الله الباخلين، لعن الله الظالمين).

وعلى الباب الرابع مكتوب ثلاث كلمات: (أذلّ الله من أهان الإسلام، أذلّ الله من أهان أهل البيت، أذلّ الله من أعان الظالمين على ظلمهم للمخلوقين).

وعلى الباب الخامس مكتوب ثلاث كلمات: (لا تتّبعوا الهوى فالهوى يخالف الإيمان، ولا تكثر منطقك فيما لا يعنيك فتسقط من رحمة الله، ولا تكن عوناً للظالمين).

وعلى الباب السادس مكتوب: (أنا حرام على المجتهدين، أنا حرام على المتصدقين، أنا حرام على الصائمين).

وعلى الباب السابع مكتوب ثلاث كلمات: (حاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسبوا، ووبِّخوا نفوسكم قبل أن توبَّخوا، وادعوا الله عزّ وجلّ قبل أن تردوا عليه ولا تقدروا على ذلك)»[١].

١٥ ـ حديث تنبيه الخواطر أنه قال رجل لرسول الله ﷺ: يا أبا القاسم! أتزعم أنّ أهل الجنّة يأكلون ويشربون؟

قال:

«نعم والذي نفسي بيده إنّ أحدهم ليُعطىٰ قوّة مئة رجل في الأكل والشرب، قال: فإنّ الذي يأكل تكون له الحاجة والجنّة طيّب لا خبث فيها؟

قال: عرق يفيض من أحدهم كرشح المسك فيضمر بطنه»[٢].

١٦ ـ حديث النهج الشريف أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«واعلموا أنَّ من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم، ويخلّده فيما اشتهت نفسه، وينزله منزل الكرامة عنده، في دار اصطنعها لنفسه، ظلّها عرشه، ونورها بهجته، وزوّارها ملائكته، ورفقاؤها رسله، ثم قال ﷺ: فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله، رافق بهم رسله، وأزارَهم ملائكته، وأكرم أسماعهم عن أن تسمع حسيس نار أبداً، وصان أجسادهم أن تلقى لغوباً ونصباً، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذوالفضل العظيم»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٨/١٤٤ـ١٤٦ الباب ٢٣ ح ٦٧.

(٢) بحار الأنوار ٨/١٤٩ الباب ٢٣ ح ٨٢.

(٣) بحار الأنوار ٨/١٦٣ الباب ٢٣ ح ١٠٥.

١٧ ـ حديث تفسير فرات الكوفي عن سلمان (رضي الله عنه)، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«والله يا علي! إنّ شيعتك ليؤذن لهم في الدخول عليكم في كلّ جمعة، وإنّهم لينظرون إليكم من منازلهم يوم الجمعة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجم في السماء، وإنّكم لفي أعلى علّيين في غرفة ليس فوقها درجة أحد من خلقه»[1]. الخبر.

١٨ ـ حديث تفسير فرات الكوفي أيضاً عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ـ وساق الحديث في تجهيز النبي صلى الله عليه وآله سريّة إلى جهاد قوم إلى أن قال ـ:

«فمن منكم يخرج إليهم قبل أن ينظر في ديارنا وحريمنا لعلّ الله أن يفتح على يديه وأضمن له على الله اثني عشر قصراً في الجنّة ـ وساقه إلى أن قال ـ:

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فداك أبي وأمّي يا رسول الله! صف لي هذه القصور؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي! بناء هذه القصور لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، ملاطها المسك الأذفر والعنبر، حصباؤها الدرّ والياقوت ترابها الزعفران، كثيبها الكافور، في صحن كلّ قصر من هذه القصور أربعة أنهار: نهر من عسل، ونهر من خمر، ونهر من لبن، ونهر من ماء، محفوف بالأشجار من المرجان، على حافتي كلّ نهر من هذه الأنهار خيم من درّة بيضاء لا قطع فيه ولا فصل، قال لها: كوني فكانت، يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها، في كلّ خيمة سرير مفصّص بالياقوت

---

(١) بحار الأنوار ١٧٢/٨ الباب ٢٣ ح ١٢١.

الأحمر، قوائمها من الزبرجد الأخضر، على كلّ سرير حوراء من الحور العين، على كلّ حور سبعون حلّة خضراء، وسبعون حلّة صفراء، يرى مخّ ساقيها خلف عظامها وجلدها وحليّها وحللها، كما ترى الخمرة الصافية في الزجاجة البيضاء، مكلّلة بالجواهر، لكلٍّ سبعون ذؤابة[1]، كلّ ذؤابة بيد وصيف، وبيد كلّ وصيف مجمر تبخر تلك الذؤابة، يفوح من ذلك المجمر بخار لا يفوح بنار ولكن بقدرة الجبّار».. الحديث[2].

١٩ ـ حديث الصدوق في الأمالي بسنده عن زيد بن علي، عن آبائه، عن الامام علي عليه السلام قال:

«**كان لي عشر من رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعطهنَّ أحد قبلي، ولا يعطاهنّ أحد بعدي، قال لي: يا عليّ! أنت أخي في الآخرة، وأنت أقرب النّاس منّي موقفاً يوم القيامة، ومنزلي ومنزلك في الجنّة متواجهان كمنزل الأخوين**».. الحديث[3].

٢٠ ـ حديث إكمال الدين بإسناده عن أبي الطفيل، عن الامام عليّ عليه السلام في أجوبته عليه السلام عن مسائل اليهوديّ ـ إلى أن قال ـ:

«**وأمّا منزل محمّد صلى الله عليه وآله من الجنّة في جنّة عدن وهي وسط الجنان، وأقربها من عرش الرحمن جلّ جلاله، والذين يسكنون معه في الجنّة هؤلاء الأئمة الإثنا عشر**»[4].

٢١ ـ حديث موسى بن إسماعيل بن الامام موسى بن جعفر، عن أبيه، عن

---

(١) الذؤابة هو الشعر المظفور المرسل.

(٢) بحار الأنوار ١٧٥/٨ الباب ٢٣ ح ١٢٥.

(٣) بحار الأنوار ١٨٥/٨ الباب ٢٣ ح ١٤٨.

(٤) بحار الأنوار ١٨٩/٨ الباب ٢٣ ح ١٦١.

آبائه عليهم السلام، عن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« أُدخلت الجنّة فرأيت على بابها مكتوباً بالذهب: لا إله إلّا الله، محمّد حبيب الله، علي ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضيهم لعنة الله »[1].

٢٢ ـ حديث عدة الداعي أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« لو أنّ ثوباً من ثياب أهل الجنّة اُلقي على أهل الدنيا لم يحتمله أبصارهم ولماتوا من شهوة النظر إليه.

وقد ورد عنهم عليهم السلام: كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه.

وفي الوحي القديم: أعددت لعبادي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر بقلب بشر »[2].

٢٣ ـ حديث الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾**[3]. أخبرنا عبيد الله بن محمّد البيهقي، عن جده أحمد بن الحسين، عن عبد الملك بن أبي عثمان، عن علي بن بندار، عن جعفر بن محمّد الفرياني، عن سليمان بن عبد الرحمن، عن خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة الباهلي، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

« ما من عبد يدخل الجنّة إلّا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من

---

(١) بحار الأنوار ١٩١/٨ الباب ٢٣ ح ١٦٧.

(٢) بحار الأنوار ١٩١/٨ الباب ٢٣ ح ١٦٨.

(٣) سورة الروم، الآية ١٥.

الحور العين تغنّيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجنّ، وليس بمزمار الشيطان، ولكن بتمجيد الله وتقديسه»[١].

٢٤ ـ وعن إبراهيم:

«إنّ في الجنّة لأشجاراً عليها أجراس من فضّة، فإذا أراد أهل الجنّة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً»[٢].

٢٥ ـ حديث جابر، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام قال:

«إنّ أرض الجنّة رخامها فضّة، وترابها الورس والزعفران، وكنسها المسك، ورضراضها الدرّ والياقوت»[٣].

٢٦ ـ وعن جابر، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ أنهار الجنّة تجري في غير أخدود، أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، طين النهر مسك أذفر، وحصاه الدرّ والياقوت، تجري في عيونه وأنهاره حيث يشتهي ويريد في جنانه وليّ الله، فلو أضاف من في الدنيا من الجنّ والإنس لأوسعهم طعاماً وشراباً وحللاً وحليّاً لا ينقصه من ذلك شيء»[٤].

٢٧ ـ وعن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ نخل الجنّة جذوعها ذهب أحمر، وكربها زبرجد أخضر، وشماريخها[٥]

---

(١) بحار الأنوار ١٩٥/٨ الباب ٢٣ ح ١٨١.
(٢) بحار الأنوار ١٩٦/٨ الباب ٢٣ ح ١٨٣.
(٣) بحار الأنوار ٢١٨/٨ الباب ٢٣ ح ٢٠٩ والرضراضي في الحديث بمعنى الحصىٰ الصغار.
(٤) بحار الأنوار ٢١٩/٨ الباب ٢٣ ح ٢١١.
(٥) شماريخ جمع الشمروخ وهو العذق عليه البُسر.

درّ أبيض، وسعفها حلل خضر، ورطبها أشدّ بياضاً من الفضّة، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم، طول العذق اثنا عشر ذراعاً، منضودة أعلاه إلى أسفله، لا يؤخذ منه شيء إلّا أعاده الله كما كان، وذلك قول الله: ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾[١]، وإنّ رطبها لأمثال القلال[٢]، وموزها ورمّانها أمثال الدليّ[٣]، وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الدرّ»[٤].

٢٨ ـ وعن جابر، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام قال:

«إنّ أهل الجنّة يحيون فلا يموتون أبداً، ويستيقظون فلا ينامون أبداً، ويستغنون فلا يفتقرون أبداً، ويفرحون فلا يحزنون أبداً، ويضحكون فلا يبكون أبداً، ويكرمون فلا يهانون أبداً، ويفكهون ولا يقطبون[٥] أبداً، ويحبرون ويسرون أبداً، ويأكلون فلا يجوعون أبداً، ويروون فلا يظمؤون أبداً، ويكسون فلا يعرون أبداً، ويركبون ويتزاورون أبداً، ويسلّم عليهم الولدان المخلدون أبداً، بأيديهم أباريق الفضّة وآنية الذهب أبداً، متكئين على سرر أبداً، على الأرائك ينظرون أبداً، يأتيهم التحيّة والتسليم من الله أبداً، نسأل الله الجنّة برحمته إنّه على كلّ شيء قدير»[٦].

وأما الأحاديث الشريفة الأخرى المبيّنة لجحيم النار أعاذنا الله منها، فمن ذلك ما

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٣٣.

(٢) القلال: جمع قلة ـ بضم القاف وتشديد اللام ـ: إناء للعرب كالجرّة الكبيرة والحب.

(٣) الدليّ: جمع كثرة للدلو التي يستقى بها.

(٤) بحار الأنوار ٨/٢١٩ الباب ٢٣ ح ٢١٢.

(٥) يقال: قطب الرجل أي جمع ما بين عينيه كما يفعل العبوس.

(٦) بحار الأنوار ٨/٢٢٠ الباب ٢٣ ح ٢١٥.

يلي ذكره:

١ ـ حديث أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: يابن رسول الله! خوّفني فإنّ قلبي قد قسا.

فقال:

« يا أبا محمّد! استعدّ للحياة الطويلة، فإنّ جبرئيل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسّم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل! جئتني اليوم قاطباً.

فقال: يا محمّد! قد وضعت منافخ النار.

فقال: وما منافخ النار يا جبرئيل؟

فقال: يا محمّد! إنّ الله عزّ وجلّ أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتى ابيضّت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى احمرّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتى اسودّت، فهي سوداء مظلمة، لو أنّ قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أنّ حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها، ولو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النار علّق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه.

قال: فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل، فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: إنّ ربّكما يقرؤكما السلام ويقول: قد أمنتكما إن تذنبا ذنباً أُعذّبكما عليه.

فقال أبوعبدالله عليه السلام: فما رأى رسول صلى الله عليه وآله جبرئيل متبسّماً بعد ذلك، ثم قال: إنّ أهل النار يعظّمون النار، وإنّ أهل الجنّة يعظّمون الجنّة والنعيم،

وإنّ جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأعيدوا في دركها، فهذه حالهم، وهو قول الله عزّ وجل: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[1] ثم تبدّل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم.

قال أبوعبد الله عليه السلام: حسبك؟ قلت: حسبي حسبي»[2].

٢ ـ حديث عمرو بن ثابت، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال:

«إنّ أهل النار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب ممّا يلقون من أليم (ألم ـ خ ل) العذاب، فما ظنّك ـ يا عمرو! ـ بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها، عطاش فيها، جياع، كليلة أبصارهم، صمّ بكم عمي، مسودّة وجوههم، خاسئين فيها نادمين، مغضوب عليهم، فلا يرحمون من العذاب، ولا يخفف عنهم، وفي النار يسجرون، ومن الحميم يشربون، ومن الزقّوم يأكلون، وبكلاليب[3] النار يحطمون، وبالمقامع يضربون، والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون، فهم في النار يسحبون على وجوههم، مع الشياطين يقرنون، وفي الأنكال والأغلال يصفّدون، إن دعوا لم يُستجب لهم، وإن سألوا حاجة لم تُقض لهم، هذه حال من دخل النار»[4].

٣ ـ حديث معاوية بن وهب قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقرأ رجل **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾**، فقال الرجل:

---

(١) سورة الحج، الآية ٢٢.

(٢) بحار الأنوار ٨/٢٨٠ الباب ٢٤ ح ١.

(٣) الكلاليب: جمع كلاب وكلوب: حديدة معطوفة الرأس يُجرّ بها الجمر.

(٤) بحار الأنوار ٨/٢٨١ الباب ٢٤ ح ٣.

«وما الفلق؟

قال: صدع في النار فيه سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف أسود، في جوف كل أسود سبعون ألف جرّة سم، لابدّ لأهل النار أن يمرّوا عليها»[١].

٤ ـ ما عن تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[٢] فقيل لأبي عبد الله عليه السلام:

«كيف تبدّل جلودهم غيرها؟ فقال: أرأيت لو أخذت لبنة فكسرتها وصيّرتها تراباً ثم ضربتها في القالب أهي التي كانت؟ إنّما هي ذلك وحدث تغّير (وجدت تغييراً ـ خ ل) آخر والأصل واحد»[٣].

٥ ـ حديث أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾[٤] يقول:

«ملازماً لا يفارق. قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾[٥] قال: أثام: وادٍ من أودية جهنّم من صفر مذاب قدّامها حرّة في جهنم، يكون فيه من عبد غير الله ومن قتل النفس التي حرّم الله وتكون فيه الزناة»[٦].

٦ ـ حديث القمي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[٧].

---

(١) بحار الأنوار ٢٨٧/٨ الباب ٢٤ ح ١٧.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٦.

(٣) بحار الأنوار ٢٨٨/٨ الباب ٢٤ ح ٢٠.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٦٥.

(٥) سورة الفرقان، الآية ٦٨.

(٦) بحار الأنوار ٢٨٩/٨ الباب ٢٤ ح ٢٦.

(٧) سورة الحجر، الآيتان ٤٣ و ٤٤.

قال:

« يدخل في كل باب أهل ملّة، وللجنّة ثمانية أبواب ».

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فوقوفهم على الصراط:**

« وأما: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ فبلغني ـ والله أعلم ـ أنَّ الله جعلها سبع دركات:

أعلاها الجحيم: يقوم أهلها على الصفا منها، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

والثانية لظى: نزّاعة للشوى، تدعو من أدبر وتولّى، وجمع فأوعى.

والثالثة سقر: لا تبقي ولا تذر، لوّاحة للبشر، عليها تسعة عشر.

والرابعة الحطمة: ومنها يثور شرر كالقصر، كأنّها جمالات صفر، تدقُّ كلّ من صار إليها مثل الكحل، فلا يموت الروح، كلّما صاروا مثل الكحل عادوا.

والخامسة الهاوية: فيها ملأ يدعون: يا مالك! أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيه صديد ماء يسيل من جلودهم كأنّه مهل، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدّة حرّها، وهو قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾[1]، ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار، كلّما احترق جلده بدّل جلداً غيره.

والسادسة هي السعير: فيها ثلاث مئة سرداق من نار، في كلّ سرادق ثلاث مئة قصر من نار، في كل قصر ثلاث مئة بيت من نار، في كلّ بيت

(١) سورة الكهف، الآية ٢٩.

ثلاث مئة لون من عذاب النار، فيها حيّات من نار، وعقارب من نار، وجوامع من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، وهو الذي يقول الله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾[١].

والسابعة جهنّم؛ وفيها الفلق وهو جبّ في جهنّم إذا فتح أسعر النار سعراً، وهو أشدّ النار عذاباً.

وأمّا صعوداً فجبل من صفر من نار وسط جهنّم.

وأمّا أثاماً فهو واد من صفر مذاب يجري حول الجبل فهو أشدّ النار عذاباً»[٢].

٧ ـ حديث منصور بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إنّ في النار لناراً تتعوذ منها أهل النار، ما خلقت إلّا لكلّ متكبر جبار عنيد ولكل شيطان مريد، ولكل متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب، وكلّ ناصب لآل محمّد.

وقال: إنّ أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار، عليه نعلان من نار، وشركان[٣] من نار، يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن في النار أحداً أشدّ عذاباً منه، وما في النار أحد أهون عذاباً منه»[٤].

٨ ـ حديث تفسير القمي في قوله تعالى: **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾**[٥].

---

(١) سورة الإنسان، الآية ٤.

(٢) بحار الأنوار ٢٨٩/٨ الباب ٢٤ ح ٢٧.

(٣) شركان: تثنية شَرَك بفتحتين وهي حبالة الصائد.

(٤) بحار الأنوار ٢٩٥/٨ الباب ٢٤ ح ٤٤.

(٥) سورة الفلق، الآية ١.

قال:

« الفلق جُبّ في جهنّم يتعوّذ أهل النار من شدّة حرّه، سأل الله أن يأذن له أن يتنفس، فأذن له فتنفس فأحرق جهنّم، قال: وفي ذلك الجبّ صندوق من نار يتعوَّذ أهل تلك الجبّ من حرّ ذلك الصندوق، وهو التابوت، وفي ذلك التابوت ستة من الأوّلين وستة من الآخرين.

فأمّا الستة من الأوّلين فابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار، وفرعون موسى، والسامريّ الذي اتّخذ العجل، والذي هوّد اليهود، والذي نصّر النصارى.

وأمّا الستّة من الآخرين فهو الأوّل والثاني والثالث والرابع وصاحب الخوارج وابن ملجم »[١].

٩ ـ حديث ميسّر، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام قال:

« إنّ في جهنم لجبلاً يقال له: الصعدى، وإنّ في الصعدى لوادياً يقال له: سقر، وإنّ في سقر لجُبّاً يقال له: هبهب، كلّما كشف غطاء ذلك الجبّ ضجّ أهل النار من حرّه، وذلك منازل الجبارين »[٢].

١٠ ـ حديث تفسير الامام العسكري عليه السلام في قوله تعالى: **﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**[٣]:

« حجارة الكبريت أشدّ الأشياء حرّاً ﴿أُعِدَّتْ﴾ تلك النار ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بمحمّد والشاكّين في نبوَّته، والدافعين لحقّ أخيه علي والجاحدين

---

(١) بحار الأنوار ٢٩٦/٨ الباب ٢٤ ح ٤٦.

(٢) بحار الأنوار ٢٩٧/٨ الباب ٢٤ ح ٤٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤.

لإمامته عليه السلام »[١].

١١ ـ حديث الدروع الواقية أنّه لمّا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾**[٢] بكى النبيّ صلى الله عليه وآله بكاءً شديداً وبكت صحابته لبكائه، ولم يدروا ما نزل به جبرئيل عليه السلام ولم يستطع أحد من صحابته أن يكلمه.

وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى فاطمة عليها السلام فرح بها، فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحنه وتقول: **﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾**[٣] فسلّم عليها وأخبرها بخبر النبيّ صلى الله عليه وآله وبكائه، فنهضت والتفّت بشملة لها خلقة قد خيطت اثنا عشر مكاناً بسعف النّخل، فلمّا خرجت نظر سلمان الفارسيّ إلى الشّملة وبكى وقال: واحزناه! إنّ قيصر وكسرى لفي السّندس والحرير، وابنة محمّد صلى الله عليه وآله عليها شملةصوف خلقة في اثني عشرمكاناً، فلمّا دخلت فاطمة عليها السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله قالت:

« يا رسول الله! إنّ سلمان تعجّب من لباسي، فو الذي بعثك بالحقّ ما لي ولعليّ منذ خمس سنين إلّا مسك[٤]كبش نعلّف عليها بالنّهار بعيرنا فإذا كان اللّيل افترشناه، وإنّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف[٥].

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : يا سلمان! إنّ ابنتي لفي الخيل السّوابق.

ثمّ قالت: يا أبت! فديتك ما الذي أبكاك؟ فذكر لها ما نزل به جبرئيل من الآيتين المتقدّمتين.

---

(١) بحار الأنوار ٢٩٩/٨ الباب ٢٤ ح ٥٣.

(٢) سورة الحجر، الآيتان ٤٣ و ٤٤.

(٣) سورة القصص، الآية ٦٠، وسورة الشورى، الآية ٣٦.

(٤) المسك هو الجلد.

(٥) الأُدُم جمع الأديم، وهو الجلد المدبوغ، والليف قشر النخل.

قال: فسقطت فاطمة عليها السلام على وجهها وهي تقول: الويل ثم الويل لمن دخل النار.

فسمع سلمان فقال: يا ليتني كنت كبشاً لأهلي فأكلوا لحمي ومزّقوا جلدي ولم أسمع بذكر النار.

وقال أبوذر: يا ليت أمّي كانت عاقراً ولم تلدني ولم أسمع بذكر النار.

وقال عمار: يا ليتني كنت طائراً في القفار ولم يكن عليَّ حساب ولا عقاب ولم أسمع بذكر النار.

وقال علي عليه السلام: ياليت السباع مزّقت لحمي وليت أمي لم تلدني ولم أسمع بذكر النار.

ثمَّ وضع علي عليه السلام يده على رأسه وجعل يبكي ويقول: وابعد سفراه! واقلّة زاداه! في سفر القيامة يذهبون، وفي النار يتردّدون، وبكلاليب النار يتخطّفون، مرضى لايعاد سقيمهم، وجرحى لا يداوى جريحهم، وأسرى لا يفكُّ أسيرهم، من النار يأكلون، ومنها يشربون، وبين أطباقها يتقلّبون، وبعد لبس القطن والكتّان مقطّعات النار يلبسون، وبعد معانقة الأزواج مع الشياطين مقرّنون»[1].

١٢ ـ حديث موفّق مولى أبي الحسن عليه السلام قال:

«كان مولاي أبوالحسن عليه السلام إذا أمر بشراء البقل يأمر بالإكثار منه ومن الجرجير[2] **فنشري له، وكان يقول عليه السلام: ما أحمق بعض الناس يقولون: إنّه ينبت في وادي جهنّم، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**[3]

---

(١) بحار الأنوار ٣٠٣/٨ الباب ٢٤ ح ٦٢.

(٢) الجرجير هي البقلة المعروفة وتسمى بالفارسية: تره تيزك.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤.

فكيف ينبت البقل ؟»[١].

١٣ ـ حديث سيدنا عبدالعظيم الحسني، عن الامام الجواد عليه السلام، عن أبيه الامام الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين قال:

« دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأمّي يا رسول الله! ما الذي أبكاك؟ فقال: يا علي! ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن فبكيت لما رأيت من شدّة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها؛ ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصبّ في حلقها؛ ورأيت امرأة معلقة بثديها، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها؛ ورأيت امرأة قد شدّ رجلاها إلى يديها وقد سلّط عليها الحيات والعقارب؛ ورأيت امرأة صمّاء خرساء في تابوت من نار، يخرج من دماغ رأسها من منخرها، وبدنها متقطّع من الجذام والبرص؛ ورأيت امرأة معلقة برجليها في تنور من نار؛ ورأيت امرأة تقطّع لحم جسدها من مقدّمها ومؤخرها بمقاريض من نار؛ ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعاءها؛ ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن الحمار، وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب، والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.

فقالت فاطمة عليها السلام: حبيبي وقرّة عيني! أخبرني ماكان عملهنّ وسيرتهنّ حتى وضع الله عليهنّ هذا العذاب؟

---

(١) بحار الأنوار ٣٠٦/٨ الباب ٢٤ ح ٦٥.

فقال: يا بنتي! أمّا المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال؛ وأمّا المعلقة بلسانها فإنّها كانت تؤذي زوجها؛ وأمّا المعلقة بثديها فإنّها كانت تمتنع من فراش زوجها؛ وأمّا المعلقة برجليها فإنّها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها؛ وأمّا التي كانت تأكل لحم جسدها فإنّها كانت تزيّن بدنها للناس؛ وأمّا التي شُدَّت يداها إلى رجليها وسلّط عليها الحيات والعقارب فإنّها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض، ولا تتنظف، وكانت تستهين بالصلاة؛ وأمّا العمياء الصمّاء الخرساء فإنها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها؛ وأمّا التي تقرض لحمها بالمقاريض فإنّها تعرض نفسها على الرجال؛ وأمّا التي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها فإنّها كانت قوّادة؛ وأمّا التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار فإنّها كانت نمّامة[1] كذّابة؛ وأمّا التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فإنّها كانت قينة[2] نوّاحة حاسدة.

ثم قال عليه السلام: ويل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»[3].

١٤ ـ حديث مسعدة بن زياد، عن الامام الصادق، عن آبائه عليهم السلام أن علياً عليه السلام قال:

«إنّ في جهنّم رحى تطحن خمساً، أفلا تسألوني ما طحنها؟

فقيل له: وما طحنها يا أمير المؤمنين؟

---

(١) النّمام هو القتّات يعني الذي ينقل كلام أحد لآخر على وجه السعاية والإفساد.

(٢) القينة وجمعها قيان هي الأمة والجارية المغنّية.

(٣) بحار الأنوار ٣٠٩/٨ الباب ٢٤ ح ٧٥.

قال: العلماء الفجرة، القرّاء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخـونة، والعرفاء الكذبة، وإنّ في النار لمدينة يقال لها: الحصينة، فلا تسألوني ما فيها؟ فقيل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ فقال: فيها أيدي الناكثين»[١].

١٥ ـ حديث محمّد بن أحمد، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم: يا علي! إنّ جبرئيل عليه السلام أخبرني أنّ اُمّتي تغدر بك من بعدي، فويل ثمّ ويل ثم ويل لهم ـ ثلاث مرات ـ.

قلت: يا رسول الله! وما ويل؟

قال: واد في جهنّم أكثر أهله معادوك، والقاتلون لذرّيـتك، والنّـاكـثون لبيعتك، فطوبى ثم طوبى ثم طوبى ـ ثلاث مرات ـ لمن أحـبّك ووالاك.

قلت: يا رسول الله! وما طوبى؟

قال: شجرة في دارك في الجنّة، ليس دار من دور شيعتك في الجـنّة إلّا وفيها غصن من تلك الشجرة، تهدل عليهم لكلّ ما يشتهون»[٢].

١٦ ـ حديث أبي عبيدة، عن أبي جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام قال:

«إنّ في جهنّم لواد يقال له: غسّاق، فيه ثلاثون وثلاث مئة قصر، في كل قصر ثلاثون وثلاث مئة بيت، في كل بيت ثلاثون وثلاث مئة عقرب، في حمة[٣] كل عقرب ثلاثون وثلاث مئة قُلّة[٤] سم، لو أنّ عقرباً منها نضحت سمّها على أهل جهنّم لوسعتهم سماً»[٥].

---

(١) بحار الأنوار ٣١١/٨ الباب ٢٤ ح ٧٨.

(٢) بحار الأنوار ٣١٢/٨ الباب ٢٤ ح ٨٢.

(٣) الحمّة: هي الابرة التي تلدغ بها العقرب.

(٤) القُلّة هي الجرة العظيمة.

(٥) بحار الأنوار ٣١٤/٨ الباب ٢٤ ح ٨٩.

ثم انه نُقل حديث تفسير الامام العسكري عليه السلام[1] بالنسبة إلى الزمهرير وتفسيره بطبقة في جهنم مع بيانه الذي تلاحظه في سفينة البحار[2].

.. إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة والروايات الوفيرة الأخرى التي تُثبت وجود الجنة وتحقق ثبوت الجحيم ممّا يحصل بها العلم واليقين.

كما تثبت أنّ بينهما الأعراف وعليه رجال يعرفون كلاً بسيماهم كما صرح به القرآن الكريم في سورة الأعراف الآية ٤٥.

ولا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه كما تلاحظه في أحاديث بحار الأنوار، ومنها:

١ ـ حديث بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام عن قول الله: **﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾**[3]؟

قال:

«أنزلت في هذه الأمّة، والرجال هم الأئمة من آل محمّد، قلت: فما الأعراف؟ قال: صراط بين الجنّة والنار، فمن شفع له الأئمة منّا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى»[4].

٢ ـ حديث سلمان رضوان الله تعالى عليه قال:

«سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي أكثر من عشر مرات: يا علي! إنّك والأوصياء من بعدك أعراف بين الجنّة والنار، لا يدخل الجنّة إلّا من

---

(١) بحار الأنوار ٢٦١/١٠٣.

(٢) سفينة البحار ٤٩٥/٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٤٦.

(٤) بحار الأنوار ٣٣٥/٨ الباب ٢٥ ح ٣.

عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلّا من أنكركم وأنكرتموه»[١].

٣ ـ حديث تفسير الامام العسكري عليه السلام عن الامام الصادق عليه السلام قال:

« فأمّا في يوم القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء، ليكوننّ على الأعراف بين الجنّة والنار محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والطيّبون من آلهم، فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات ممن كان منهم مقصراً في بعض شدائدها، فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذرّ وعمّار ونظرائهم في العصر الذي يليهم وفي كل عصر إلى يوم القيامة فينقضّون عليهم كالبزاة والصقورة ويتناولونهم كما تتناول البزاة والصقورة صيدها فيزفونهم إلى الجنّة زفاً»[٢]. الخبر.

والرجال هم رسول الله وأوصياؤه الطاهرون صلوات الله عليهم أجمعين، وسلام الله على شفيعتنا اُم الأئمة المعصومين فاطمة الزهراء عليها صلوات المصلين، وثَبَّتنا الله على ولايتهم في الدنيا ورزقنا شفاعتهم يوم الدين، وتفضّلَ علينا بالجنّة ونعيم المقربين. **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

---

(١) بحار الأنوار ٨/٣٣٧ الباب ٢٥ ح ٩.

(٢) بحار الأنوار ٨/٣٣٧ ـ ٣٣٨ الباب ٢٥ ح ١٣.

الفهارس

فهرس الآيات*

الآية **الصفحة**

آل عمران (٣)

الأحزاب (٣٣)

(*) رُتِّبت السور على ترتيب حروف المعجم لا على ترتيبها القرآني، تسهيلاً للقارئين.

الأحقاف (٤٦)

الإسراء (١٧)

الأعراف (٧)

الأعلى (٨٧)

الأنبياء (٢١)

الإنسان (٧٦)

الإنشقاق (٨٤)

الأنفال (٨)

الأنعام (٦)

البقرة (٢)

البينة (٩٨)

التحريم (٦٦)

التوبة (٩)

التوحيد (١١٢)

الجاثية (٤٥)

الحج (٢٢)

الحجر (١٥)

الحديد (٥٧)

الحشر (٥٩)

الدخان (٤٤)

الذاريات (٥١)

الرحمن (٥٥)

الرعد (١٣)

الروم (٣٠)

الزخرف (٤٣)

الزمر (٣٩)

سبأ (٣٤)

السجدة (٣٢)

الشعراء (٢٦)

الشورى (٤٢)

ص (٣٨)

الصافات (٣٧)

الفاتحة (١)

فاطر (٣٥)

الفتح (٤٨)

الفجر (٨٩)

الفرقان (٢٥)

فصلت (٤١)

الفلق (١١٣)

ق (٥٠)

القصص (٢٨)

القلم (٦٨)

القمر (٥٤)

القيامة (٧٥)

الكهف (١٨)

الكوثر (١٠٨)

لقمان (٣١)

المائدة (٥)

المؤمنون (٢٣)

المجادلة (٥٨)

محمد (٤٧)

مريم (١٩)

المعارج (٧٠)

الملك (٦٧)

المنافقون (٦٣)

النازعات (٧٩)

النبأ (٧٨)

النجم (٥٣)

النحل (١٦)

النساء (٤)

النمل (٢٧)

النور (٢٤)

الواقعة (٥٦)

هود (١١)

يس (٣٦)

يوسف (١٢)

يونس (١٠)

فهرس الأحاديث

فهرس أسامي الأئمة والأنبياء عليهم السلام

فهرس الأعلام

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ز)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ن)

(و)

(هـ)

(ي)

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ آية التطهير، للسيد الأبطحي، طبعة قم المشرفة، ١٤٠٤

٣ ـ اثبات الهداة، للمحدث الحر العاملي، طبعة العلمية، بقم المشرفة

٤ ـ الإحتجاج، للشيخ الطبرسي، طبعة النجف الأشرف، ١٣٨٦

٥ ـ إحقاق الحق، للسيد القاضي التستري، طبعة مكتبة السيد المرعشي، قم المشرفة

٦ ـ الإرشاد، للشيخ المفيد، طبعة آل البيت، ١٤١٣

٧ ـ إرشاد الطالبين الى نهج المسترشدين، للفاضل المقداد، طبعة مكتبة السيد المرعشي، قم المشرفة

٨ ـ أساس البلاغة للزمخشري، طبعة دار صادر، بيروت

٩ ـ الاعتقادات، للعلامة المجلسي، ترجمة الشيخ مهدي پور، طبعة اصفهان، ١٤١٥

١٠ ـ اعتقادات الإمامية، للشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٣٧١

١١ ـ الاعتقادات، للشيخ الصدوق، الطبعة الأولى، ١٣٧١

١٢ ـ أعيان الشيعة، للسيد الأميني، طبعة ابن زيدون، دمشق

١٣ ـ إقبال الأعمال، للسيد ابن طاووس، الطبعة الحجرية

١٤ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة، للشيخ الصدوق، طبعة جماعة المدرسين، قم المشرفة

١٥ ـ الأمالي، للشيخ الصدوق، طبعة الحيدرية، النجف الأشرف

١٦ ـ أنوار الهداية، للشيخ الباقري، الطبعة الأولى

١٧ ـ الايضاح في الإمامة، للشيخ المفيد، الطبعة الثانية، ١٤١٣

١٨ ـ الإيقاظ من الهجعة، للمحدث الحر العاملي، طبعة العلمية، قم المشرفة

١٩ ـ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، طبعة الاسلامية، طهران، ١٣٨٥

٢٠ ـ البلد الأمين، للشيخ الكفعمي، طبعة الصدوق، طهران

٢١ ـ تفسير الصافي، للمحدث الفيض، طبعة الأعلمي، بيروت

٢٢ ـ تاج العروس، للزبيدي، الطبعة المصرية، ١٣٠٦

٢٣ ـ ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، طبعة الأسوة، ١٤١٤

٢٤ ـ تفسير البرهان، للسيد البحراني، الطبعة الحجرية، طهران

٢٥ ـ تفسير التبيان، لشيخ الطائفة الطوسي، طبعة النجف الأشرف، ١٣٧٦

٢٦ ـ تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم، طبعة النجف الأشرف، ١٣٨٦

٢٧ ـ تفسير الكشاف، للزمخشري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت

٢٨ ـ تفسير كنز الدقائق، للمشهدي، الطبعة الأولى

٢٩ ـ تفصيل آيات القرآن الحكيم، تعريب محمد فؤاد، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت

٣٠ ـ تقريب المعارف، لأبي الصلاح الحلبي، طبعة ايران، ١٤١٧

٣١ ـ تلخيص الشافي، لشيخ الطائفة الطوسي، طبعة الآداب، النجف الأشرف

٣٢ ـ تنقيح المقال، للعلامة المامقاني، الطبعة الحجرية

٣٣ ـ الثاقب في المناقب، لابن حمزة الطوسي، طبعة قم المشرفة، ١٤١٢

٣٤ ـ ثواب الأعمال ،للشيخ الصدوق، طبعة مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٥٠

٣٥ ـ جواهر الكلام، للفقيه النجفي، طبعة دار الكتب الإسلامية، طهران

٣٦ ـ حق اليقين، للسيد الشبّر، طبعة العرفان، صيدا

٣٧ ـ حلية الأبرار، للسيد البحراني، طبعة العلمية، قم المقدسة

٣٨ ـ الخصائص الزينبية، للسيد الجزائري، الطبعة الحجرية

٣٩ ـ الخصال، للشيخ الصدوق، قم المشرفة، الطبعة الرابعة

٤٠ ـ دائرة المعارف الشيعية، للسيد حسن الأمين، الطبعة الثانية، ١٣٩٣

٤١ ـ دلائل الإمامة، للطبري، طبعة النجف الأشرف

٤٢ ـ دلائل الصدق، للشيخ المظفر، طبعة بصيرتي، قم المشرفة

٤٣ ـ الذخيرة، للسيد المرتضى، طبعة قم المشرفة، ١٤١١

٤٤ ـ رسائل الشريف المرتضى، طبعة قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٠

٤٥ ـ رسالة عدم سهو النبي صلى الله عليه وآله، للشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣

٤٦ ـ السبعة من السلف، للسيد الفيروزآبادي، طبعة الفيروزآبادي، قم المشرفة

٤٧ ـ سفينة البحار، للمحدث القمي، طبعة الأسوة، طهران

٤٨ ـ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، الطبعة المصرية، دار إحياء الكتب العربية

٤٩ ـ العباس بن أمير المؤمنين، للسيد المقرم، طبعة النجف الأشرف

٥٠ ـ العروة الوثقى، للفقيه اليزدي، طبعة الإسلامية، طهران

٥١ ـ العقائد الحقة، للسيد الخونساري، طبعة الصدوق، طهران

٥٢ ـ علل الشرائع، للشيخ الصدوق، طبعة الحيدرية، النجف الأشرف

٥٣ ـ العمدة، لابن بطريق، طبعة قم المشرفة، ١٤٠٧

٥٤ ـ عوالم العلوم، للشيخ البحراني، طبعة مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المشرفة

٥٥ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق ـ طبعة النجف الأشرف، ١٣٩٠
٥٦ ـ غاية المرام، للسيد البحراني، الطبعة الحجرية، طهران، ١٢٧٢
٥٧ ـ الغدير، للعلامة الأميني، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت
٥٨ ـ غرر الحكم ودرر الكلم، للآمدي، طبعة النعمان، النجف الأشرف
٥٩ ـ فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، للشيخ الرحماني، الطبعة الأولى، ١٣٦٩
٦٠ ـ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، طبعة المكتبة التجارية، مصر
٦١ ـ الكافي، لثقة الاسلام الكليني، طبعة الحيدرية، طهران، ١٣٧٧
٦٢ ـ كتاب التوحيد، للشيخ الصدوق، طعبة دار المعرفة، بيروت
٦٣ ـ كتاب الغيبة، لشيخ الطائفة الطوسي، الطبعة الثانية
٦٤ ـ كريمة أهل البيت، للشيخ مهدي پور، طبعة حاذق، قم المشرفة
٦٥ ـ كشف الغطاء، للشيخ كاشف الغطاء الكبير، الطبعة الحجرية
٦٦ ـ كشف الغمة، للشيخ الإربلي، طبعة دار الأضواء، بيروت
٦٧ ـ كشف المراد من شرح تجريد الإعتقاد، للعلامة الحلي، طبعة المصطفوي، قم المشرفة
٦٨ ـ الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، للسيد شرف الدين، الطبعة الأولى
٦٩ ـ لسان العرب، لابن منظور الافريقي، طبعة دار صادر، بيروت
٧٠ ـ مجمع البحرين، للشيخ الطريحي، الطبعة الحجرية
٧١ ـ مجمع البيان، للشيخ الطبرسي، طبعة الاسلامية، طهران، ١٣٧٣
٧٢ ـ المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، طبعة عالم الكتب، بيروت
٧٣ ـ مدينة المعاجز، للسيد البحراني، الطبعة الحجرية
٧٤ ـ مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، للشيخ الكازراني، الطبعة القديمة الحجرية
٧٥ ـ المزار، للشيخ المفيد، طبعة المؤتمر، ١٤١٣
٧٦ ـ المسائل الرازية، للسيد المرتضى، الطبعة الأولى، ١٤١٠
٧٧ ـ المسائل السروية، للشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣
٧٨ ـ المسائل العكبرية، للشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣
٧٩ ـ مصابيح الأنوار، للسيد الشبر، طبعة مطبعة الزهراء، بغداد
٨٠ ـ المصباح، للشيخ الكفعمي، الطبعة الثانية بطهران
٨١ ـ مصباح المتهجد، لشيخ الطائفة الطوسي، الطبعة الحجرية
٨٢ ـ المصباح المنير، للفيومي، الطبعة الحجرية
٨٣ ـ مصباح الهداية في إثبات الولاية، للسيد البهبهاني، الطبعة الأولى
٨٤ ـ المعالم الزلفى، للسيد البحراني، الطبعة الحجرية

٨٥ ـ معاني الأخبار، للشيخ الصدوق، طبعة مكتبة الصدوق، طهران
٨٦ ـ المعتمد، للغسّاني، طبعة دار المعرفة، بيروت
٨٧ ـ معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي، الطبعة الخامسة، ١٤١٣
٨٨ ـ المعجم الزوولوجي الحديث، للملكي، الطبعة الأولى، النجف الأشرف
٨٩ ـ المعجم المفهرس، لمحمد فؤاد، طبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة
٩٠ ـ مفاتيح الجنان المعرب، للمحدث القمي، تعريب السيد النوري، الطبعة الأولى، ١٣٦٦
٩١ ـ المفردات في غريب القرآن، للراغب، طبعة المكتبة المرتضوية، طهران
٩٢ ـ مناقب آل أبي طالب، للشيخ ابن شهر آشوب، طبعة طهران، ١٣١٧
٩٣ ـ من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق، الطبعة الثالثة، قم المشرفة
٩٤ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للمحقق الخوئي، طبعة الاسلامية، طهران
٩٥ ـ ميزان المطالب، للشيخ الطهراني، الطبعة الرابعة، قم المشرفة
٩٦ ـ ناسخ التواريخ، لسپهر، طبعة الاسلامية، طهران
٩٧ ـ النهاية لابن الأثير، الطبعة الأولى، ١٣٨٣
٩٨ ـ نهج البلاغة، للسيد الرضي، الطبعة المصرية، مطبعة الاستقامة
٩٩ ـ نهج المسترشدين، للعلامة الحلي، طبعة مجمع الذخائر الإسلامية، قم المشرفة
١٠٠ ـ وسائل الشيعة، للمحدث الحر العاملي، طبعة الاسلامية، طهران

فهرس المطالب

أصل التوحيد

الجهة الثالثة: صفات الله تبارك وتعالى

الصفات الثبوتية

الصفات السلبية

أصل النبوة

النبوة العامة

النبوة الخاصة

أصل الإمامة

مراحل القيامة

▫▫▫